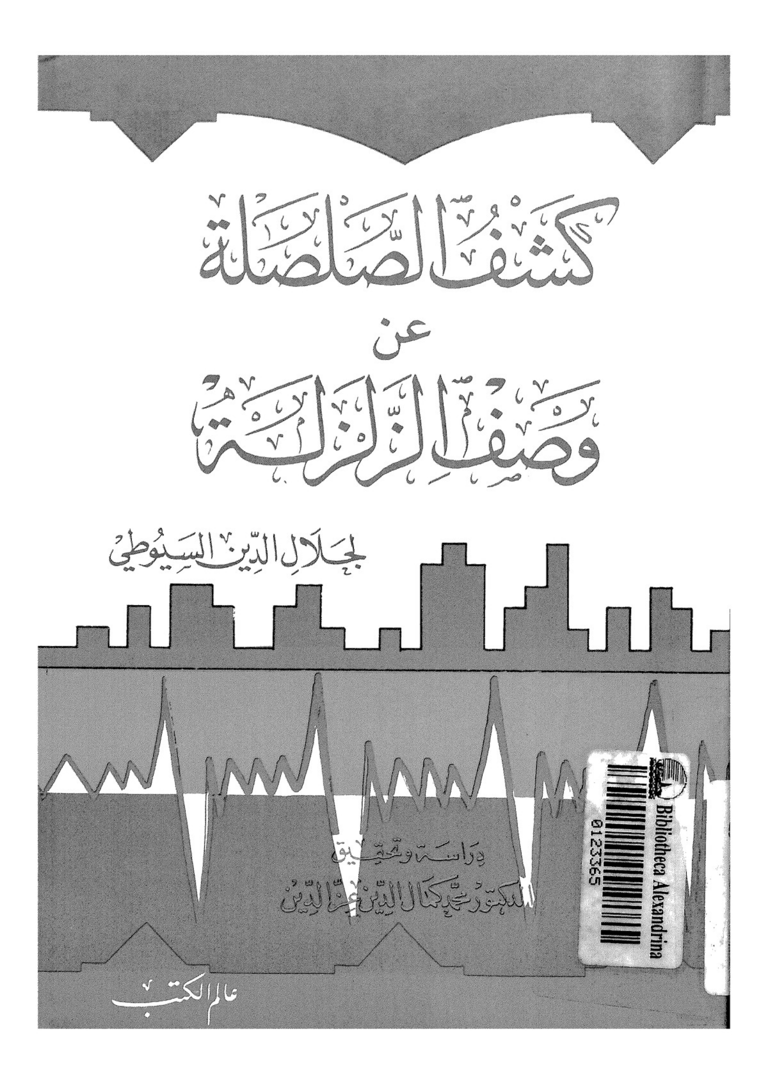

كشف الصلصلة
عن
وصف الزلزلة
لجلال الدين السيوطي
دراسة وتحقيق
الدكتور محمد كمال الدين عز الدين
عالم الكتب
Bibliotheca Alexandrina
0123365

كشف الصلصلة
عن
وصف الزلزلة





بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠



لجلال الدين السيوطي

ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد كمال الدين عز الدين

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الاهداء

الى أخي وصديقي

الأستاذ/ محمد علي سليمان . .

رمز اعتزاز وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللهم اهدني سواء السبيل»

هذا هو كتاب «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» للجلال السيوطي أقدمه للمكتبة العربية في ثوب قشيب ، وإن كنت مسبوقاً فيه بنشرات «الهند» و«المغرب» على ما فيها من نقصان وتحريف . . غير مدعٍ العصمة أو الكمال ، مع ما بُذل من جهد ، سواء بتحرير النص وضبطه والتقميش عليه ، أو فيما قدمت به له من دراسة أبنت فيها عن سيرة مؤلفه ، والتعليل لإكثاره من التأليف والتصنيف ، ومباهاته بالعلم ، ودعواه الاجتهاد ، والعامل الرئيس في خصوماته ورجالات عصره ، والتعريف بمحتوى الكتاب ، ومصادره ، وطرقه في معالجة هذه المصادر ، ومنهجه ، وقيمته ، مذيلاً عليه بما لا بد منه من الفهارس والكشافات العلمية .

والله ولي التوفيق والسداد .

محمد كمال الدين عز الدين

القاهرة في ١٦/٧/١٩٨٦ م.

القسم الأول

الدراسة

السيوطي، دراسة حياة

« . . وكان يلقب بابن الكتب ، لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب ، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه ، فذهبت لتأتي به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته » .

« العيدروسي»
«تاريخ النور السافر»

الجلال السيوطي

(٨٤٩ هـ. /١٤٤٥م. - ٩١١هـ. /١٥٠٥م.)

ولد «جلال الدين، أبو الفضل[١]، عبد الرحمن[٢] بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الهمام، الخُضَيْري[٣]، السيوطي[٤]، الشافعي» بالقاهرة ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع

(١) اشار «السيوطي» - في التحدث بنعمة الله ص ٢٣٥ - إلى أنه اكتسب هذه الكنية عن العز الكناني، قائلاً: «.. وأما الكنية فلا أدري هل كناني والدي ام لا. ولكن لما عرضت على صديق والدي وحبيبه، شيخنا قاضي القضاة عز الدين احمد بن ابراهيم الكناني الحنبلي، كناني: أبا الفضل. فإنه سألني: ما كنيتك؟ فقلت: لا كنية لي. فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه».

(٢) يشير «السيوطي» - في التحدث بنعمة الله ص ٣٢ - إلى أن أباه لم يسمه إلا «يوم الاسبوع»، ويبدو أن ذلك لم يكن تهاوناً من الاب في حق الجلال، وإنما كان تحرياً في تخير الاسم المناسب، مما دفع بمؤرخنا إلى إنشاء فصل في كتابه «التحدث بنعمة الله» - ص ٣٢ - ٣٨ - أظهر فيه اعتداده باسمه، مشيراً إلى أفضليته، ومناسبته لاسم أبيه.

(٣) لم يتيقن «السيوطي» المقصود بهذه النسبة، وإن رجح كونها نسبة إلى محلة «الخُضَيْرية» ببغداد، قائلاً: «.. واما نسبته بالخضيري - وهو بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين مصغراً - فلا أتحقق ما تكون إليه هذه النسبة. وهذا من بدائع قدرة الله أن يعجز العلماء بانساب الناس عن معرفة أنسابهم ليقفوا عند حدهم ويعترفوا بالعجز والقصور.. فلم أتيقن لماذا هي، إلا أني رأيت في كتب البلدان والأنساب أن الخضيرية محلة ببغداد، وحدثني من أثق به أنه سمع أبي - رحمه الله - يذكر أن جده الاعلى كان أعجمياً أو من الشرق، فلا يبعد أن تكون النسبة إلى المحلة المذكورة».

(السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٥ - ٦، وأنظر. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٦).

وفي ياقوت. معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧٧، والبغدادي. مراصد الإطلاع ج ١ ص ٤٧٢: «الخضيرية» - مصغراً - محلة كانت ببغداد في الجانب الشرقي، مجاورة لمشهد الإمام أبي حنيفة، تنسب إلى «خضر» مولى «صالح» صاحب الموصل.

(٤) «السيوطي» أو «الأسيوطي»: كلاهما صحيح لغة، الأول نسبة إلى «سيوط»، والثاني نسبة إلى «أسيوط»، تسميتان لمدينة كائنة غربي النيل، من صعيد مصر.

راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ١٩٣، ج ٣ ص ٣٠١، الفيروزابادي. القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٧، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٢ - ١٥.

وأربعين وثمانمائة للهجرة[1].

ولد لأم ولد تركية الجنس[2]، ولأب ينحدر من عائلة اشتهر رجالاتها بالوجاهة والرياسة في محلتهم «أسيوط» . . فكان منهم من[3] اعتقد أهلها فيه الولاية والصلاح، فأقاموا له بها ضريحاً يزار ويتبرك به[4]، ومنهم من ولى بها نيابة الحكم (القضاء الأصغر)، ومنهم من ولى حسبتها، ومنهم من صحب الأمير «شيخو الناصري»[5] (ت ٧٥٨هـ . /١٣٥٧م.) وألزمه ببناء مدرسة له بأسيوط مماثلة لجامعه[6] الذي ابتناه بالصليبة من القاهرة، وأوقف عليها أوقافاً، ومنهم من كان

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٣٢، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٦.

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٥.

(٣) هو «همام الدين، الهمام، الخضيري»، جده الاعلى، ذكر مؤرخنا عنه أنه كان سبباً في إقباله على التصوف قائلاً:

«. . وكان السبب في إقبالي آخراً على طريقة التصوف وملازمة القوم نزوع العرق من جدي المذكور».

السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٦ ـ ٧.

(٤) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٥، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٦.

ولعل الضريح الملحق بمسجد أسيوط المعروف باسم «جامع سيدي جلال الدين السيوطي» لدى العامة، و«بمسجد الحمصي» لدى الخاصة، على النحو الذي نبه إليه الأستاذ / أحمد تيمور ـ في رسالته: قبر السيوطي وتحقيق موضعه ص ٢٢ ـ ٢٣ ـ هو هذا، ومع الأيام نُسي الجد فاضيف الضريح إلى «الجلال» جهلاً من العامة لغلبة شهرة مؤرخنا، وإلى «الحمصي» لتجديده إياه.

(٥) هو «شيخو (شيخون) بن عبد الله العمري الناصري»، أول من تسمى بالأمير الكبير وأتابك العساكر ـ له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة ج ٢ تر ١٩٥٠ ص ١٩٦ ـ ١٩٧، المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٣١٣ ـ ٣١٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

ويبدو أن مصاحبته له كانت في أثناء سنة أربع وخمسين وسبعمائة وما بعدها، حيث توجه «شيخو» في السنة المذكورة إلى الصعيد للقضاء على فتنة الاحدب وعربانه (ابن دقماق. الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، بينما بُنِيَ جامعه في السنة التالية (المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٣١٣).

(٦) وردت عبارة السيوطي ـ في التحدث بنعمة الله ص ٧ ـ بشأن ذلك هكذا:

«. . ويُحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البنّاء الذي بنى مدرسته بالصليبة أن يذهب معه إلى أسيوط فيبنى له مدرسة نظيرها، فأجابه إلى ذلك».

ويبدو أن المقصود «بمدرسته» جامعه الذي أشار المقريزي ـ في الخطط ج ٢ ص ٣١٣ ـ إلى أنه أنشأه سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة، وجعل فيه خطبة وعشرين صوفياً. حيث لم تنسب المصادر للأمير «شيخو» من العمارة الدينية غير هذا الجامع والخانقاة المواجهة له.

تاجراً متمولاً[1].

وإن كان «الجلال» ـ مؤرخنا ـ يرى أنه لم يخدم العلم منهم أحد خدمة والده، الشيخ «كمال الدين، أبي المناقب، أبي بكر بن محمد»[2] (٨٠٤هـ./١٤٠٢م. ـ ٨٥٥هـ./١٤٥١م)، والذي ولد بأسيوط في ذي القعدة سنة أربع وثمانمائة للهجرة[3]، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم ـ والمنهاج وألفية «ابن مالك»، وتتلمذ فيها على «السراج الحمصي» و«الشهاب النقوري»، واشتهر بأسيوط، بحيث أسندت إليه نيابة حكمها قبل أن يرحل عنها إلى القاهرة ـ سنة نيف وعشرين ـ مستوطناً إياها، متردداً على بعض علمائها من أمثلة «العز بن جماعة»، و«الشيخ باكير»، و«الشمس الونائي»، و«الشمس القاياتي»، و«الشهاب بن المجدي»، و«الشهاب الصنهاجي»، و«محمد الجيلاني». . آخذاً عنهم جملة لابأس بها من العلوم كالفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والمنطق والقراءات والحديث، والفنون، كالإنشاء والترسل والتوقيعات والخط المنسوب. مما أهله لتولي عدة وظائف دينية كالنيابة في الحكم عن بعض قضاة الشافعية[4]،

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٧، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٦.

(٢) ترجم له السيوطي في: بغية الوعاة ج ١ تر ٩٧١ ص ٤٧٢، التحدث بنعمة الله ص ٧ ـ ١١، حسن المحاضرة ج ١ تر ١٩٨ ص ٤٤١ ـ ٤٤٣، المنجم في المعجم ق ١٧٨ ب ـ ١٧٩ أ، نظم العقيان تر ٥٣ ص ٩٥ ـ ٩٦.

كما ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ج ١١ تر ٢٠١ ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) لم يتحقق السيوطي ـ مؤرخنا ـ تاريخ مولد والده، ولذا أرخ لمولده على التقريب بأوائل القرن، أو بعد الثمانمائة تقريباً هكذا «ولد في أوائل القرن بأسيوط» (بغية الوعاة ج ١ ص ٤٧٢)، «مولد والدي باسيوط في أوائل هذا القرن تقريباً» (التحدث بنعمة الله ص ٧)، «ولد في أول القرن تقريباً» (نظم العقيان ص ٩٥)، «ولد ـ رحمه الله ـ بسيوط بعد ثمانمائة تقريباً» (حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤١).

والمثبت في المتن عن السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٧٣، وقد عاب عليه جهله به قائلاً: «. . وبالغ في إطرائه مع اعتراصه عليه وكونه لم يعرف مولده ولا أكثر شيوخه».

(٤) يشير السيوطي ـ في التحدث بنعمة الله ص ٨ ـ إلى أن والده ناب في القضاء عن شيخه «الشمس القاياتي»، وأنه رشح لقضاء مكة، وللقضاء الاكبر بمصر. وإن تناقض قوله بشأنهما.

فقد ورد في التحدث بنعمة الله ـ ص ٩ ـ قوله: «. . وعُين لقضاء مكة فامتنع»، بينما قرر خلاف ذلك في حسن المحاضرة ـ ج ١ ص ٤٤٢ ـ قائلاً: «. . وعُين مرة لقضاء مكة، فلم يتفق له».

وهو ما يكتشف عنه «السخاوي» في الضوء اللامع ـ ج ١١ ص ٧٢ ـ قائلاً: «. . وجلس شاهداً عند الشهاب ابن تقي، ولذا لما ذكره الخليفة للظاهر (جقمق) في قضاء مكة واستشار شيخنا (ابن =

والنيابة في خطابة الجامع الطولوني[1]، وتدريس الفقه بالجامع الشيخوني[2]. وإنشاء حواشي[3] وأجوبة[4] على بعض مؤلفات المتقدمين عليه، فضلاً عن ثلاثة مؤلفات مستقلة في «القراءات»، و«التصريف»، و«التوقيع»[5]. والتصدي للإفتاء[6].

كما اشتهر بتعظيم الدين، والتحري في الأحكام، وصيانة النفس وعزتها، والإنفراد وعدم الاجتماع بالناس إلا نادراً[7]، والصبر على أذى بعضهم[8] له،

= حجر العسقلاني) فيه ولا زال يعرفه له حتى عرفه، قال: كان شاهداً عند ابن تقي. فعدل عنه إلى السويبي، بل شيخنا هو المعين له».

وعلى حين يُتسم من عبارة السيوطي ـ في التحدث بنعمة الله ص ٩ ـ ان والده كان يتوق إلى تولي القضاء الاكبر بمصر، يذكر في حسن المحاضرة ـ ج ١ ص ٤٧٢ ـ انه رشح للوظيفة فامتنع.

فقد ورد في الاول قوله: «.. ولما تولى شيخ الإسلام المناوى قضاء القاهرة، شق ذلك على الوالد كثيراً. وكان يرى أنه أحق بالولاية لأنه يعتقد في نفسه أنه أجل وأعلم منه بكثير. فامتنع من الدخول في نيابة الحكم حتى بالغ المناوي في استعطافه. وكان مع ذلك يرسل إليه المناوى نقيبه يسأله في إنشاء خطبة يخطب بها في القلعة عند الحوادث المهمة». بينما ورد في الثاني قوله: «.. اخبرني بعض أصحابه أن الظاهر جقمق عينه مرة لقضاء القضاة بالديار المصرية وأرسل يقول للخليفة المستكفي بالله: قل لصاحبك يطلع نوليه، فأرسل الخليفة قاصداً إلى الوالد يخبره بذلك، فامتنع».

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٨، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤١.

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٧٢، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤١.

(٣) من ذلك: «حاشية على شرح الألفية لابن المصنف»، و«حاشية على العضد»، و«حاشية على أدب القضاء للعرى» ـ السيوطي. بغية الوعاة ج ١ ص ٤٧٢، التحدث بنعمة الله ص ٩، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٢، نظم العقيات ص ٩٥.

(٤) ذكر «السيوطي» في المصادر السابقة أن لابيه «أجوبة اعتراضات ابن المقري على الحاوي الصغير».

(٥) السيوطي. بغية الوعاة ج ١ ص ٤٧٢، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٢، نظم العقيان ص ٩٥.

(٦) نفسه، والتحدث بنعمة الله ص ٨.

(٧) أشار السيوطي ـ في التحدث بنعمة الله ص ٩ ـ إلى ذلك قائلاً: «.. ولم يكن يتردد إلى أحد من الملوك والأمراء، سوى الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله سليمان، فكان بينه وبينه اتحاد ومحبة زائدة. وهو الذي كتب له نسخة عهد الخلافة لما عهد إليه بها أخوه المعتضد بالله داود». معللاً لذلك ـ في حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤١ ـ ٤٤٢ ـ بقوله: «.. أخبرني بعض القضاة أن الوالد دار يوماً على الاكابر ليهنئهم بالشهر، فرجع آخر النهار عطشان، فقال له: قد درنا في هذا اليوم ولم تحصل لنا شربة ماء، ولو ضيعنا هذا الوقت في العبادة لحصل لنا خير كثير ـ أو ما هذا معناه ـ ولم يهنىء أحداً بعد ذلك اليوم بشهر ولا غيره».

(٨) أشار «السيوطي» ـ في التحدث بنعمة الله ص ١٦٨ ـ إلى عداوة «شمس الدين الباني» لأبيه، ذاكراً أن العداوة في الاباء «صلة في الأبناء».

والمواظبة على ختم القرآن ـ الكريم ـ مرة كل جمعة[1].

ويبدو أن «كمال الدين، أبا بكر» كان حفياً «بالجلال» ـ مؤرخنا ـ مستبشراً خيراً به، على الرغم مما رزقه إلى جانبه من الأبناء[2]، إذ يذكر مؤرخنا أنه حُمِلَ في حياة أبيه إلى أحد[3] أعلام الصوفية في عصره ليُبَرِّكَ[4] عليه[5]، وأن أباه قد حصل له على إجازة من الحافظ «ابن حجر العسقلاني»[6]، فضلاً عن اعتنائه بتلقينه القرآن ـ الكريم ـ في سن مبكرة، بحيث انتهى فيه حفظاً إلى سورة التحريم[7] عند وفاة أبيه ـ بعلة ذات الجنب ـ ليلة الاثنين خامس صفر سنة خمس وخمسين وثمانمائة للهجرة[8]، ولم يبلغ «الجلال» ـ مؤرخنا ـ من العمر سوى خمس سنين وسبعة أشهر[9]، مما تيسر معه اكماله له حفظاً وهو دون الثامنة من عمره[10].

ولم تكن وفاة الأب ـ في هذه السن المبكرة من حياة الصبي ـ عائقاً له عن السير قدماً على درب العلم، فلقد قدر له أن يحفظ ـ وبمساعدة «الكمال بن الهمام»[11] أحد الأوصياء عليه ـ بعض ما أُلِفَ في عصره لأنداد عمره أن يحفظوه،

---

(١) السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٢.

(٢) استُفيد ذلك من قوله (في التحدث بنعمة الله ص ١٠): «.. فكذا غالب اخوتي وأولادي ماتوا شهداء، ما بين مطعون ونفساء وصاحب ذات الجنب».

(٣) هو الشيخ «محمد المجذوب»، الذي كان مقيماً بجوار المشهد النفيسي.

(٤) ورد في صحيح مسلم بشرح النووي ـ ج ٣ ص ١٩٣ ـ من حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ان رسول الله ـ ﷺ ـ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم. وذكر «النووي» ـ نفسه ص ١٩٤، ١٩٥ ـ أن من أحكام الحديث: حمل المولود إلى أهل الفضل والصلاح للتبرك بهم، سواء حال ولادتهم ام بعدها.

(٥) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٣٥، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٦.

(٦) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٤٥.

(٧) هي السورة ذات الرقم: ٦٦، وتقع في أواخر الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم.

(٨) السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٧٣، السيوطي. بغية الوعاة ج ١ ص ٤٧٢، التحدث بنعمة الله ص ١٠، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٢، نظم العقيان ص ٩٥.

(٩) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٣٦.

(١٠) نفسه.

(١١) هو «محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الاسكندري، كمال الدين بن الهمام الحنفي»، ت ٨٦١ هـ. / ١٤٥٧ م. ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٢٧ ـ =

بحيث لم تأت سنة أربع وستين وثمانمائة للهجرة (١٤٥٩م.) إلا وكان مؤرخنا قد حفظ إلى جانب القرآن ـ الكريم ـ «عمدة الأحكام» للتقي المقدسي، و«منهاج الطالبين» للشرف النووي، و«ألفية ابن مالك»، و«منهاج البيضاوي»، عارضاً في صفر منها الثلاثة الأول[١] على «العلم البُلقيني»[٢] و«الشرف المناوي»[٣] و«العز الحنبلي»[٤]، و«الأمين الأقصرائي»[٥].

وشرع في الاشتغال بالعلم، فتردد ـ آنذاك ـ على دروس «العلم البُلقيني»[٦]

= ١٣٢ تر ٣٠١، السيوطي. بغية الوعاة ج ١ تر ٢٨٠ ص ١٦٦ ـ ١٦٩، التحدث بنعمة الله ص ٦٣، (وذكر فيه أنه «بلغ رتبة الاجتهاد وادعى ذلك، واختار في شرحه للهداية أشياء تخالف مذهب أبي حنيفة») ، حسن المحاضرة ج ١ تر ٥٤ ص ٤٧٤.

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٤٧٤.

(٢) هو «علم الدين، صالح بن عمر بن رسلان بن نصير البُلقيني»، ت ٨٦٨ هـ. / ١٤٦٤ م. ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ تر ١١٩٩ ص ٣١٢ ـ ٣١٤، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٥٢، حسن المحاضرة ج ١ تر ٢٠١ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥، المنجم في المعجم ق ١٩٨ ب، نظم العقيان تر ٩١ ص ١١٩.

(٣) هو «شرف الدين، يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المناوي»، ت ٨٧١ هـ. / ١٤٦٧ م. ـ ترجمه السيوطي في: التحدث بنعمة الله ص ٦٩، حسن المحاضرة ج ١ تر ٢٠٢ ص ٤٤٥.

(٤) هو «أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن اسماعيل بن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد، عز الدين، أبو البركات الكناني، العسقلاني الأصل، القاهري، الصالحي، الحنبلي»، ت ٨٧٦ هـ. / ١٤٧١ م. ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٤٤، حسن المحاضرة ج ١ تر ٢١ ص ٤٨٤، المنجم في المعجم ق ٢ آ ـ ٤ ب، نظم العقيان تر ١٧ ص ٣١ ـ ٣٥.

(٥) هو «يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد، الأمين، أبو زكريا الأقصرائي ـ نسبة لأقصرا، إحدى مدن الروم ـ القاهري الحنفي»، ت ٨٨٠ هـ. / ١٤٧٥ م. ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ تر ١٠٠٨ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٦٩، حسن المحاضرة ج ١ تر ٥٨ ص ٤٧٨، المنجم في المعجم ق ٢٦٨ ب ـ ٢٦٩ أ.

(٦) يشير «السيوطي» ـ التحدث بنعمة الله ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ـ إلى أنه لزم دروس «العلم البلقيني» ابتداء بشوال سنة خمس وستين وثمانمائة (١٤٦١ م.) إلى أن مات، فقرأ عليه من أول التدريب ـ تأليف والده ـ إلى باب الزكاة، وسمع عليه من أول الحاوي الصغير إلى باب العدد، ومن أول المنهاج إلى الزكاة، ومن أول التنبيه إلى الزكاة، وقطعة من الروضة من باب القضاء، ومن التكملة للزركشي من احياء الموات إلى نحو الوصايا.

وقرظ الشيخ له على مؤلفين هما: «شرح الإستعاذة والبسملة»، و«شرح الحوقلة والحيعلة»، =

(ت ٨٦٨هـ . / ١٤٦٤م.) ، و«التقـي الشمنـي»[1] (ت ٨٧٢هـ . / ١٤٦٨م.) ، و«المحيي الكافيجـي»[2] (ت ٨٧٩هـ . / ١٤٧٤ م.) ، و«السيف الحنفـي»[3]

= كما أجازه بالإفتاء والتدريس في شوال من السنة التالية (٨٦٦ هـ. / ١٤٦٢ م.) وحضر في تصدير «السيوطي» بالجامع الشيخوني في التاسع من ذي القعدة سنة سبع وستين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٣ م.).

(١) هو «أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة، التقي، أبو العباس، الشمني، الحنفي» كان عالماً موسوعياً في علوم كثيرة، منها: التفسير والحديث والفقه والكلام والأصول والنحو والمعاني. . ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ تر ٤٩٣ ص ١٧٤ ـ ١٧٨، السيوطي. بغية الوعاة ج ١ تر ٧٣٩ ص ٣٧٥ ـ ٣٨١، التحدث بنعمة الله ص ٤٦، حسن المحاضرة ج ١ تر ٥٦ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٦، المنجم في المعجم ق ٢٣ ب ـ ٢٨ أ.

أشار «السيوطي» إلى أنه لازمه أربع سنين، ابتداء بوق سنة ثمان وستين وثمانمائة وحتى وفاته في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٣ م. ـ١٤٦٨ م.)، فسمع عليه فيها ـ في التفسير والحديث والعربية والمعاني ـ اليسير من تفسير البيضاوي، وشرحه على منظومة أبيه في الحديث، وحاشيته على الشفاء، وقطعة كبيرة من المطول لسعد الدين، ومن التوضيح لابن هشام.

وقرظ له الشيخ ـ فيها ـ على مؤلفين هما: «شرح ألفية ابن مالك»، و«جمع الجوامع»، كما شهد له بالتقدم في العلم.

على حين خرج له «السيوطي» فهرست مروياته، وسلسلة النحو المتصل إلى سيبويه، وأنشأ فيه شعراً في بابي المدح والرثاء.

(السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨، المنجم في المعجم ق ٢٥ ب ـ ٢٦ أ).

(٢) هو «محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود المحيوي، أبو عبد الله الرومي الحنفي، الكافيجي» ـ مرت ترجمته تفصيلاً في هذا البحث.

ذكر «السيوطي» أنه لازمه أربع عشرة سنة، أخذ عنه فيها فنوناً كثيرة، منها: التفسير والحديث والأصول والعربية والمعاني ـ قراءة وسماعاً ـ فاجيز منه بالتدريس فيها جميعاً.

وأنه قرره في تدريس الحديث بالشيخونية بعدما شغرت الوظيفة بوفاة «الفخر المقسي» ـ في رجب سنة سبع وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٧٢ م.) ـ بغير سؤال منه في ذلك.

مشيراً إليه بقوله: «. . لازمته أربع عشرة سنة فما جئته من مرة إلا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك. . وما كنت أعد الشيخ إلا والداً بعد والدي لكثرة ما كان له عليَّ من الشفقة والإفادة، وكان يذكر أنه كان بينه وبين والدي صداقة تامة، وأن والدي كان منصفاً له بخلاف أكثر أهل مصر».

(السيوطي. بغية الوعاة ج ١ ص ١١٨، التحدث بنعمة الله ص ٩٠ ـ ٩١، ٢٤٣ ـ ٢٤٤، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٨، المنجم في المعجم ق ٧٢ أ).

(٣) هو «سيف الدين، محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا الحنفي، المعروف قديماً بابن الحوندار» ـ=

(ت ٨٨١ هـ ./ ١٤٧٧ م.) جملة، وهو ما أشار إليه بقوله:

«. . . وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر، ثم أرجع إلى الشمني فأحضر مجلسه إلى قرب العصر، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة: السبت والاثنين والخميس.

وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي»[1].

مما يبطل زعم أحد الباحثين المحدثين أن نهج «السيوطي» في الجلوس إلى مشايخه: «هو أنه كان يختار شيخاً واحداً يجلس إليه، فإذا ما انتقل إلى رحمة ربه جلس إلى غيره، وهكذا»[2].

إذ أن القول الوارد لدى «السيوطي»[3] المستخلص منه لديه هذا الحكم،

= له ترجمة في: السخاوي. الصوء اللامع ج ٩ ص ١٧٣ ـ ١٧٥، تر ٤٤٥، السيوطي. حسن المحاصرة ج ١ تر ٥٨ ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩، المنجم في المعجم ق ٨٧ أ ـ ٨٨ أ.

أشار «السيوطي» إلى أنه آخر شيوحه موتاً، إذ لم يتأخر بعده أحد ممن أخد عنه العلم إلا رجل قرأ عليه وريقات من المنهاج.

لازم «السيوطي» دروسه ـ قراءة وسماعاً ـ آخذاً عنه عدة دروس في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه ـ إلى باب النكرة والمعرفة ـ وتلحيص الشذور وتلخيص المفتاح والعضد.

(السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٨).

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٢) د. مصطفى الشكعة. جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ص ١٤.

(٣) ذلك أن عبارة السيوطي ـ حسن المحاصرة ج ١ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨ ـ الواردة بشأن ذلك، والمُعتمد عليها لديه في إصدار هذا الحكم قد وردت هكذا:

«. . وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين، فأخدت الفقه والنحو عن حماعة من الشيوخ، وأحذت الفرائض عن العلامة فرضي زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحي. . . ولازمت (البلقيني) في الفقه إلى أن مات، فلازمت ولده. . . فلما توفي سنة ثماد وسبعين لزمت شيح الإسلام شرف الدين المناوي. . . ولزمت في الحديث والعربية شيخنا العلامة تقي الدين الشمني الحنفي، فواظبته أربع سنين. . ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة. . . وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروساً عديدة.

ومعلوم أن «واو» العطف قد خصصت للجمع المطلق من عير دلالة على أن المبدوء به قبل =

فضلاً عن القرينة السابقة لا يشيران إلى ذلك.

وليس هؤلاء هم كل الشيوخ المأخوذ عنهم لدى مؤرخنا، فلقد قدر له أن يتتلمذ على عدد وافر من نابغي أعلام عصره، بحيث بلغ شيوخه نحو ستمائة نفس[1]، أفراد لهم معجماً حافلاً بترجماتهم، مشيراً من خلالها ـ غالباً ـ إلى ما استفاده عليهم من أنواع المعرفة ودروبها.. فكان منهم ـ كذلك ـ «الجلال المحلي»[2] (ت ٨٦٤هـ./١٤٥٩م.)، و«الشهاب الشارمساحي»[3] (ت ٨٦٥ هـ. /١٤٦١ م.)، و «ابن سعد الدين الحنفي»[4] (ت

= الثاني ولا العكس، ولا أنهما معاً في وقت واحد، بل الأمران جائزان، وجائز عكسهما. أما الفاء فهي وحدها المقتضية الترتيب مع إيجاب وجود الثاني بعد الأول بغير مهلة. (الزمخشري. المفصل في علم العربية ص ٣٠٤، ابن الحاجب. شرح الوافية نظم الكافية ص ٣٩٩).

وعلى ذلك فإن الحكم الوارد لديه بالنسبة لمتنقي عن الشيوخ يخرج من دائرة العام إلى الخاص لينحصر في هؤلاء الثلاثة: «العلم البلقيني»، «فولده»، «فالشرف المناوي»، وفيما تعلق بالفقه المأخوذ عنهم وحده، دون سائر العلوم المدروسة على شيوخه.

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٤٢.

(٢) هو «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم» ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ تر ٨٢ ص ٣٩ ـ ٤١، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ تر ٢٠٠ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤، المنجم في المعجم ق ٦٩ أ.

أشار النجم الغزي ـ في الكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٦ ـ إلى أن مؤرخنا حضر مجالس «الجلال المحلي» سنة كاملة، يومين في الجمعة.

(٣) هو «شهاب الدين، أحمد بن علي بن أبي بكر، الشارمساحي ـ نسبة إلى شارمساح من أعمال دمياط ـ الفرضي، الحاسب» ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ تر ٤٩ ص ١٦ ـ ١٧، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٤٥، المنجم في المعجم ق ٨ ب، نظم العقيان تر ٣٢ ص ٤٣ ـ ٤٤.

قرأ مؤرخنا عليه في الفرائض نحو كراسين من شرحه على مجموع الكلائي، وأجير منه بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين».

(السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٣٧، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٧).

(٤) هو «شمس الدين، محمد بن سعد بن خليل بن سليمان المرزباني الحنفي» ـ ترجمه السيوطي في: التحدث بنعمة الله ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨، المنجم في المعجم ق ٢٣٩ ب، نظم العقيان تر ١٤٦ ص ١٤٩.

وأشار إلى أنه قرأ عليه الكثير في العربية ـ قراءة بحث ـ ككافية ابن الحاجب، وشرحها للمصنف، والمتوسط، والشافية، وسمع عليه الكثير من الفنون بحثاً، كشرح العقائد للتفتازاني، =

٨٦٧ هـ. / ١٤٦٣م.)، و «الشرف المناوي»[١] (ت ٨٧١ هـ. / ١٤٦٧م.)، و «الشمس الشرواني»[٢] (ت ٨٧٣ هـ. / ١٤٦٨م.)، و «العز الحنبلي»[٣] (ت ٨٧٦ هـ. / ١٤٧١م.)، و «الشمس الباني»[٤] (ت ٨٨٥ هـ. / ١٤٨٠م.)، و «الشمس بن موسى»[٥]، و «العز الوفائي»[٦]، و «المجد بن السباع»[٧].

واللافت للإنتباه، أن «الجلال» ـ مؤرخنا ـ كان في هذه المرحلة ـ من مراحل الطلب والتحصيل ـ يعمد إلى الإنتقاء، وأن الإنتقاء لديه كان منصباً على

= وتلخيص المفتاح، وبعض مختصر ابن الحاجب الأصلي.

(١) أشار السيوطي (في التحدث بنعمة الله ص ٢٤٢، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٧) إلى أنه قرأ عليه قطعة من المنهاج، كما سمعه عليه باستثناء دروس فاتته، وسمع عليه ـ كذلك ـ من شرح البهجة وحاشيته عليها ومن تفسير البيضاوي.

(٢) هو «محمد بن إبراهيم الشرواني الشافعي» ـ ترجمه السيوطي في المنجم في المعجم ق ٢١٣ أ، ونظم العقيان تر ١٢٤ ص ١٣٥، مشيراً إلى أنه أحد أفراد الدهر في علوم المعقولات، وأنه قرين المحيي الكافيجي في ذلك. كما ذكره ـ في التحدث بنعمة الله ص ٢٤٥ ـ قائلاً: «.. وقدم في هذه المدة رجل من الروم يسمى محمد بن إبراهيم الشرواني، عالم بالطب. فقرأت عليه كتاباً مختصراً في الطب من تأليف العلامة عز الدين بن جماعة، وأجازني بإقرائه، وكتب لي خطه بذلك على ظاهر النسخة».

(٣) قرأ عليه قطعة من جمع الجوامع لابن السبكي، وأخرى من نظم مختصر ابن الحاجب الأصلي، ومن شرحه ـ كلاهما تأليفه ـ السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٤.

(٤) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قريش المخزومي، الباني ـ نسبة لبلدة بصعيد مصر ـ الشافعي»، له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ تر ١٠٢ ص ٤٨ ـ ٤٩، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٦١، المنجم في المعجم ق ٦٩ ب، ٢١٢ ب.
أشار السيوطي ـ في التحدث بنعمة الله ص ٢٤٥ ـ إلى أنه قرأ عليه دروساً من المنهاج ـ من باب الخراج إلى باب الجناية ـ ودروساً من البهجة، وخرج له مشيخة عن شيوخ أجازوا له فقرأها عليه.

(٥) هو «شمس الدين محمد بن موسى الحنفي» ـ إمام خانقاه شيخو ـ قرأ عليه ابتداء بشهر ربيع الأول سنة أربع وستين وثمانمائة للهجرة رواية صحيح مسلم إلا يسيراً من آخره، وألفية ابن مالك، كما سمع عليه الشفاء، وأجيز منه بالإقراء والتدريس في مستهل سنة ست وستين وثمانمائة للهجرة. (السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٣٧).

(٦) هو «عز الدين، عبد العزيز بن محمد الوفائي الميقاتي»، قرأ عليه رسالة «المقنطرات»، ورسالة «الجيب» ـ كلاهما تأليفه ـ ونظم له مؤرخنا قطعة من رسالته الأولى.
(السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٥).

(٧) هو «مجد الدين، اسماعيل بن السباع»، قرأ عليه في الميقات رسالة «المقنطرات» للمزي.
(السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٥).

«الشيوخ» انصبابه على العلم المأخوذ عنهم، بحيث كانت شخصية الشيخ او مسلك «حلقته» من عوامل الإقبال عليه أو العزوف عنه لدى مؤرخنا.

وقرينة ذلك قوله:

«. . . وحضرت في هذه المدة عند الشيخ تقي الدين أبي بكر بن شادي الحصكفي دروساً يسيرة دون العشرة أيام، ثم لم يعجبني حال جماعته لكثرة هزلهم، فانقطعت عنه»[1].

وقوله:

«. . . ثم حبب إليّ طلب الحديث، وذلك بعدما تصدرت للتدريس وألفت غير ما ألفت. فابتدأت في السماع وتحصيل الإجازات في ربيع الآخر سنة ثمان وستين[2] (وثمانمائة)، فلم أكثر من السماع لأمور، منها اشتغالي بالدراية تدريساً وتأليفاً، وأخذاً عن أئمتها المعتبرين اغتناماً لملازمتهم قبل حلول وفاتهم، وذلك أهم عندي من الرواية. ومنها أني وجدت شيوخ السماع عوام وسوقة ونسوة وعجائز، فكنت أستنكف وأنا مدرس عن القراءة على هؤلاء»[3].

كما كانت له أسفار كثيرة في البلاد المصرية كالفيوم[4] ودمياط والأسكندرية وأعمالهما[5]، وفي خارجها كالحجاز[6] والشام واليمن والهند والمغرب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أشار السيوطي ـ نفسه ص ٢٣٨ ـ إلى أن ميوله في الفترة السابقة على هذه السنة كانت منصرفة نحو العربية، قائلاً: «. . وكان الغالب عليّ في هذه المدة النظر في علم العربية، فطالعت من الكتب المدونة فيها ما لا يحصى».

(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٧.

(٤) نفسه، حيث يشير إلى أن له مؤلفاً فيها اسمه «الرحلة الفيومية».

(٥) انشأ «السيوطي» ـ مؤرخنا ـ هذه الرحلة في شهر رجب سنة سبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٦ م.)، وجمع فوائدها في تأليف يسمى: «الاغتباط في الرحلة إلى الاسكندرية ودمياط»، أو «قطف الزهر في رحلة شهر» ـ مما يستفاد منه أنها استغرقت نحو الثلاثين يوماً، توسطت شهري رجب وشعبان ـ فكان هناك مفيداً إلى جانب كونه مستفيداً، بما حدث فيها من عشارياته، أو كُتب عنه هناك من مسموعاته كصحيح البخاري والشفاء، أو مصنفاته كشرح الألفية، والجزء الأول من نور الحديقة، وعشارياته، والمسلسل بالأولية، وبإجازته فيها لمن قابلهم ـ هناك ـ وأولادهم.

(المصدر السابق ص ٨٣ ـ ٨٧).

(٦) يشير السيوطي ـ في التحدث بنعمة الله ص ٧٩ ـ ٨٢ ـ إلى أنه توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج =

= في ربيع الآخر سنة تسع وستين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٤ م.)، فوصل إلى مكة في نصف جمادى الآخرة منها، ومكث في الحجاز إلى أن رجع إلى مصر في السنة التالية (٨٧٠ هـ. / ١٤٦٥ - ١٤٦٦ م.)، حيث اجتمع في مكة بقاضي المالكية «محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري الخزرجي السعدي» (ت ٨٨٠ هـ. / ١٤٧٥ م.)، وقرأ عليه جزءاً من الأمالي لابن عمان، وحظي منه بتقريظ على «شرح الألفية». وترجم له مؤرخنا (في بغية الوعاة ج ٢ تر ١٥٥٤ ص ١٠٤ - ١٠٥، والمنجم في المعجم ق ٥٧ ب - ٥٨ أ) مشيراً إليه بقوله:

«.. ليس بعد شيخيَّ الكافيجي والشمني أنحى منه مطلقاً... ولم ينصفني في مكة أحد غيره، ولم أتردد فيها إلى غيره، ولم أجالس بها سواه».

كما التقى فيها «بنجم الدين، عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد المكي» (ت ٨٨٥ هـ. / ١٤٨٠ م.)، والذي أخذ عن مؤرخنا عدة مقاطيع من نظمه، كما أجيز مؤرخنا منه في استدعائه له، ويبدو أن «النجم» كان له تأثير كبير على مؤرخنا فيما تعلق بالكتابة التاريخية، فالسيوطي يشير في (التحدث بنعمة الله ص ٨٠، ومقدمة بغية الوعاة ج ١ ص ٥ - ٦ إلى أنه حُثّ منه على اختصار مؤلفه «طبقات النحاة الكبرى» - وكان «السيوطي» قد سوده في سبع مجلدات - في مجلدة تحتوي على المهم من التراجم، حتى يجري مجرى ما ألفه الناس من المعاجم، قائلاً:

«.. فلما حللت بمكة المشرفة سنة تسع وستين (وثمانمائة) أوقفت عليها (على طبقات النحاة الكبرى) صديقنا الحافظ نجم الدين بن فهد - جزاه الله تعالى أحسن الجزاء، وحباه أحسن الحباء - فأشار عليَّ بأن ألخص منها طبقات في مجلد يحتوي على المهم من التراجم، ويجري مجرى ما ألفه الناس من المعاجم، فحمدت رأيه، وشكرت لذلك سعيه، ولخصت منها اللباب... وألغي عنها الاسم الأول، وصار الاعتماد في الطبقات الجامعة على هذه والمعول، وسميتها بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة».

كما استفاد مؤرخنا في معجمه كثيراً منه، على النحو المثبت لديه (في المنجم في المعجم ق ٦٢ أ - ٦٤ أ) من قوله في ترجمته:

«.. وغالب ما في معجمي هذا من فوائده، خصوصاً تراجم المكيين، فإني سألته أن يكتب لي تراجم من أجاز لي من أهل مكة فكتبها لي بخطه في كراسين، فلخصتها هنا. ورأيت له مجلداً في تراجم جماعة من المصريين والشاميين، فلخصت منه هنا كثيراً».

واجتمع فيها - كذلك - بقاضي مكة «برهان الدين، ابراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي» (ت ٨٩١ هـ. / ١٤٨٦ م.)، فأكرمه وأجله لكونه من تلامذة والد مؤرخنا، لكن حدثت بينهما قطيعة - آنذاك - امتدت عشرين سنة تصافيا بعدها، على نحو ما سوف يُشار إليه في موضعه من هذا البحث.

(راجع: السيوطي. المنجم في المعجم ق ١٠٦ ب - ١١٠ أ، نظم العقيان تر ٦ ص ١٧ - ٢٣).

أما شيوخه في المدينة، واتصالاته فيها فإننا لا نعلم شيئاً عنها، على الرغم من أن رحلته إلى الحجاز لم تقتصر على مكة - فقط - وإنما امتدت منها إلى المدينة، كما هو مُدرك من عنوان المؤلف الخاص بها، وهو «الرحلة المكية والمدنية». - السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٢٧.

والتكرور[1]. مما يسر له إلماماً موسوعياً بعلوم وفنون كثيرة ـ أُجيز في معظمها ـ وتفاوتت درجة إقباله عليها وتمهره فيها درساً وتأليفاً، على النحو المشار إليه بقوله:

«. . . ورزقت التبحر في سبعة علوم: **التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع** ـ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة (المتأخرين من) العجم وأهل الفلسفة ـ والذي اعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من مشايخي، فضلاً عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظراً وأطول باعاً، ودون هذه السبعة في المعرفة: **أصول الفقه والجدل والتصريف**، ودونها **الإنشاء والترسل**[2] **والفرائض**[3]، ودونها **القراءات** ـ ولم آخذها عن شيخ ـ ودونها **الطب**. وأما **علم الحساب**[4] فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله»[5].

---

(١) السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) فسر «السيوطي» ذلك (في التحدث بنعمة الله ص ٢٠٣) قائلاً: «. . لا اقول إن مرتبتي في الإنشاء والترسل تبلغ مرتبة الشهاب محمود، ولا ابن عبد الظاهر، ولا ابن فضل الله، بل هي دون ذلك في حد التوسط».

(٣) أطنب «السيوطي» في تفصيل ذلك (في التحدث بنعمة الله ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤) قائلاً: «. . . وأما قولي في الفرائض ان معرفتي بها دون ما قبلها، فذلك لاني تبحرت في العلوم السابقة تبحراً لا يُدرك قراره، ولم أتبحر في الفرائض كتبحري في تلك، مع أن معرفتي بالفرائض تفوق معرفة الموجودين ـ الان ـ بأسرهم. . وقد ظن بعض الناس من قولي: إن معرفتي بالفرائض دون معرفتي بالفنون السابقة أني قاصر فيها، وذلك جهل منه، وإنما قولي ذلك امر نسبي، فمعرفتي بالفنون السابقة كالبحر المحيط، ومعرفتي بالفرائض كالنيل بالنسبة إليه، ومعرفة غيري من اهل العصر بهـا كالخليج، بل كجدول الساقية بالنسبة إلى النيل، هذا فصل القول في ذلك».

(٤) فصل «السيوطي» ذلك (في التحدث بنعمة الله ص ٢٠٤) قائلاً: «. . واما الحساب فاعسر شيء عليّ مع معرفتي به، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضيق منه أخلاقي. ومن ظن أني قلت ذلك قصوراً عنه، فذلك لجهله بمقصودي. وكم من مسألة عُرضت عليّ فيه نظماً ونثراً فاجبت عنها في الحال، وإنما قصدي بذلك ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته لطبعي».

(٥) السيوطي. حسن المحاضرة ج١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

وهكذا، تأهل مؤرخنا لتولي عدة وظائف دينية تمثلت في:

***تدريس الفقه بالجامع الشيخوني** ـ الذي قُرر باسمه منذ وفاة أبيه ـ فكان ابتداء مباشرته له يوم الثلاثاء الموافق للتاسع من ذي القعدة سنة سبع وستين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٣ م.) بعد أن استأذن شيخه «العلم البلقيني» في مباشرته ـ وكان قد أجازه بتدريس الفقه ـ على النحو الوارد في قوله:

«. . . وكان باسم والدي مشيخة تدريس الفقه بالجامع الشيخوني، وليس هو من وقف شيخو. فلما توفي قُرر باسمي وناب عني فيه تلميذ والدي العلامة محب الدين بن مصيفح إلى أن توفي، فناب عني فيه العلامة فخر الدين المقسي. . . فلما أجازني شيخنا شيخ الإسلام (العلم البُلقيني) بالتدريس، استأذنته في أن أباشر الدرس بنفسي وأن يشرفني بالحضور عندي في أول يوم كما جرت به العادة، فأجاب إلى ذلك»[1].

***التصدي للإفتاء ـ على مذهب الإمام الشافعي** ـ ابتداء بسنة إحدى وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٦ ـ ١٤٦٧م.) وحتى انجماعه في بيته معتزلاً وظائفه، فبلغت فتاويه ـ نثراً ونظماً ـ ثلاث مجلدات، ميز منها نحو خمسين خالف فيها أهل عصره، بأن ألف في كل منها مؤلفاً مستقلاً. . وهو في الغالب الأعم لم يختر شيئاً خارجاً عن المذهب ـ فيها ـ وإن أثارت ثائرة بعض معاصريه[2].

***إملاء الحديث النبوي ـ الشريف ـ بالجامع الطولوني**، مفتتحاً له بيوم الجمعة مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٦٧م.)، متخيراً يوم الجمعة بعد الصلاة ـ من كل أسبوع ـ موعداً لعقد أماليه ـ اتباعاً لسنة أعلام المملين المتقدمين في ذلك ـ مملياً نحو خمسة وخمسين ومائة مجلس بين مطلق ومقيد، وإن تخللتها فترات استرواح وتبطيل إلى أن قطعت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للهجرة (١٤٨٣ م.)، على نحو ما تقرر في قوله:

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) نفسه ص ٨٩ ـ ٩٠.

«. . . وفي يوم الجمعة مستهل سنة اثنتين وسبعين ابتدأت إملاء الحديث بالجامع الطولوني. . . واخترت كون الإملاء يوم الجمعة بعد الصلاة على خلاف ما كان عليه الحفاظ الثلاثة الذين أملوا في هذا القرن ـ العراقي وولده وابن حجر[1] ـ فإنهم كانوا يملون بكرة يوم الثلاثاء، اتباعاً مني للحفاظ المتقدمين ـ كالخطيب البغدادي وابن السمعاني وابن عساكر ـ فإنهم كانوا يملون يوم الجمعة بعد الصلاة.

فأمليت أربعة عشر مجلساً مطلقة، ثم أمليت ستة وستين مجلساً على الفاتحة ونصف حزب من سورة البقرة. ثم وقع الطاعون بالديار المصرية، فاشتغل كلٌ بنفسه، فقطعت الإملاء في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة بعد أن أمليت ثمانين مجلساً سوى. ثم أعدته في سنة أربع وسبعين، فأمليت خمسة وأربعين مجلساً في تخريج أحاديث الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للغزالي. ثم قطعت الإملاء مدة مديدة، ثم سألني بعض تلامذتي. . في إعادته لشغفة بالحديث وبراعته فيه ـ ولم ير قط بعينه مجلس إملاء ـ فأعدته في أول سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، فأمليت ثلاثين مجلساً مطلقة، ثم قطعته»[2].

* كما قُرِرَ ـ مؤرخنا ـ في تدريس الحديث وإسماعه بالشيخونية في رجب سنة سبع وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٧٢ م.) بعد وفاة «الفخر بن المقسي»[3].

وبينما يشير «السخاوي»[4] إلى أن مؤرخنا قد تولى هذه الوظيفة بمساعدة الأمير «اينال الأشقر» ـ رأس نوبة النوب ـ على الرغم من أن «الفخر بن المقسي» قد ترك ولداً ـ مما يشير إلى مخالفة المتولي لشرط الوظيفة ـ يقرر «الجلال» أنه وليها

---

(١) تراوحت مجالس إملاء «ابن حجر العسقلاني» بين يومي الثلاثاء والجمعة حسب ما نبه عليه تلميذه السخاوي في الجواهر والدرر ق ١٥١ أ.

(٢) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٨٨ ـ ٨٩، وراجع: تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩.

(٣) هو «فخر الدين، أبو عمرو، عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان بن موسى بن عمران بن موسى» ـ له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ تر ٤٦٤ ص ١٣١ ـ ١٣٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٨٢.

(٤) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٧.

«بشرط الواقف»[1]، وأن توليته فيها كانت تقريراً له من قبل شيخه «المحيي الكافيجي» من غير سؤال منه في ذلك، وهذا قوله:

«. . . وقررني (أي الكافيجي) في تدريس الحديث بالشيخونية لما شغر بوفاة الفخر المقسي من غير أن أسأله، ولا كان لي بذلك شعور، بل ولا كنت أظن أن ذلك يكون»[2].

* وقرر - كذلك - في مشيخة التصوف بتربة الأمير «برقوق» - نائب الشام - بعناية بلديه «أبي الطيب السيوطي»[3] في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وثمانمائة[4] للهجرة (١٤٧٠ م.).

* ثم تولى مشيخة «الخانقاة البيبرسية» في ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وثمانمائة للهجرة (١٤٩٥ م.) بعد وفاة «الجلال البكري»[5] بسعاية الخليفة العباسي[6] «المتوكل على الله»[7]، وفي أثناء شغله لهذه الوظيفة ثار[8] عليه صوفيتها - في شعبان سنة ثلاث وتسعمائة للهجرة (١٤٩٨م.) - «وأرادوا أن يقتلوه، ثم حملوه بأثوابه ورموه في الفسقية».

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٩١.

(٢) نفسه ص ٢٤٤.

(٣) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٧.

(٤) الشاذلي. بهجة العابدين ق ٢٩ ب.

(٥) هو «محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد الديروطي الشافعي»، له ترجمة في: ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٢٨.

(٦) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٢٨، الشاذلي. بهجة العابدين ق ٣٠ أ.

(٧) هو «عبد العزيز بن يعقوب بن محمد»، ت في المحرم سنة ٩٠٣ هـ. / ١٤٩٧ م. - له ترجمة في: السيوطي. تاريخ الخلفاء ص ٥٤٨، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٧٩.

(٨) يبدو ان ذلك كان نتيجة لتهديد مؤرخنا إياهم في جعيلتهم، حيث قال لهم: «لستم بصوفية، وإنما الصوفي من يتخلق بأخلاق الأولياء كما يشهد بذلك كتاب الحلية لأبي نعيم ورسالة القشيري وغيرهما من الكتب، ومن يأكل المعلوم بغير تخلق بأخلاقهم أكل حراماً». (الشعراني. ذيل لواقح الأنوار. مخطط دار الكتب المصرية رقم: ٥١١ - تاريخ، ق ١٠).

وكان «طومان باى» ـ الدوادار الكبير ـ «محطاً[1] عليه»[2]، فلما تسلطن تطلبه قاصداً الإخراق به ـ وكان بينهما حظ نفس ـ فتوارى مؤرخنا منه[3]، ولم يظهر إلا في رمضان سنة ست وتسعمائة للهجرة[4] (١٥٠١ م) بعد انقضاء سلطنة خصمه ـ التي دامت مائة يوم ـ وكانت «كلها شروراً وفتناً مع قصرها»[5]، على حد قول «ابن اياس».

والمستخلص من قول «ابن اياس» أن «الجلال» ـ مؤرخنا ـ ظل شاغلاً لمشيخة الخانقاة البيبرسية مع ما أشير إليه من إخراق الصوفية به وحط الدوادار الكبير عليه إلى أن تسلطن، «فلما اختفى قرر السلطان الشيخ ياسين البلبيسي في مشيخة الخانقاة البيبرسية عوضاً عنه»[6].

ولعل هذا المنصب كان آخر ما تولاه مؤرخنا من الوظائف الرسمية، وكان فيه السبب المباشر لانجماعه في بيته بروضة المقياس ـ «والإعراض عن الدنيا وأهلها، كأنه لم يعرف أحداً منهم»[7] إلى أن توفاه الله سحر ليلة الجمعة، تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة[8] (١٥٠٥م.).

---

(١) يبدو ان ذلك كان من متعلقات حادثة البيبرسية، وهو ما يفهم من قول «الشاذلي»:

«. . . وحكايات الشيخ مع العادل مشهورة، وكراماته فيها ظاهرة منشورة، ولكنها طويلة، وهي من تعلقات صوفية البرقوقية (كذا بالأصل، ولعلها البيبرسية). . . وهي ان أهل البيبرسية رموا بين الشيخ وبين العادل فتنة عظيمة وأوقدوا فيها ناراً للحرب جسيمة، بحيث أن السلطان عصب عصباً شديداً واضمر للشيخ القتل والهلاك».

(الشاذلي. بهجة العابدين ق ٣٣ أ).

(٢) ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٨٨.

(٣) يشير «الشاذلي» ـ بهجة العابدين ق ٣٣ ـ إلى أن مؤرخنا لما تحقق ارادة «العادل» اتلافه، أغلق باب مسكنه، مُوهماً انه ذاهب إلى الحمام، وغيب. معللاً لهروبه بانه سنة الأنبياء والمرسلين، مستنداً في ذلك إلى قوله تعالى (٢١ : الشعراء) حكاية عن موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ففررت منكم لما خفتكم، فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾. فشاع الخبر أن الشيخ غُيب واختفى، فلم يُبْحث عنه.

(٤) ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٧١، ج ٤ ص ٥ ـ ٦.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٤٧٧.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٤٧١.

(٧) النجم الغزي. الكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٨.

(٨) الشاذلي. بهجة العابدين ق ٤٣ أ. وفيه أن مؤرخنا ابتدأ مرضه ثاني عشر جمادى الأولى سنة إحدى=

وقبل النقلة إلى جانب آخر من جوانب هذه الحياة الخصبة لمؤرخنا، فإنه تجدر الإشارة إلى أن «السيوطي» كان يتوق إلى تولي منصب القضاء توقاناً يفوق توقان أبيه إليه، لقد كانت أمنيته فيه أن يكون قاضياً فوق كل قاضٍ، كما جعل من شخصه عالماً فوق كل من عاصره من العلماء، وهو ما يستخلص من قول «ابن اياس» ضمن حوادث سنة اثنتين وتسعمائة للهجرة:

«... ومن الحوادث أن الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز عهد[1] للشيخ جلال الدين الأسيوطي بوظيفة لم يُسمع بها - قط - وهو أنه جعله على سائر القضاة قاضياً كبيراً، يولي منهم من شاء ويعزل من شاء، مطلقاً في سائر ممالك الإسلام، وهذه الوظيفة لم يلها - قط - سوى القاضي تاج الدين بن بنت الأعز[2] في دولة بني أيوب[3]، فلما بلغ القضاة ذلك شق عليهم، واستخفوا عقل الخليفة على ذلك، وقالوا: ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل، ولكن الخليفة استخف بالسلطان[4] لكونه حديث السن، وقصد أن يكون الأمر مغدوقاً به[5] دون السلطان، فلما قامت الدائرة والأشلة[6] على الخليفة رجع عن ذلك، وقال: ايش كنت أنا، الشيخ جلال الدين هو الذي حسن لي ذلك، وقال: هذه كانت وظيفة قديمة وكانت الخلفاء يولونها لمن يختارونه من العلماء.

= عشرة وتسعمائة للهجرة (١٥٠٥ م.) بورم شديد في دراعه الأيسر، فمكث سبعة أيام وتوفاه الله.
وراجع بشأن تحقيق موضع قبره:
احمد تيمور. قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه. القاهرة، السلفية، ١٣٤٦ هـ.

(١) راجع نص هذا العهد في ملحق رقم: « ١ » من هذا البحث.

(٢) هو «عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي المصري، الشافعي»، ت ٦٦٥ هـ. / ١٢٦٧ م. - ولم يكن إليه إلا قضاء الديار المصرية فقط - راجع: ابن دقماق. الجوهر الثمين ج ٢ ص ٧١ حاشية رقم ١.

(٣) الوارد في نص العهد أن هذه الوظيفة تقلدها قبل مؤرخنا «الليث بن سعد» من قبل الخليفة «هارون الرشيد».

(٤) هو الملك «الناصر محمد بن قايتباي».

(٥) العدق: العزير (ابن فارس. مجمل اللغة ج ٣ ص ٦٩٢)، والمعنى: أنه يستبد بالأمر فيصرف أكثره.

(٦) الأشل: الليث (ابن منظور. لسان العرب ج ١ ص ٨٥)، وجمعه «ابن اياس» على: الأشلة، والمعنى: استأسدوا به وثارت ثائرتهم عليه.

ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك، وبعث أخذ العهد الذي كتبه للشيخ جلال الدين الأسيوطي، وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك، ووقع أمور يطول شرحها حتى سكن الحال بعد مدة»[1].

وعلى كل حال فإن «السيوطي» لم يل منصب القضاء ـ قط ـ وإن كان من الطريف أن يُذكر أنه ـ وقد يأس من تقلده ـ أقلع عن السعي الحثيث إليه ـ فيما يبدو ـ ذاماً له في مؤلف مستقل، هو «ذم القضاء»[2]، وأن يُذكر ـ كذلك ـ أن خصمه «السخاوي» قد رشحه لتقلده عندما عَرَض «الأتابك» المنصب عليه[3].

---

(١) ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٣٩.
(٢) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١١٧، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٤٣.
(٣) السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ٣٢.

مؤلفاته

« . . . وكان في سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى من آيات الله ـ تعالى ـ قال تلميذه الداوودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً، وكان مع ذلك يملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة ».

«ابن الغزي»

«الكواكب السائرة»

«إني رجل حبب إليّ العلم والنظر فيه دقيقه وجليله، والغوص على حقائقه، والتطلع إلى إدراك دقائقه، والفحص عن أصوله، وجبلت على ذلك، فليس فيّ منبت شعرة إلا وهي ممحونة بذلك»

«السيوطي»

«تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة»

جمع «السيوطي» ـ رحمه الله ـ بين فن الكتابة التاريخية والدراسات التأليفية المتنوعة التي تخدم أكثر فروع المعرفة المتعارف عليها آنذاك، بحيث ترك تراثاً تأليفياً ضخماً، أحصى منه ثلاثة وثلاثين وخمسمائة مصنفاً[1]، بينما قدره «ابن اياس»[2] بنحو ستمائة مصنف، اشتملت على علوم القرآن ـ الكريم ـ وتفسيره، والحديث النبوي ـ الشريف ـ وعلومه، والفقه وأصوله، والمنطق، والتصوف، وعلوم اللغة والأدب والبلاغة، والأنساب، والتاريخ والتراجم[3]. بل ربما ألف في موضوعات خاصة لا يتطرق إلى الذهن أن يرد فيها مؤلفات مستقلة، كمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة[4]، وفصل الخطاب في قتل الكلاب[5]، والظفر بقلم الظفر[6].

فقد كان ـ رحمه الله ـ مفتوناً بالتصنيف، مكثراً من التأليف، مدركاً أهميته له ولغيره ـ سواء في الحياة أم بعد الموت ـ فالكتاب ـ في مدركه ـ «يُقرأ بكل مكان،

---

(١) السيوطي. فهرست مؤلفاته، ضمن مجموع يحمل اسم «رسائل اثنا عشر للسيوطي»، يحتفظ به قسم المخطوطات التابع لرياسة مجلس الوزراء اللبناني.

(٢) ابن اياس. بدائع الزهور ج ٤ ص ٨٣.

(٣) راجع بشأن ذلك: السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٠٥ ـ ١٣٦، التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة. مخط. التيمورية رقم ٢٠٢ ـ مجاميع ق ٤٥ ـ ٤٦، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٤، فهرست مؤلفات السيوطي، مخط. بيروت، أحمد الشرقاوي اقبال. مكتبة السيوطي، سجل يجمع ويصنف مؤلفات جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. الرباط، دار المعرب، ١٩٧٧.

(٤) السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٤٢.

(٥) نفسه ص ٣٤٣.

(٦) نفسه ص ٣٤٢.

ويدرس في كل زمان»[1]، ولذا فإنه «أبقى آثراً»[2] باعتبار أنه «مطلق في الشاهد والغائب»[3]، مما يجعله «يخلد بعد» مؤلفه[4]، ويصحبه نفعه في آخرته، لما روي من حديث «أبي هريرة» ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ : «إنما يلحق المؤمن من حسناته بعد موته علماً نشره »[5].

ولما كان تصنيف الكتب «من فروض الكفاية»[6]، فإنه لا يحل «لمن منحه الله فهماً واطلاعاً» العزوف عنه، إذ «لو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس»[7] وضاع في آخرته، لما ورد في صحيح الأخبار: « من عُلم علماً فكتمه ألجمه الله بلجام من نار»[8].

لكن يبدو أن هذه الرغبة التي تيسرت في هذا التراث الضخم قد يسرتها لمؤرخنا عدة عوامل يمكن إجمالها في الآتي:

ـ **اشتغاله بالعلم منذ الصغر، وانكبابه عليه حتى الممات**، على نحو ما نُبه عليه من خلال ترجمته، وما يحمله قوله عن نفسه من أنه: «نشأ في حجر العلم منذ كان في مهده، ودأب فيه غلاماً وشاباً وكهلاً»[9].

بل ربما يكون من المفارقات العجيبة أن يُذكر أنه ولد بين الكتب، فقدر له أن يمكث بينها دارساً وباحثاً ومصنفاً حتى الوفاة، إن صح قول العيدروسي فيه:

« . . . وكان يلقب بابن الكتب، لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتي به فجاءها

---

(١) السيوطي. التعريف بآداب التأليف ص ٥ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه ص ٢ .
(٥) نفسه، وهو مما أخرجه ابنا ماجه وخزيمة ـ رضي الله عنهما.
(٦) نفسه ص ٢ ـ ٣.
(٧) نفسه ص ٣.
(٨) السيوطي. الاتقان في علوم القرآن ج ٤ ص ٣٠١.
(٩) السيوطي. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ص ٦ .

المخاض وهي بين الكتب فوضعته»[١].

- ما جُبل عليه مؤرخنا من ملكتي «الحفظ»، و«سرعة الكتابة»، فضلاً عن الرغبة في الإستقصاء والصبر عليه في كثير من الأحيان.

أما «ملكة الحفظ»، فيكشف عنها ما أشير إليه من حفظه القرآن - الكريم - وهو دون الثامنة من العمر، وإخباره عن نفسه أنه كان «يحفظ مائتي ألف حديث. قال: ولو وجدت أكثر لحفظته»[٢]، وقوله فيما حكاه عن منافسته «للشمس الجوجري» وسن مؤرخنا - إذ ذاك - عشرون سنة:

« ولقد جاورت أنا وإياه بمكة - المشرفة - في سنة تسع وستين (وثمانمائة) وسني - إذ ذاك - عشرون سنة. فكنت أجلس أنا وإياه في حاشية المطاف من قبل المغرب بساعة إلى بعد العشاء نتحاور في أنواع العلوم... وكنت أستحضر له غرائب المنقولات ودقائق الفنون الخفية معزوة إلى قائلها من الكتب المشهورة والغريبة، حتى يقضي هو والحاضرون العجب من ذلك. حتى انتقلنا إلى نظم الشعر، حتى انتقلنا إلى الحكايات الهزلية. فقلت له: لا تحكي حكاية إلا حكيت لك من نمطها حكايتين أحسن من حكايتك. قال: ولم تكون أحسن؟ قلت: لأنك تحكي عن زعيط ومعيط، وأنا إذا حكيت حكاية أذكر من خرجها من أئمة الحديث باسناده أو أوردها من المؤلفين في كتابه »[٣].

وربما كان حفظه للشيء أدوم، بحيث يبعد عنه النسيان، على النحو الوارد في قوله:

«... وما وقع لي شيء - قط - وأعجلت النظر فيه، ولا سمعت أو رأيت شيئاً - قط - ونسيته »[٤].

ولعل من شواهد ذلك ما ورد لديه في أثناء ترجمته «للبرهان ابن ظهيرة»:

(١) العيدروسي. تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٥١.
(٢) ابن الغزي: الكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٨.
(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٨٤ - ١٨٥.
(٤) نفسه ص ١٦٥.

«. . . نقلت له نقلاً عن الارتشاف فأنكره، ثم أرسل أحضره من البيت، فوجد النقل فيه كما ذكرت »[1].

وأما « **سرعة الكتابة والتأليف**»، فيشير إليها «ابن الغزي» فيما نقله عن «الداوودي» قائلاً :

«. . . وكان في سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى من آيات الله ـ تعالى ـ قال تلميذه الداوودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً، وكان مع ذلك يملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة »[2].

وأما « **الرغبة في الاستقصاء والصبر عليه**»، فيشير إليها حديث مؤرخنا عن مؤلفه «الخصائص الكبرى»، قائلاً:

« . . . لقد أقمت في تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الآلاف، وأضفت عليها من كتب التفسير والحديث وشروحه والفقه والأصول من كتب المذاهب الأربعة والتصوف وغيرها ما يجل عن العد والوصف، بحيث أن الروضة التي هي أعظم كتب المذاهب وأجمعها ليس فيها من الخصائص عشر ما في كتابي، ولا ظفر طالب بما يرويه في هذا الباب إلا من كتابي، وأنا إلى الآن ساع في الزيادة، وكل وقت أظفر في المطالعة بخصيصة لم تكن قبل ذلك في كتابي مفادة اقتبستها اقتباساً حسناً وهذبتها تهذيباً يزيل عن الطالب وسنه»[3].

كما يظهر أثر ذلك في الكثير من تصانيف مؤرخنا، وإن لم تكن من المؤلفات التاريخية، على نحو ما سوف يبين في موضعه.

ـ **الرغبة المبكرة في التأليف، والدربة عليه في سن متقدمة نسبياً**، فلقد أشار مؤرخنا إلى أنه ألف ثلاثة كتب ولما يبلغ السادسة عشر عاماً من عمره، وهي :

---

(١) السيوطي. نظم العقيان تر ٦ ص ٢١.

(٢) ابن الغزي. الكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) السيوطي. الفارق بين المصنف والسارق ص ٧٤٥.

«شرح الاستعاذة والبسملة»، و«شرح الحيلعة والحوقلة»، و«الشمعة».

وإلى أنه قوبل فيها ـ آنذاك ـ بتشجيع الأساتيذ والنبهاء، حيث قرظوا له عليها بعبارات فخمة، مع كونها كتابات «مبتدىء»، وهو ما يفهم من قوله:

«. . . كتب شيخنا شيخ الإسلام قاضي القضاة علم الدين البلقيني على تأليفي شرح الاستعاذة والبسملة، وشرح الحيعلة والحوقلة ـ وهما أول ما ألفته في زمن الطلب، وذلك في سنة خمس وستين (وثمانمائة) ما نصه:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وقفت على هذين التصنيفين اللطيفين المباركين المشتملين على الفوائد الكثيرة والفرائد الغزيرة، فوجدتهما مشتملين على أشياء حسنة وألفاظ مستحسنة، فحق أن ينوه بفضل مصنفهما، ويذكر ما حواه من الفضائل وما حرره من المسائل، شكر الله سعيه على ذلك، وسلك بنا وإياه أحسن المسالك، وجعلنا وإياه مع الذين أنعم الله عليهم، وحسن أولئك»[1].

وقوله:

«. . . وهذان الكتابان وإن اشتملا على فوائد يبتهج بها المبتدىء فإني لا أعتبرهما الآن، ولولا أن شيخنا شيخ الإسلام وقف عليهما وشرفهما بخطه لغسلتهما في جملة ما غسلته، فإني غسلت ما هو أجل بالنسبة إليهما، وإنما أبقيتهما لشرف خطه وبركته»[2].

ـ **اعتزاله الحياة العامة في سن مناسبة**[3]، مما يسر له وقتاً كافياً استثمر في المطالعة والبحث، والتصنيف والتأليف.

ـ **ذيوع وانتشار مؤلفاته في حياته**، بحيث «وصلت إلى الشام والروم والعجم

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٣٧.

(٢) نفسه ص ٢٣٩، وراجع الفصل الخامس عشر (ص ١٣٧ ـ ١٥٤)، حيث أثبت الكثير مما قرظ به على مصنفاته، أو قيل فيها مدحاً.

(٣) حيث أشارت بعض مصادر ترجمته إلى اعتزاله الحياة العامة في سن الاربعين من عمره، وإن كان ذلك من المشكوك فيه، على النحو المبين قبل.

والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور، وامتدت من التكرور إلى البحر المحيط»[1]، على حد تعبيره.

ـ ما خاض فيه من مشكلات وعراكات متتالية مع بعض السلاطين والأمراء والعلماء والعامة. . أدت به إلى تصنيف الكثير من المؤلفات «الوقتية» التي أُسست في معظمها على «الفتاوي»، أو وردت في شكل «مقامات» انتصف فيها لنفسه.

ـ العمد الى تأليف عدد من الكتب أو الرسائل في وقت واحد، وهو ما يفسره تركه الكثير منها دون تتمة[2].

على أن **طبيعة مؤلفاته** ذاتها من العوامل المساعدة على الإكثار فيها، فهي في معظمها لا تزيد عن كونها مما يغلب عليه سمة «التلخيص» أو «الجمع الموفق من الكتب المتعددة»، فلقد كان «التلخيص» وما زال مطلباً مهماً يتطلب من مورده مهارة وقدرة على استيعاب ما يُقرأ، وحسن اختيار لما يُنقل، وتوفيق في العرض، وأمانة في النقل أو العزو إلى المصادر. . وإن كان مثل هذا النوع من التأليف قد حفظ لنا الكثير من الأخبار والمعارف التي فُقدت أصولها ـ غالباً ـ وسهل وصول المعرفة الى مطالعه، بجمع شتات ما توزع في كثير من المصادر أو أجزاء المصدر الواحد ـ خاصة إذا كان من المصادر المطولة، متعددة الأجزاء ـ مما مكن لمثل هذه الأخبار والمعارف من الإنتشار والذيوع، فإنه يبقى الحكم على قيمة كل مصنف من هذا النوع بالقياس إلى الأصول المنقول عنها.

كما أن الغالبية العظمى من مؤلفاته رسائل صغيرة تشبه إلى حد كبير ما نسميه اليوم «بالمقالة»، بل منها ما لم يزد عن كونه ورقة واحدة[3].

ومنها ما اضطره ظرف حاضر إلى الإنشاء السريع، انتصافاً لذاته، على النحو

---

(١) السيوطي. التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة. مخط. التيمورية رقم ٢٠٢ مجاميع، ق ٤٥.

(٢) راجع: السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٢٩ ـ ١٣٦، حيث القسم السابع من مؤلفاته، وهو مما شرع فيه وفتر العزم عنه، وكتب منه القليل.

(٣) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٨.

المشار إليه قبل، ويمثله الكثير من «مقاماته».

ومنها ما تداخلت مادته في بعضه البعض، بحيث يمكن أن تشكل عدة مؤلفات أو رسائل مؤلفاً واحداً، وتكون هذه الرسائل له بمثابة العناصر المشكلة له، ويمثل ذلك «الاتقان في علوم القرآن»، والذي جمع فيه الكثير من الموضوعات المفردة بالتأليف، و «الحاوي للفتاوى»، والذي احتوى على الكثير من الرسائل والمؤلفات الصغيرة المؤسسة على الفتاوي الفقهية والتفسيرية والحديثية والأصولية والنحوية والإعرابية[1].

بل ربما خص الموضوع الواحد بأكثر من مؤلف، حيث الكتابة فيه للمرة الأولى متعجلاً، ثم العود إليه مستوعباً ومنقحاً.

ويمثل ذلك تأليفه لكتابه «التحبير في علوم التفسير»، ثم عمده إليه مزيداً في مادته، موسعاً في أبوابه في مؤلفه «الاتقان في علوم القرآن »[2].

والشيء عينه مع فارق في الموضوع قد تحقق في مؤلفيه «تحفة الجلساء برؤية الله للنساء»[3]، و«إسبال الكساء على النساء »[4] حيث ألف الأول متعجلاً، فاستوعب موضوع ما تُعجِل فيه في ثانيهما.

ويمكن أن يلحق بذلك كتابه «النقاية» ـ الذي ضمنه خلاصة أربعة عشر علماً هي: أصول الدين، والتفسير، والحديث، وأصول الفقه، والفرائض، والنحو، والتصريف، والخط، والمعاني، والبيان، والبديع، والتشريح، والطب، والتصوف. . مراعياً فيه الإيجاز والاختصار، ثم عمده إليه شارحاً لما أوجز واختصر بمؤلف آخر هو «إتمام الدراية لقراء النقاية»[5].

---

(١) راجع: السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٢١ ـ ١٢٦، والحاوي للفتاوى ج ١ ص ٨.
(٢) راجع: السيوطي. الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٩ ـ ٣٢.
(٣) السيوطي. تحفة الجلساء برؤية الله النساء (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٣٩٧ ـ ٤٠٢).
(٤) السيوطي. إسبال الكساء على النساء. بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٤ م.
(٥) السيوطي. كتاب اتمام الدراية لقراء النقاية. بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥ م.
ويلاحظ أنه قد ألحق به كتاب «النقاية».

وربما وضع للمؤلف الواحد عنوانين مختلفين[1]، مما يتوهم معه لمن لم يتوافر على مطالعته أنهما لمؤلفين مختلفين، فيزيد في عدد ما ينسب إلى مؤرخنا من مؤلفات.

(١) من ذلك إطلاقه على ما جمعه من مستفاد رحلته إلى دمياط والاسكندرية اسم «الاعتباط في الرحلة إلى الاسكندرية ودمياط»، أو «قطف الزهر في رحلة شهر».
(راجع: السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٨٣).

مباهاته بالعلم ودعواه الاجتهاد

« إني حامل لواء العلم لمن يهتدي، والإمام المقدم فيه لمن يروم أن يقتدي، ومني يستمد كل دانٍ ونـاءٍ، وما في المشـرق والمغرب ـ الآن ـ أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي».

«الجلال السيوطي»

«الدوران الفلكي على ابن الكركي».

واكبت الغالبية العظمى من مؤلفات مؤرخنا «مباهاة عريضة» جعلته يقرر في نفسه أنه لا يدرك مداه في علمه وفي تأليفه، وأن أكثر تصنيف أهل عصره دون تصنيفه، وأن مبلغ علمهم لا يرقى إلى أدنى علومه، مما دفعه إلى مقتهم وتحقيرهم والاستعلاء عليهم.

يبين ذلك من خلال حديثه عن نفسه في مؤلفه «تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة» قائلاً:

« . . . وبعد، فإني رجل حبب إليّ العلم والنظر فيه دقيقة وجليلة، والغوص على حقائقه، والتطلع إلى إدراك دقائقه، والفحص عن أصوله، وجبلت على ذلك، فليس فيّ منبت شعرة إلا وهي ممحونة بذلك، وقد أُوذيت على ذلك أذىً كثيراً من الجاهلين والقاصرين، وذلك سنة الله في العلماء السالفين، فلم يزالوا مبتلين بأسقاط الخلق وأراذلهم، وبمن هو من طائفتهم ممن لم يرتق إلى محلهم»[1].

وهكذا، فلقد أسند العلم لذاته، وجرد منه معاصريه ممن عارضه في فكره أو علمه، ناعتاً لهم «بالجاهلين القاصرين»، و«بأسقاط الخلق وأراذلهم».

ويتردد صدى هذه «المباهاة العريضة» - كذلك - في مؤلفه «الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعي»، حيث يقول في مقدمته:

« . . . وكيف يقاس من نشأ في حجر العلم منذ كان في مهده، ودأب فيه غلاماً وشاباً وكهلاً، حتى وصل إلى قصده، بدخيل أقام سنوات في لهو ولعب،

---

(١) السيوطي. تعريف الفئة باجوبة الأسئلة المائة، ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٥٣٢.

وقطع أوقاتاً يحترف فيها أو يكتسب، ثم لاحت منه التفاتة إلى العلم، فنظر فيه وما احتكم، وقنع منه بتحلة القسم، ورضي بأن يقال: عالم وما اتسم؟»[1].

كما يشير من خلال ترجمته الذاتية في كتابه «حسن المحاضرة» إلى أن درجته في بعض العلوم لا تدانيها درجة «أشياخه» فمن دونهم، قائلاً:

«... والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة (التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع) سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي، فضلاً عمن هو دونهم»[2].

ولذا نجده يشير من خلال مؤلفه «التحدث بنعمة الله»، وقد تعرض لتصنيف مؤلفاته، إلى أن القسم الأول منها «لم يؤلف له نظير في الدنيا»، فهو ينفرد به عن «الماضين والمعاصرين»، وأن كان قد أقام العذر للماضين، فإنه قد أقام الحجة على معاصريه، قائلاً:

«... وليس ذلك لعجز المتقدمين عنه ـ معاذ الله ـ ولكن لم يتفق أنهم تصدوا لمثله. وأما أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله لما يحتاج إليه من سعة النظر وكثرة الاطلاع وملازمة التعب والجد»[3].

وهو بهذا قد سلب من عاصره من العلماء نعوتاً نسبها لذاته، وهي: «سعة النظر، وكثرة الاطلاع، وملازمة التعب والجد».

ولا غرو ـ والحال كذلك ـ أن أشار من خلال مقامة «الفارق بين المصنف والسارق» إلى أن مؤلفاته هي «الدرر الفوائد»[4]، و«عين القلادة»[5]، وأن دأب ينعت أكثر هذه المؤلفات بنعوت تتسم «بالمباهاة العريضة»، كنحو نعته لكتابه

---

(١) السيوطي. الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعي ص ٦.

(٢) السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٨.

(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٠٥.

(٤) السيوطي. الفارق بين المؤلف والسارق ص ٧٤٥.

(٥) نفسه ص ٧٤٨.

«إسعاف المبطأ برجال الموطأ» بأنه «يفوق الكتب المؤلفة»[١] في موضوعه، ونعته لكتابه «الاتقان في علوم القرآن» بأنه «الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، الكثير الفوائد والاتقان»[٢] مشيراً إلى أن مطالعه سيروى «من مناهله العذبة رياً لا ظمأ بعده أبداً»[٣]، ونعته لكتابه «الإكليل في استنباط التنزيل» بأنه غزير العلم، مخاطباً مطالعه بقوله: «فاشدد بهذا الكتاب يديك، وعض عليه بناجذيك، ولا يحملنك على استحقاره صغر حجمه، فمن نظر إليه بقلب سليم بان له غزارة علمه»[٤].. إلى ما شابه ذلك مما انتشر في أكثر مؤلفاته، والتي تفاوتت مادتها تفاوتاً كبيراً في إقرار ونفي دعواه فيها.

على أنه قد ارتقى من هذه «المباهاة العريضة» إلى دعوى أوسع منها مدى، وهي «دعوى الاجتهاد المطلق»[٥]، مستنداً في ذلك إلى ما روي عن النبيﷺ من قوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٦]، وإلى ما اعتقده في ذاته من أنه المتفرد في عصره بالتبحر في أنواع العلوم، بل واختراع بعضها، والاكثار من التصنيف فيها تصانيف لم يُسبق إلى نظيرها، بحيث اشتهرت وتوزعت في سائر الأقطار، وهو ما يحمله قوله:

«... فهم عني أني ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالي لنفسه أني المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم من التفسير وأصوله، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وأصولها، والنحو

---

(١) السيوطي. اسعاف المبطأ برجال الموطأ ص ٢.

(٢) السيوطي. الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٧.

(٣) نفسه.

(٤) السيوطي. الاكليل في استنباط التنزيل ص ١١.

(٥) صنف «السيوطي» المجتهدين إلى «مستقل»، و«غير مستقل»، وجعل مراتب غير المستقل أربع، وهي: المطلق، الذي لم يقلد إمامه، ولكن يسلك طريقه في الاجتهاد، والمقيد، وهو مجتهد التخريج، ومجتهد الترجيح، ومجتهد الفتيا. مشيراً إلى أن ما يدعيه هو الاجتهاد المطلق لا الاستقلال.

(السيوطي. الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ص ٩٨).

(٦) السيوطي. تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد ص ٥٩.

والتصريف وأصولهما، والجدل، والمعاني والبيان والبديع، والتاريخ، وتصنيفي في جميع ذلك المصنفات البارعة الفائقة، التي لم أسبق إلى نظيرها، وعدتها إلى الآن نحو خمسمائة مؤلف، وقد اخترعت أصول اللغة.. وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار، ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور، وامتدت من التكرور إلى البحر المحيط، ولا مشارك لي في مجموع ما ذكرته، ولا اجتمع لأحد من الموجودين الآن مجموع العلوم التي اجتمعت لي، ولا وصل ـ الآن ـ أحد إلى رتبة الاجتهاد المطلق غيري فيما أعلم»[1].

ويبدو أن مؤرخنا لم يقل بدعوى «الاجتهاد» صراحة في بادىء الأمر، وإنما كان لاحتدام الخصومة بينه وبين أحد منافسيه «الشمس الجوهري» كبير الأثر في إظهاره لها، وهو ما يفهم من قوله:

«... وأما ما يتعلق بدعوى الاجتهاد، فإني لم أقله في الابتداء صريحاً بلساني، وإنما ذكرت ذلك في بعض الكتب[2]، فنقله من قصد التشنيع لا الشهرة.

---

(١) السيوطي. التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة. مخط. التيمورية رقم ٢٠٢ مجاميع، ق ٤٥ - ٤٦.

(٢) يبدو أن المقصود بذلك كتابه «حسن المحاضرة»، حيث جاء تمني ذلك في موضعين منه (ج ١ ص ٣٢٩، ٣٣٩).

أما الموضع الاول فقد جاء التمني غير صريح في قوله:

«... ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون... وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر».

بينما أشار في الموضع الثاني ـ من خلال ترجمته الذاتية ـ إلى اكتمال شروط الاجتهاد لديه، وإن لم يصرح بأنه المجتهد المطلق على رأس القرن، قائلاً:

«... وقد كملت عندي ـ الان ـ آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر».

على أنه قد تمنى ذلك صراحة في منظومته «تحفة المهتدين بأسماء المجددين ـ مخط. التيمورية رقم: ٢٠٢ مجاميع ـ قائلاً:

«وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وعد
وقد رجوت أني المجدد فيها ففضل الله ليس يجحد»

فلما رجعت فيه وصرت أقرر لمن راجعني فيه أمره، مع أني عددت تصدي هذا العدو لاشهاره فضلاً من الله أجراه على يديه، فلا أستطيع القيام بشكر عشر معشاره »[1].

وهكذا فإن «السيوطي» قد أحس معنى الاجتهاد في نفسه، فاندفع يقرر في الأذهان أنه الإمام المجتهد، المجدد لدين الأمة، والمتفرد بالعلم على رأس المائة التاسعة[2]، مسقطاً كلية قيام الاجتهاد في نفوس غيره من معاصريه الذين «شق عليهم جداً» ادعاء مؤرخنا ذلك، «واستعظموه، وربما عدوا هذا القول من الهذيان والخرافات»[3]. معللاً لدعواه فيهم بقوله:

« . . . والسبب في ذلك أن أحداً منهم لا يمكن أن يدعيه لنفسه ولا يدعيه له أحد من خاصته لخلوه عن أكثر شروطه، إذ غاية الواحد منهم أن يتقن فناً واحداً وهو الفقه، مع أن علم الفقه نفسه ليس من شروط الاجتهاد»[4].

مجيباً كل من نفى عنه «دعوى الاجتهاد المطلق» بعبارات تتسم بالخشونة والتحدي، كنحو قوله:

« . . . إني حامل لواء العلم لمن يهتدي، والإمام المقدم فيه لمن يروم أن يقتدي، ومني يستمد كل دان وناء، وما في المشرق والمغرب ـ الآن ـ أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي»[5].

وقوله:

« . . . فإنه ثم من ينفخ أشداقه ويدعي مناظرتي، وينكر عليّ دعواي الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة ، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٩٩ .
(٢) نفسه ص ٢٠ ، والكشف عن مجاورة هذه الأمة الألف (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٢٤٨).
(٣) السيوطي. تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد ص ٣٠.
(٤) نفسه.
(٥) السيوطي مقامة الدوران الفلكي على ابن الكركي. مخط. التيمورية رقم ٢٠٢ مجاميع، ق ٩٧.

عليّ من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ونفخت عليهم نفخة صاروا هباء منثوراً »[1].

وقوله:

« . . . فإن الناس قد غلب عليهم الجهل وطمهم، وأعماهم حب العناد وأصمهم، فاستعظموا دعوى الاجتهاد وعدوه منكراً بين العباد، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات في كل عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة منهم في كل قطر »[2].

وطبيعي أن يُحدث ذلك «فتنة» بين العلماء، بحيث ثارت ثائرتهم عليه، وسعوا سنة «تسع وثمانين وثمانمائة للهجرة» في رفع الأمر إلى السلطان بغية عقد مجلس يناظرون «السيوطي» فيه، بيد أن مؤرخنا لم يمتثل لذلك، معللاً رفضه حضور مثل هذا المجلس بقوله:

« العلماء قد نصوا على أنه لا يسوغ للمجتهد أن يناظر المقلد، فمناظرتي تحتاج إلى حضور مجتهدين: مجتهد يناظرني، ومجتهد يكون حكماً بيني ومن يناظرني»[3].

ولم ينحسم الأمر، ولم تسكن الفتنة إلا بسعاية كاتب السر في الصلح بين مؤرخنا وبين معارضيه، حيث جنح «السيوطي» إلى الصلح في رسالة أسماها «النجح في الإجابة إلى الصلح»[4] أرسل بها إلى كاتب السر، وقرئت في مجلسه وتداولها الناس.

ولعل ما نلمسه من اعتداد مؤرخنا بنفسه إلى هذا الحد الذي تراءى في دعواه «التفوق» على أقرانه، ونسبته «الاجتهاد المطلق» إلى ذاته راجع بالدرجة الأولى إلى

(١) السيوطي. الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف (ضمن مؤلفه الحاوي للفتاوى) ج ٢ ص ٢٤٨.
(٢) السيوطي. الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ص ١٩.
(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٩٣.
(٤) نفسه ص ١٩٤ ـ ٢٠١، حيث ضمنه هذه الرسالة.

«الطموح المبكر» الذي صاحبه منذ الصغر، حيث سرعة الحفظ واتقانه، وسعة الاطلاع وتنوعه، مما يسر له التفوق على بعض أقرانه وإن كبره القرين سناً وشاركه في الحفظ والاطلاع والتتلمذ على كثير من الشيوخ ـ على النحو الوارد في منافسة مؤرخنا للشمس الجوجري ـ بل وإجازته بالتدريس في سن مبكرة، وما رزقه من سعود في مصنفاته، سواء بتقريظ أعلام عصره عليها، أو باشتهارها وتوزعها في كثير من البلدان في حياته.

فضلاً عن «روح المنافسة» و«التحدي» اللذين تبادلهما مع أقرانه، حيث أذكيا في نفسه أنهم دونه، وأن ما عُورض فيه من علم أو رد عليه من فتوى لا يرجى به الحق، وإنما هو الحسد وطلب الرياسة، وهو ما يحمله قوله:

« . . . إني في زمان ملأ الله قلوب أهله من الحسد، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمهم، وأعماهم حب الرياسة وأصمهم، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه، وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه، يريد الإنسان منهم أن يتقدم، ويأبى الله إلا أن يزيده تأخراً، ويبغي العز ولا علم عنده فلا يجد له ولياً ولا نصيراً . . . ومع ذلك فلا ترى إلا أنوفاً مشمخرة، وقلوباً عن الحق مستكبرة، وأقوالاً تصدر عنهم مزورة، كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم، كأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم، فالعالم بينهم مرجوم يتلاعب به الجهال والصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان»[1].

---

(١) السيوطي. الاتقان في علوم القرآن ج ٤ ص ٣٠٠ - ٣٠١.

الخصومة بين «السيوطي» ومعاصريه

« إن الله جل جلاله حكى في كتابه العزيز مقالات المعتدين من بني إسرائيل وغيرهم، وردها لأجل بيان الحق وإرشاد المهتدين، ولم يترك ذلك لسقطاتهم. فاقتدى العلماء بذلك وجعلوه حجة لهم فيما صنعوه » .

«الجلال السيوطي»

«التنبئة بمن يبعثه الله
على رأس كل مائة »

عاش «السيوطي» مغاضباً لبعض من عاصر من السلاطين والأمراء والعلماء والعامة. . مصادماً لهم، فأدت به هذه المصادمات وما صاحبها من غضبات إلى حالة نفسية حرجة، اقتضته اعتزال الحياة العامة والانجماع في بيته وقد أغلق طاقاته المطلة على النيل، معرضاً عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم[1]، مؤجلاً الاحتكام في ظلامته إلى يوم القيامة[2].

والحق أن هذه الخصومات ترجع بالدرجة الأولى إلى الاعتداد المسرف من مؤرخنا بذاته، كما كشف عنه مباهاته العريضة بعلمه، وترقيه إلى دعوى الاجتهاد، وترفعه على أقرانه، وتصميمه على ما رُوجع فيه من آراء أو مواقف، وعدم مبالاته بمن عارضه فيها، اقتناعاً منه بأن «العالم لا يماري ولا يداري، ينشر حكمة الله، فإن قُبلت حمد الله، وإن رُدت حمد الله»[3]. فضلاً عن قناعته بأن ما عُورض فيه إنما هو لجهل أو حسد المعارض لمكانته التي هي فضل من الله يؤتيه لمن يشاء من عباده[4]. ولذا كثيراً ما غضب لأدنى مساس بفكره. . بل ربما كان السبب الرئيس في إنشاء الكثير من مؤلفاته يرجع إلى تلك الغضبات التي كان يتولد عن الواحدة منها مقامة أو أكثر تهدف إلى المنافحة والمناقشة في سبيل تقرير ما اعترض عليه من أفكاره وفتاويه.

---

(١) الشعراني. ذيل لواقح الأنوار ق ٩ ب، ابن الغزي. الكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٨.

(٢) وهو ما يفهم من تأليفه لمؤلفه «تأخير الظلامة ليوم القيامة» ـ راجع: الشعراني. ذيل لواقح الأنوار ق ١١ ا.

(٣) السيوطي. هدم الجاني على الباني (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١٥٢).

(٤) السيوطي. الاتقان في علوم القرآن ج ٤ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١، التحدث بنعمة الله ص ١٦٠ ـ ٢٠٢، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٩.

كما ترجع ـ كذلك ـ إلى رد فعل هذا المسلك في نفوس معاصريه من العلماء، الذين تحاملوا ـ في معظمهم ـ عليه واستفزوه قولاً وفعلاً.

وهو ما يبين من خلال استعراض مواقفه من بعض السلاطين والأمراء والعلماء والعامة.

أما موقفه من السلاطين، فيقص علينا كلٌ من «الشعراني»[1] و«الشاذلي»[2] طرفاً منه، مشيرين إلى أن السلطان «قايتباي» قد رسم أول المحرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة (١٤٩٣ م.) بطلوع مؤرخنا وجماعة تربة الأمير «برقوق» إليه ـ وقد كان بيد السلطان النظر عليها ـ لأخذ معاليمهم (رواتبهم)، فطلع «السيوطي» إليه وعلى رأسه الطيلسان، فقال له السلطان: أنت مالكي حتى تتطيلس ؟! ـ لظنه أنه خاص بالمالكية فقط ـ فأجابه مؤرخنا بأن هذه عادة حدثت قريباً، وكان في الزمن الماضي الطيلسان خاصاً بالشافعي إلى زمن الشيخ «تقي الدين السبكي»، وطال بينهما الكلام إلى أن قال مؤرخنا: «الطيلسان سنة في كل مذهب، لا يختص بالمالكية». فقال السلطان: «هذا تكبر وتجبر»، وبالغ في النكير عليه، مما دفع مؤرخنا إلى القول: «معاذ الله، بل هو سنة رسول الله ﷺ» وتأدب معه في آخر المجلس وانصرف، فلما كان بعد أيام بلغه أن «ابن الكركي» ـ إمام السلطان ـ قال له: «ليس الطيلسان سنة، ولو كنت حاضراً عند قوله سنة لقلت له: يعني سنة اليهود». فأخذ «السيوطي» ـ مؤرخنا ـ في تصنيف كتاب ينتصر فيه لدعواه، أسماه: «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان»[3].

وفي جمادى الآخرة منها، وبعد خمسة أشهر من هذه الواقعة، أراد السلطان الإنفاق على جماعة تربة الأمير «برقوق»، فطلب مؤرخنا للطلوع معهم فامتنع من الطلوع، فصرف السلطان معاليم الجماعة ولم يصرف معلومه، مراسلاً إياه بالطلوع إليه، فلم يستجب لذلك ـ أيضاً.

(١) الشعراني. ذيل لواقح الأنوار ق ٩ ب ـ ١٠ أ.
(٢) الشاذلي. بهجة العابدين ق ٣٠ أ ـ ٣١ أ.
(٣) صدر عن الجامعة العبرية بتحقيق «أرازي».

وتصادف أن مرض السلطان ـ في رمضان من السنة التالية (٨٩٠هـ ./١٤٨٥م.) ـ مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وطلع له أهل العلم وغيرهم لتهنئته بالسلامة، فلم يطلع إليه «السيوطي»، فأرسل له السلطان قاصده يطلبه ـ في مستهل سنة إحدى وتسعمائة (١٤٩٥م.) ـ فأبى، فأوقد ابن الكركي عليه النار، وقال: «هذا عاصٍ لله ورسوله في عدم إجابة ولي الأمر». . فارسل السلطان قاصده إلى السيوطي ـ في العشرين من صفر منها ـ يخوفه في أمور يوقعها به، فلم يصدع لأمره ولم يخضع لتهديده ورد قاصده، فاستفتى السلطان مشايخ الإسلام وقد طلعوا في مستهل ربيع الأول منها لتهنئته بالشهر، فأفتوا بأن دخول العلماء للملوك سنة السلف الصالح، معارضين مؤرخنا في دعواه، فما كان منه إلا أن عزل نفسه من سائر الوظائف التي لهم عليها ولاية[1] وألف كتابه «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين»، فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه، وأرسل إليه في رجب ـ منها ـ بكلام طيب، طالباً منه الطلوع إليه، فلم يجبه لذلك، مكتفياً بمراسلته برسالة أسماها: «الرسالة السلطانية» وقد ضمنها جملة من الأحاديث الواردة في نهي العلماء عن التردد إلى السلاطين. فصار السلطان يتوعده، وصار «ابن الكركي» يؤجج عليه النار لدى السلطان، وعبثاً حاول قاضي القضاة الشافعي اقناع مؤرخنا بتطييب خاطر السلطان عليه، قائلاً: «لابأس أن تتلافى خاطر السلطان بارسال كلام طيب، فإننا نخاف عليك». فما كان جواب «الجلال» ـ مؤرخنا ـ إلا أن قال: «إنني متمسك بقولهﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق منصورين حتى يأتي أمر الله لا يضرهم من خذلهم ».

ولم يمنعه من اخراق السلطان به وتنكيله إلا أن مرض السلطان بعد يومين، واشتد به مرضه إلى أن مات[2].

وهكذا نلمس من خلال ما حكاه كل من «الشعراني» و«الشاذلي» عن «السيوطي» في هذا الموقف قوة شخصية مؤرخنا، ورباطة جأشه، وصلابته فيما

---

(١) اشار الشاذلي ـ بهجة العابدين ق ٣٠ ب ـ إلى أن مؤرخنا قد عزل نفسه من مشيخة تربة برقوق فقط.
(٢) كانت وفاته يوم الاحد سابع عشري ذي القعدة سنة ٨٩١ هـ. (١٤٨٦ م.) ـ نفسه ق ٣١ أ.

اعتقد أنه الحق، حيث لم يرض لذاته أن تبتذل أو تهان على يد السلطان وقد أنكر عليه تصرفاً أتاه، فما زال يحاوره ويجادله في الأمر دافعاً حجته إلى أن ترقى إلى أن الطيلسان سنة في كل مذهب، فلما تغيظ السلطان عليه وبالغ في النكير قائلاً : «هذا تكبر وتجبر»، دفع مؤرخنا قوله مصراً على أن هذه العادة سنة، ثم أنه لم يدعه إلا ليدعم ما نُوقش فيه وأُنكر عليه بمؤلف مستقل يقرر من خلاله دعواه.

كما أنه لم يطلع إلى السلطان سواء للحصول على راتب إحدى وظائفه، أو للتهنئة بالشفاء - اعتزازاً منه بذاته أيضاً - وإذا به يُراجع في أمره، فلا تزيده المراجعة إلا إصراراً على ما روجع فيه، وصلابة في الرأي، حيث ترقى إلى أن ذلك «سنة» - أيضاً - ولم يزده التهديد إلا عناداً، ولم يمل في مثل هذا الموقف الحرج إلى المداراة اقتناعاً منه بأنه على الحق، وأن من كان على الحق لن يضره من خذله ممن أفتوا بما يدفع دعواه.

بل لقد أضحى عدم التردد إلى السلاطين أو الاستخدام لهم وقبول هداياهم نهجاً ألزم به مؤرخنا ذاته، إذ يذكر كل من «الشعراني»[1] و«الشاذلي»[2] أن «السيوطي» لم يقبل العود إلى مشيخة البيبرسية، كما لم يقبل أن تكون بيده مشيخة مدرسة السلطان «الغوري» ومدفنه، وقد عرضها السلطان عليه مراراً - لعظيم اعتقاده فيه - بل ورد هديته قائلاً لقاصده: «لا تعد تأتينا - قط - بهدية، فإن الله - تعالى - أغنانا عن مثل ذلك» . مكتفياً في نفقته بثمن ما يباع من مؤلفاته، وقد اقتصد في معيشته ، وهو ما يفهم من قول الشاذلي :

«. . . وكان إذا احتاج إلى شيء من النفقة باع من كتبه وأكل من ثمنها، وبيعت له كتب كثيرة على يديّ، ولم يسأل مخلوقاً في شيء من أمر الدنيا، ولم يُعلم بحاله أحداً، وكان يأكل المآكل اللطيفة»[3].

وربما استعلى على السلطان، راداً قاصده إليه، بقوله : «ما لي وللسلطان،

(١) الشعراني. ذيل لواقح الانوار ق ٩ أ، ١٠ أ.

(٢) الشاذلي. بهجة العابدين ق ٣٠ ب.

(٣) نفسه ق ٣١ ب.

إن كـان للسلطـان عنـدي حاجـة فليأت إلـى عنـدي »[1]، معتقـداً في ذاتـه أن العلماء ـ وهو منهم ـ أولى بأن يكونوا أولياء الأمر من السلطان.

ويلحق بهذا موقفه من الأمراء، حيث تشير بعض المصادر إلى أن الأمـراء والأغنياء كانوا يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفسية فيردها[2].

كما يشير مؤرخنا من خلال مؤلفه «الحبل الوثيق في نصرة الصديق» إلى أنه أنكر على الأمير «أزدمر» ـ حاجب الحجاب ـ مروقه من الدين، وانقطع عن زيارته والاجتماع به، قائلاً:

« . . . ولقد اجتمعـت به مرة فرأيت منـه العجـب من إنـكاره الاحتجـاج بحديث رسـول الله ﷺ ورد أقواله الشريفـة، ويقول ـ لعنـه الله وفض فاه ـ النبـي واسطي، ما قاله وهو في القرآن فصحيح، وما قاله وليس في القرآن، وذكر كلمة لا أستطيع ذكرها. فرجعت من عنده ولم أجتمع به إلى الان، وآلفت مؤلفـاً سميتـه مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة[3].

وكان من جملة أقواله في ذلك المجلس: «علي» عنده العلم والشجاعة، و«أبو بكر» ليس عنده ذلك، وإنما زوجه بابنته وأنفق عليه ماله فكافـأه بالخلافـة بعده. فقلت له: وردت الأحاديث بأن أبا بكر أعلم الصحابة وأشجعهم. فقال: هذه الأحاديث كذب»[4].

أما العامة، فكثيراً ما تناولوا مؤرخنا بألسنتهـم، وشهـروا به بألفـاظ جارحـة وعبارات مبتذلة، وتوعدوه بالقتل. . مندفعين في ذلك باغراء بعض خصومه ـ من العلماء ومن غيرهم ـ به في الحوانيت والأسواق. . لكن موقف «السيوطي» منهم

---

(١) نفسه ق ٣٢، فيما تعلق برد نقيب الجيش، قاصد السلطان الغوري وقد أتى إلى مؤرخنا طالباً منه مقابلة السلطان لشكوى المتصوفة فيه.

(٢) الشعراني. ذيل لواقح الانوار ق ٩ أ، ابن الغزي. الكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٨، الشاذلي. بهجة العابدين ق ٢٩ ب.

(٣) طبع ضمن الرسائل المنيرية، وهو الرسالة الثانية في ترتيب رسائل المجلد الرابع.

(٤) السيوطي. الحبل الوثيق في نصرة الصديق (ضمن الحاوي للفتاوى مج ٢ ص ٥٠ ـ ٥١).

يختلف كثيراً عن موقفه من غيرهم، فهو لم يأبه بثوراتهم، ولم يعبأ بكلامهم، اقتناعاً منه بأن «كلام الجاهلين لا يُعبأ به، ولا يُلتفت إليه»[1]. لكنه مع ذلك لم يتركهم وشأنهم، وإنما حرص الحرص كله على النصح لهم في الدين، غيرة منه لدين الله آن ينتهك، وخشية منه أن يؤدي بهم مسلكهم في الحياة إلى المروق من دين الإسلام، تبليغاً لرسالة العالم وتأدية للأمانة المنوطة به.

يفهم ذلك من قوله في صدر مؤلفه «تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء»:

«... وقع أن رجلاً خاصم رجلاً، فوقع بينهما سب كثير، فقذف أحدهما عرض الآخر فنسبه الآخر إلى رعي المعزى، فقال له ذاك: تنسبني إلى رعي المعزى؟! فقال له والد القائل: الأنبياء رعوا المعزى، أو ما من نبي إلا رعى المعزى - وذلك بسوق الغزل بجوار الجامع الطولوني، بحضرة جمع كبير من العوام - فترافعوا إلى الحكام، فبلغ الخبر قاضي القضاة المالكي، فقال: لو رُفع إليّ ضربته بالسياط. فسُئلت: ماذا يلزم الذي ذكر الأنبياء مستدلاً بهم في هذا المقام؟ فأجبت بأن هذا المستدل يُعزر التعزير البليغ، لأن مقام الأنبياء أجل من آن يُضرب مثلاً لآحاد الناس، ولم أكن عرفت من هو القائل ذلك، فبلغني بعد ذلك أنه الشيخ شمس الدين الحمصاني - إمام الجامع الطولوني وشيخ القراء - وهو رجل صالح في اعتقاده. فقلت: مثل هذا الرجل تُقَال عَثرته وتُغفر زَلته لهفوة صدرت منه، وكتبت ثانياً بذلك، فبلغني أن رجلاً استنكر مني هذا الكلام وقال: إن هذا القائل لا يُنسب إليه في ذلك عثرة ولا ملام، وأن ذلك من المباح المطلق لا ذنب فيه ولا أثام، واستفتى على ذلك من لم تبلغه واقعة الحال، فخرجوه على ما ذكره القاضي عياض في مذاكرة العلم لأجل ذكر لفظ الاستدلال في الجواب والسؤال.

وخشيت أن تشرب قلوب العوام هذا الكلام فيكثروا من استعماله في المجادلات والخصام ويتصرفوا فيه بأنواع من عباراتهم الفاسدة فيؤديهم إلى أن

---

(١) السيوطي. هدم الجاني على الباني (ضمن الحاوي للفتاوى مج ١ ص ١٥٣)

يمرقوا من دين الإسلام، فوضعت هذه الكراسة نصحاً للدين وإرشاداً للمسلمين»[1].

وقوله في صدر مؤلفه «تحذير الخواص من أكاذيب القصاص»:

«... وقد استفتيت في هذه الأيام في رجل من القصاص يورد في مجلس ميعاده أحاديث، ويعزوها إلى النبيﷺ جازماً بها، ولا أصل لها عنه، بل منها ما اشتهر في كتب بعض أرباب الفنون ولا أصل له عند المحدثين. ومنها ما هو باطل مكذوب... فأفتيت بأن هذا لا أصل له وهو باطل لا تحل روايته ولا ذكره، وخصوصاً بين العوام والسوقة والنساء، وأنه يجب على هذا الرجل أن يصحح الأحاديث التي يرويها في مجلسه على مشايخ الحديث، فما قالوا: إن له أصلاً يرويه، وما قالوا: إنه لا أصل له لا يذكره... فنُقل إليه ذلك، فاستشاط غضباً، وقام وقعد، وأزبد وأرغد، وقال: مثلي يصحح الأحاديث على المشايخ؟ مثلي يقال له في حديث رواه: إنه باطل؟ أنا أصحح على الناس، أنا أعلم أهل الأرض بالحديث وغيره إلى غير ذلك من الفشارات.

ثم أغرى بي العوام، فقامت عليّ الغوغاء، وتناولوني بألسنتهم، وتوعدوني بالقتل والرجم.

فلما بلغني ذلك أعدت الجواب وزدت فيه: ومتى لم يصحح الأحاديث التي يرويها على المشايخ، وعاد إلى رواية هذا الحديث بعد أن بُين له بطلانه، واستمر مُصراً على نقل الكذب عن رسول اللهﷺ أفتيت بضربه سياطاً.

فازداد هو حدة، وتزايد الأمر من عصبة العوام شدة، وثاروا ثورة كبرى وجاءوا شيئاً إمراً. وقد ألفت هذا الكتاب في هذه المسألة»[2].

أما موقفه من أقرانه من المشايخ والعلماء، فيتمثل في تلك الخصومات التي جمعت بينه وبين كثير منهم من أمثلة «الشمس الباني» (ت٨٨٥هـ. / ١٤٨٠م.)،

(١) السيوطي. تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ٣١٠).

(٢) السيوطي. تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٧١ ـ ٧٣.

و«الشمس الجوجري» (ت٨٨٩ هـ ./ ١٤٨٤م.)، و«البرهان بن ظهيرة» (ت٨٩١ هـ./ ١٤٨٦م.)، و«الشمس السخاوي» (ت ٩٠٢هـ ./١٤٩٧م.)، و«ابن الكركي» (ت ٩٢٢هـ./١٥١٦م.)، و«ابن القسطلاني» (ت ٩٢٣ هـ ./١٥١٧م.)، و«ابن العُليف» (ت ٩٢٦هـ ./ ١٥٢٠م.).

وهي خصومات حادة، منها ما كاذ مؤسساً على العلم، حيث تباينت نظرة كل في بعض مسائل «الفتوى»، ومنها ما كان مدفوعاً «بحظ نفس».

وما دام الحال كذلك، فإنه يحسن التعرف أولاً على **نهج «السيوطي» في فتاويه**، إذ لا يمكن تفسير تلك الخصومات ـ في معظمها ـ بمعزل عن ذلك.

أوجز مؤرخنا موقفه من الفتاوى في مؤلفه «الحبل الوثيق في نصرة الصديق» ـ بحيث يمكن أن يصلح ما ورد فيه بشأنها دستوراً للافتاء ـ قائلاً:

«لا شك أنه لو جاز لأحد أن يفتي في مسألة بمجرد نظره لها في كتاب أو كتابين من غير أن يكون متقناً لذلك الفن بجميع أطرافه، ماهراً فيه، متبحراً فيه، لجاز لأحاد الطلبة أن يفتوا، بل العوام والسوقة لا يعدم أحد منهم أن يكون عارفاً بعدة من المسائل تعلمها من عالم أو رآها في كتاب، ولا ريب في أنه لا يجوز لأحد منهم أن يفتي».

« إنما يفتي المتبحر في العلم العارف بتنزيل الوقائع الجزئية على الكلية، والكليات المقررة في الكتب. وما شرطوا في المفتي أن يكون مجتهداً إلا لهذا المعنى وأمثاله».

« فمن تبحر في فن أفتى به، وليس له أن يتعدى إلى فن لم يتبحر فيه ويطلق قلمه فيه وهو لم يقف على متفرقات كلام أرباب ذلك الفن ، فلعله يعتمد على مقالة مرجوحة وهو يظنها عندهم صحيحة ».

« وكذلك ليس لأحد أن يفتي في العربية وقصارى أمره النظر في ابن المصنف والتوضيح ونحو ذلك، بل حتى يحيط بالفن خبرة ويقف على غرائبه وغوامضه ونوادره فضلاً عن ظواهره ومشاهيره ».

« ويتعب كل التعب، ويجد كل الجد، ويعتزل الراحة والشغل ولا يسأم ولا يضجر، يدع الفتيا تمكث عنده الشهر والشهرين والعام والعامين، فإذا وقف على متفرقات كلام الناس في المسألة ونظر وحقق وأورد على نفسه كل إشكال وأعد له الجواب المقبول حطم حينئذ على الكتابة وحكم بين الأمراء وفصل بين العلماء.

وأما الاستعجال في الجواب والكتابة بمجرد ما يخطر بباله ويظهر في بادىء الرأي مع الراحة والاتكال على الشهرة وعدم التضلع بذلك الفن وما يحتاج إليه فيه فإنه لا يليق، ولهذا تجد الواحد ممن كان بهذه المثابة يكتب ويرجع ويتزلزل بأدنى زلزلة ويضطرب قوله في المسألة الواحدة مرات ويبحث معه أدنى الطلبة فيشككه، وأكثر ما يحتج به الواحد منهم إذا صمم على قوله أن يقول: الظاهر كذا أو كذا، أو هذا الذي ظهر لي من غير اعتماد على مستند بيده أو حجة يظهرها ».

«لا شك أن المفتي حكمه حكم الطبيب، ينظر في الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان، فالمفتي طبيب الأديان وذلك طبيب الأبدان »[1].

وهكذا فإن «السيوطي» قد جعل للإفتاء ضوابط خمسة، وهي:

١ ـ الاتقان والتبحر، بمعنى الإحاطة بالفن المُفتى فيه خبرة، والوقوف على غوامضه ونوادره وظواهره ومشاهيره.
٢ ـ الاقتصار في الإفتاء على الفن المتقن دون غيره.
٣ ـ لا إفتاء بدون نظر أو تحقيق مصحوب بمستند أو حجة.
٤ ـ لا اجتهاد في الفتوى بدون معرفة بتنزيل الوقائع الجزئية على الكلية، والكليات المقررة في الكتب.
٥ ـ مراعاة مقتضى الحال والشخص والزمان.

فإذا ما تقرر ذلك، فإنه يمكن الإلمام بطرفٍ من هذه الخصومات.

---

(١) السيوطي. الحبل الوثيق في نصرة الصديق (ضمن الحاوى للفتاوى ج ٢ ص ٤٧ ـ ٥٠).

أولاً ـ بين «السيوطي» و«الشمس الباني» :

هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قريش المخزومي، الشافعي»[1].

أجازه «القاياتي» بالتدريس، و«الونائي» بالإفتاء، وناب عن «ابن حجر العسقلاني»، و«الشمس القاياتي» في القضاء، وأفتى قليلاً، ودرس بعدة أماكن كالشريفية والمجدية والخروبية والزينية، وتصدر بجامع عمرو وبمسجد عبد اللطيف ـ بقنطرة سنقر ـ وأُعطي بآخرته تصوفاً بخانقاة «سعيد السعداء».

أشار «السيوطي» إلى أنه تتلمذ عليه في الفقه، وخرج له مشيخة عن شيوخ أجازوا له، قرأها عليه[2].

ويبدو أن الخصومة دبت بينهما نتيجة لكثرة نقضه فتاوى «السيوطي» والإفتاء بتعزيره، بل ربما رجع عن ما أفتى به مما صادف تماثلاً وفتوى مؤرخنا مفتياً بنقيضه نكايةً فيه. مما دفع به إلى تبكيته وهجوه.

يستفاد ذلك مما أورده «السيوطي» في مسألتي «الحلف بالطلاق على غلبة الظن» و«الهدم».

أما مسألة «الحلف بالطلاق على غلبة الظن»، فمدارها حول «من حلف أنه فعل كذا أو لم يفعله، أو كان كذا أو لم يكن ناسياً أو جاهلاً، ثم تبين خلاف ذلك. هل يحنث في اليمين والطلاق أو لا يحنث فيهما، كما لو حلف: لا أفعل كذا، ففعله ناسياً أو جاهلاً بأنه المحلوف عليه؟»[3].

وقد أفتى «السيوطي» فيها بترجيح الحنث بخلاف صورة الاستقبال[4]. بينما لم ير «الشمس الباني» فيها رأيه.

---

(١) ترجمته في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ تر ١٠٢ ص ٤٨ ـ ٤٩، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٦١، المنجم في المعجم ق ٦٩ ب، ٢١٢ ب.

(٢) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٢٤٥.

(٣) السيوطي. القول المضي في الحنث في المضي (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ٢٧١).

(٤) المقصود بذلك وقوع طلاق الحالف على الماضي القاصد بحلفه تحقيق الخبر، لكونه لم يقتصر في =

ويوجز «السيوطي» هذه المسألة، مشيراً إلى دافعه إلى البحث فيها، والسبب الرئيس في خصومته «للباني»، قائلاً :

«. . . وهذه المسألة - أعني مسألة الحلف بالطلاق على غلبة الظن - أول أمرها أني كنت في مجلس شيخنا (العلم) البلقيني، وفي المجلس علامة الشام الشيخ نجم الدين بن قاضي عجلون، فقال له شخص من الطلبة الحاضرين: يا شيخ نجم الدين، سمعت أنكم تقولون في مسألة الحلف على غلبة الظن شيئاً غريباً. فغمزه الشيخ نجم الدين وأشار إليه باصبعه على فيه أن أسكت. فلما خرجنا من المجلس أعاد عليه القول - ونحن ماشون - فقال الشيخ نجم الدين: الذي نشأنا عليه في بلادنا ورأينا أشياخنا يفتون به، هو الحنث، فلما قدمنا إلى مصر، وجدنا الأمر فيها على خلاف ذلك فسكتنا. فقال له: ما توضحون لنا ما عندكم ؟ فقال: نخشى أن تقوموا علينا كما قاموا في مسألة السنجاب[1]. قال: إنما قصدي الفائدة، ولا يقف عليه أحد. فقال: أما كتاب مفرد فلم أفعل، لكني ذكرت شيئاً في كتابي التحرير، فتعال إلى البيت فانظره. فافترقنا، وما أدري هل ذهب إليه أو لا.

وتعلقت هذه المسألة بقلبي، وما وقع لي شيء قط وأعجلت النظر فيه، ولا سمعت أو رأيت شيئاً قط ونسيته، فصرت أتطلب النظر في هذه المسألة. . . فلما صنفت كتاب الأشباه والنظائر، ذكرت فيه المسألة، ولخصت فيها كلام ابن رزين، وذكرت ما يعضده من كلام النووي.

فاتفق أني أقرأت المنهاج تقسيماً بالجامع الطولوني، وكان أحد القراء عندي رجلاً يجتمع بالجاهل المبدأ بذكره (لعله ابن الكركي). فلما وصلت في التدريس

= يمينه على ظنه، بل عداه إلى الواقع حازماً به مع كونه غير مثبت أو محقق، بخلاف الحالف على المستقبل، فإن قصده الحث أو المنع، إذ له في الحلف قصد صحيح، فضلاً عن أن الاستثبات فيه غير متصور.

(المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١).

(١) راجع بشأن ذلك: السيوطي. تحفة الأنجاب بمسألة السنجاب (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١٧ - ٣٣).

إلى هذه المسألة قررتها غاية التقرير، وقرأت لهم كلام ابن رزين، وأوضحت لهم الفرق بين الحالين، وقلت لهم: إن أهل الشام يفتون في هذه المسألة بالحنث، وأهل مصر بعدمه، وأنا مع أهل الشام في ذلك. وانقضى المجلس، فذهب أحد القراء إلى الجاهل المذكور، فذكر له ذلك. فقال: هذا ضعيف، راجعوه لعله غلطان، عسى (أن) يرجع . . . فلما رجع إليّ ذلك القارىء واستثبتني فيما قلته صممت على مقالتي، فرجع إليه وأخبره، فذهب واستفتى أهل البلد فأفتوه بعدم الحنث. . وكان ممن ذهب إليه الشيخ شمس الدين البانيّ، وبينه وبين والدي ـ رحمه الله ـ عداوة مشهورة، وعداوة في الآباء صلة في الأبناء، وأعرف منه البغض الشديد لي.

ومن جملة ما وقع منه أنه لما استفتيت عن مسالة الصف[1]، وأفتيت فيها استنباطاً، قلت لصاحبنا الجمال الكرماني ـ وهو من تلامذته ـ اسأله عن رأيه في المسألة. فأعاد عليّ الجواب أنه أجاب فيها بمثل ما قلت. فلما ذهبوا إليه وأعلموه أني أفتيت بذلك، رجع عن قوله وأجاب بخلافه، وأفتى بتعزير من قال بالأول. . . فلما ذهب إليه في هذه الواقعة، كتب له التقريظ، وزاد أن من قال بالحنث يلزمه التعزير »[2].

وهكذا فإن المستفاد من قول «السيوطي» بصدد ذلك:

١ ـ أنه تصدى لما عزف عن التصدي له علامة الشام «ابن قاضي عجلون»، حيث بحث في القضية وشهرها، مفتياً فيها بخلاف مذهب علماء مصره.

٢ ـ أن ما أفتى به فيها قد رده عليه علماء مصره، ومنهم «الباني».

٣ ـ أن غضبة «السيوطي» على الباني، ومعاداته له، لا يعودان إلى المخالفة في الرأي، وإلا لتوجها إلى باقي العلماء ممن خالفه. وإنما ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تكرر إفتاء «الباني» بتعزير مؤرخنا.

يكشف عن ذلك ما سجله «السيوطي» رداً عليه بقوله:

---

(١) راجع: السيوطي. بسط الكف في اتمام الصف (ضمن الحاوي للفتاوى ح ١ ص ٦٨ ـ ٧٩).
(٢) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٦٤ ـ ١٦٨.

« . . . ثم نعود ونقول: بل أنت الذي يلزمك التعزير لوجوه:

أولاً ـ أنك أفتيت بخط نفسك وعلى عدوك، وحق المفتي أن يفتي بحكم الله لوجه الله ، فإن المفتي موقع عن الله ومخبر عنه ، لا عن نفسه .

الثاني ـ أنك زعمت أن من نقل خلاف المذهب يلزمه التعزير، ونحن قامت عندنا الأدلة والنقول على أن المذهب الحنث، وأن عدم الحنث خلاف المذهب. فإن كان من نقل خلاف المذهب على مقتضى قولك يلزمه التعزير، فأنت عندنا نقلت خلاف المذهب فيلزمك التعزير، مع أنا لا نقول بذلك لكنه جواب جدلي. فإن قال: عدم الحنث تقرر أنه المذهب، قلنا : إنما تقرر بفتوى أهل البلد، وذلك وحده لا يثبت المذهب، وهم مُعَارَضون بفتوى أهل الشام. فإن قال: أخذوه من أشياخهم. قلنا : لم يقله غير الأسنوي والبلقيني، والمذهب لا يثبت بهذين وحدهما مع معارضتهما بالأئمة الذين سميناهم، ومع فروع منقولة في الروضة تساعدهم وتشهد لهم.

الثالث ـ أن إفتاءك بتعزيز من قال ذلك حكم نسبته إلى الله، وأنت كاذب على الله فيه. فإن أكثر ما عندك أن تزعم أن قائل ذلك مخطىء، ولم يحكم الله ولا رسوله على مخطىء بتعزير ولا اثم، بل وعداه بالأجر، ووُعِد المصيب بأجرين. فمن أين جاء لزوم التعزير؟ ما جاء إلا من قبل نفسك والشيطان »[1].

وأما مسألة «الهدم»، فلقد أوجزها «السيوطي» ـ كذلك ـ على النحو التالي:

« . . . فقد رُفع إليّ أن رجلاً[2] أخذ خربة بجوار مسجد وبنى بها مخازن، ثم أنه قصرها على سكنى من يعدها للفساد، فيسكن فيها جماعة بعضهم عزاب وبعضهم متزوجون وعيالهم بمسكن آخر، وإنما يعدون هذا المسكن ليخلوا فيه للفساد، وان هذا الموضع يجتمع فيه كل يوم ثلاثاء خلق كثيرون يأتونه من أطراف البلد من نساء ورجال وشباب مرد، فيجتمعون فيه على شرب الخمر والزنا

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) هو «قاسم الحباك» ـ نفسه ص ١٧٥.

واللواط، بحث يدخل جماعة يباشرون الزنا واللواط ويتأخر جماعة ينتظرون انتهاء النوبة إليهم. فمنهم من يقف بالدهليز ومنهم من يقف بالطريق ومنهم من يجلس على باب المسجد، حتى قيل: أنه رؤي رجل في ذلك المسجد ومعه صبي يلوط به، وصار مشاعاً في تلك الخطة، وصار المكان معروفاً بذلك، بحيث يقصد من أمكنة بعيدة لهذه الأمور، وبجوار هذا المكان الخبيث رجل مبارك[1] يقوم في إنكار ما يراه بحسب استطاعته، فراجع صاحب البيت في اخلائه من هؤلاء وتسكين من هو على سيرة حميدة فأبى بعد طول المراجعة سنين، رغبة في زيادة الأجرة، وكان من جملة قوله له: هذه أمة مذنبة. ثم اتفق أن أخلى الله المكان من هؤلاء بعوارض طرأت لهم، ثم زالت تلك العوارض[2] فعادوا ليسكنوا على منوالهم، فجاءني ذلك الرجل المبارك وشكا إليّ هذا الأمر، فقلت له: اذهب إلى صاحب المكان وقل له: إن لم يخل هؤلاء منه أفتيت بهدمه[3]. ومن جملة الساكنين ثم رجل جهله فوق جهل الجاهلين ومقامه أسفل سافلين[4]، فلما بلغه هذا الكلام قال: هذا ليس بحكم الله، وذهب إلى الشيخ شمس الدين الباني فاستفتاه فأفتاه[5] بأنه لا يُهدم، وأن من قال بهدمه يلزمه التعزير، ثم جاء بهذه الفتوى وصار يجلس على الدكاكين في الأسواق ويقول: فلان مجازف في دين الله. وأنضم إليه عصبة من نمطه، فمنهم من يقول: هذا الذي أفتى به ـ يعني قولي بالهدم ـ خرق للإجماع، وآخر يقول: هذا جاء به من ارم ذات العماد، وصار كل من الجهال يرمي بكلام »[6].

---

(١) هو «حسن المسيري» خادم المسجد المجاور ـ المصدر السابق.

(٢) فسر ذلك «السيوطي» ـ في التحدث بنعمة الله ص ١٧٦ ـ مشيرا إلى قدوم الأمير «قانصوة الأشرفي» من إحدى التجريدات صحبة الأمير الكبير، ومجيء فئة ممن كانوا يخالطونه على ما هو عليه لاستئجار المكان والشروع في إصلاحه وتهيئته ليجتمعوا فيه بعد قدومه على ما كانوا عليه أولاً.

(٣) اشار مؤرخنا ـ في التحدث بنعمة الله ص ١٧٦ ـ إلى أنه أراد بذلك قصد التهويل عليه ـ فقط ـ ليصرفهم من اول وهلة، فإنه أسهل من نقلهم بعد سكناهم.

(٤) لعل المقصود بذلك «ابن الكركي».

(٥) أرخ «السيوطي» لهذه الفتوى ـ في التحدث بنعمة الله ص ١٧٥ ـ برمضان سنة ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م.

(٦) السيوطي. هدم الجاني على الباني (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٣).

والمستخلص من هذه الواقعة ـ كذلك:

١ ـ أن «السيوطي» لم يقصد بتهديده بالإفتاء بالهدم إلا التخويف، صوناً لدين الله، بدفع حدوث هذه المفاسد المشار إليها.

٢ ـ أنه استغرب مسلك «الباني» في الإفتاء بمعارضته، باعتبار أن أهم ما يُنَاط برجال الدين هو درء المفاسد «وأما ما أفتى به الباني، فإنه قد كُتب في صحيفة عمله وطُبع عليها بطابع سوف يُعرض عليه وهو واقف على الصراط فيقرؤه ويُطلب منه الخروج من عهدته يوم لا ينفع جاه ولا تعصب»[1]. فضلاً عن تباينه مع ما «وردت به الأحاديث، وثبت عن الصحابة والتابعين ونص عليه العلماء من أئمة المذاهب الأربعة، ولم تزل عليه الخلفاء والملوك وولاة الأمور سلفاً وخلفاً»[2].

٣ ـ أنه حنق على «الباني» فتواه «بتعزيره»، وكأن نسبة التعذير إليه صارت لديه عادة «وزاد الباني أن من قال بالهدم يلزمه التعزيز، كما جرت به عادته»[3].

٤ ـ أن «السيوطي» قد ناله من فتواه الضرر البالغ، حيث شُهِرَ به، ورماه الجهال بكلامهم.

لذا أطلق مؤرخنا لسانه في «الباني» نظماً ونثراً، سواء في معرض الحديث عن هذه الواقعة في مؤلفه «التحدث بنعمة الله»، أم في مؤلفين مقصورين على هذه الواقعة، هما: «رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين»، ومختصره «هدم الجاني على الباني».

فكان مما عرض فيه بالباني شعراً قوله:

«يقول ربع الفسق: ما مسلم مما له أرصدت يرضاني
ولا ترى في الناس ذا مسكة آلا يرى في الوزن نقصاني

(١) المصدر السابق ص ١٥٣.
(٢) نفسه.
(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٧٧.

وإن يزني أحد راجحاً[1] فالجاهل اللوطي والزاني
وقلت : إن لم يخل مما به فالشرع فيه هدم ذا الجاني
وأستفتي الباني فأفتى بأن من قال هدا آثم جاني
يا أيها الناس آلا فاسمعوا مقال حق ليس بالواني
من ذا الذي أولى بتأثيمه عند محب كان أو شاني
أهادم ربعاً بنوه لكي يعصى به الله أم الباني؟»[2]

ومما قاله فيه نثراً:

« . . . فنقول لهذا المفتي: يا شيخ، قد صح القول بالهدم عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وابن مسعود، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ونص عليه أئمة المذاهب الثلاثة: الحنفية والمالكية والحنابلة بأسرهم، وأشار إليه من الشافعية الغزالي والكواشي. فمن هو الذي في هؤلاء الأئمة يلزمه التعزير ؟ !

ولو استحييت من ربك لتثبت فيما تقول، ولو استحضرت أن فتواك تعرض عليك يوم القيامة وتسأل عنها حرفاً حرفاً، لتحرزت فيما تكتبه. كأنك ما سمعت قول القائل:

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

وأنا لا أنكر علمك ومشيختك، لكن مثلي ومثلك كما قال الشيخ عبد الله المنوفي لبعض شيوخه، وقد وقع منه في حق بعض الطلبة كلام غليظ، فقال الشيخ عبد الله لشيخه المذكور: أنت يا شيخ رجل عالم، ولكن ما أدبك العلم»[3].

---

(١) ورد هذا الشطر من البيت مختل الورد هكذا.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠، وهدم الجاني على الباني (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١٦٥).

(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٧٧ - ١٧٨.

ثانياً ـ بين «السيوطي» و«الشمس الجَوْجَرِيّ» :

هـو «محمد بن عبـد المنعم بن محمد بـن محمد بـن عبـد المنعم بـن إسماعيل بن نبيه الدين الجوجري، ثم القاهري الشافعي»[1].

تتلمذ على عدد وافر من أعلام عصره، من أمثلة «ابن حجر العسقلانـي»، و«الشرف السبكي»، و«الونائي»، و«القاياتي»، و«أبي القاسم النـويري»، و«ابـن المجدي»، و«ابـن الـديري»، و«الجـلال المحلى»، و«العلـم البلقينـي»، و«الشرف المناوي»، و«الشـمس البـدرشي»، و«الشمينـي»، و«الكافيجـي»، و«الأبشيطـي»، و«البوتيجي».. وأذن له بالإقراء والإفتاء، وتصدى لهما في حياة كثير من شيوخه، بحيث كان المناوي يناوله الفتوى ليكتب عليهـا. كما استنابـه في القضـاء فبـاشره الجوجري قليلاً ثم تعفف عنه.

وكان بيده تدريس الفقه بالظاهرية القديمة، والجانبكية ـ بالقربيين ـ وتربة أم السلطان، والقطبية، والقجماسية، والمؤيدية، والجامع الأزهر، كما ناب في تدريس الحديث بالكاملية.. وطار صيته في القاهـرة، وانهلـت عليه الطلبـة والمستفتـون، واتسعت حلقته كثيراً، وصار شيخ القاهرة بلا مدافع.

ومع ذلك كان حسن العشرة، كثير التودد والتواضع والامتهان لنفسه، غـير متأنق في سائر أموره، لا يتحاشى عن المشي فيما كان الأولى الركوب فيه، ولا يأنف مراجعة الباعة فيما لعله يجد من يتعاطاه عنه، ولا يمتنع من الجلوس في مطبخ السكر بحضرة العاملين فيه، على حد قول «السخاوي» في ترجمته له.

وعلى الرغم من أنه كان يكبر مؤرخنا سناً، وينفرد عنه بالسماع والتتلمذ على بعض الشيوخ، فإن «السيوطي» كان يرى أنه من رفاقه، بل ربما أحس في ذاته أنه يفوقه سعةً واستحضاراً[2].

أما خصومته معه فترجـع ـ فيما يبـدو ـ إلى ما تعمـده «الجوجـري» من نقض فتاوى مؤرخنا، وتغليطه، بما كان يكتب تحت خطه مـما جرحـه به وذاع في العامـة

---

(١) له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ تر ٢٩٥ ص ١٢٣ ـ ١٢٦، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٠٨.

(٢) راجع: السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٨٤ ـ ١٨٥، وص ٣٤ من هذا البحث.

والخاصة، كنحو قوله: «هذا غلط واضح ووهم فاضح»[1] وقوله: «الحمد لله الذي رقى شمس الدين رتب الكمال، وجعل بدايته نهاية الجلال»[2].

فلقد أحصى «السيوطي» له خمس عشرة مسألة فقهية وواحدة نحوية لم ير فيها رأي مؤرخنا، متعمداً تغليطه وتجريحه في الكثير منها، وهي:

(١) مسألة الحلف بالطلاق على غلبة الظن، السابق الإشارة إليها.

(٢) مسألة الأتقى:

وتتلخص هذه المسألة موضع الفتيا، في تنازع الأمير «أزدمر» حاجب الحجاب - وكان رافضياً زنديقاً لا يرى الاحتجاج بالحديث النبوي - والأمير «خاير بك من حديد» في «أبي بكر الصديق» - رضي الله عنه - «هل هو أفضل الصحابة ؟». حيث قال «خاير بك» بأفضليته، فأنكر «أزدمر» عليه ذلك مطالباً له بدليل من القرآن - الكريم - فاستدل «خاير بك» لجوابه بقوله تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى ...﴾ (١٧ - ٢١ : الليل) مشيراً إلى أنها نزلت في حق أبي بكر، وقد قال الله تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١٣ : الحجرات) فرد عليه «أزدمر» قوله مشيراً إلى أن «الأتقى» عام في أبي بكر وغيره. وطالب كل منهما الآخر بشهادة العلماء له بنصرة قوله. ورفع السؤال إلى العلماء - ومنهم «الجوجري» - لتحرير الجواب، فكتب «الجوجري» عليه:

« إن الآية وإن نزلت في حق أبي بكر فإنها عامة المعنى، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »[3].

ويشير مؤرخنا إلى أنه أطلع على جواب خصمه، متعجباً: «فلما جاءني السؤال لأكتب عليه ورأيت ما كتبه الجوجري، قلت: سبحان الله، مثل هذا المقام يكتب فيه بالاسترواح ! »[4]. بل لقد استهجن خوض «الجوجري» في الإفتاء في هذه المسألة

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٥.

(٢) نفسه ص ١٨٦.

(٣) نفسه ص ١٨٦ - ١٨٧، والحبل الوثيق في نصرة الصديق (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٤٤ - ٤٥).

(٤) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٨٧.

قائلاً «هذا شان من يلقي نفسه في كل وادٍ، والرجل فقيه فما له يتكلم في غير فنه، وهذه المسالة تفسيرية حديثية أصولية كلامية نحوية، فمن لم يكن متبحراً في هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم في هذه المسألة»[1].

وهنا وجد «السيوطي» لديه رغبة في نصرة «خاير بك» على خصمه «الزنديق»، فاندفع يقرر أن الاية نزلت في حق «أبـي بكر» ـ رضي الله عنه ـ مضعفـاً قول «الجوجري» من خلال مؤلف مستقل، هو «الحبل الوثيق في نصرة الصديق»[2]. معللاً هذا المسلك ـ من خلاله كذلك ـ بقوله:

« . . . لا يليق بالجوجري في مثل هذه الواقعـة أن يفتي بأن الأيـة ليست خاصة بأبي بكر ولا دالة على أفضليته فيؤيـد مقالة الرافضي ويثبته علـى معتقده الخبيث ويـدحض حجة قررها أئمة كل فرد منهم أعلم بالتفسير والكلام وأصول الفقه من مائة ألف من مثـل الجوجري . والله ، لو كان هذا القول في الايـة هو المرجوح لكان اللائق في مثل هذه الواقعة أن يفتي به ، فكيف وهو الراجح والذي أفتى به الجوجري قول مرجوح ؟ ! »[3].

وهكذا فإن «السيوطي» كان هو المقوض لفتوى خصمه في هذا الموضع مدفوعاً في ذلك بما قرره من «أن المفتي حكمه حكم الطبيب، ينظر في الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان، فالمفتـي طبيب الأديان، وذاك طبيب الأبدان »[4].

(٣) مسألة الغزالي:

وتتلخص في أن «البرهان البقاعي» أشار ـ وهو بدمشق ـ إلى تخطئة «الغزالي» في قوله: «ليس في الامكان أبدع مما كان»، ناسباً مقالته تلك إلى قـواعـد الفلاسفة وأصول المعتزلة في كتاب أسماه «في تهديم الأركان»، فقام عليه أهل دمشق وكادوا يقتلوه حتى اختفى في بيته ولم يستطع الخروج لصلاة الجمعة. وأرسـل كتابـه إلى

---

(١) السيوطي. الحبل الوثيق في نصرة الصديق (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٤٥)
(٢) راجع: السيوطي. الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) نفسه ج ٢ ص ٥١.
(٤) نفسه ج ٢ ص ٥٠.

القاهرة ليأخذ خطوط العلماء عليه، فكتب عليه الجوجري تقريظاً من رأس القلم مصوباً قول البقاعي. فلما أُحضر الكتاب لمؤرخنا ليكتب عليه استغرب ما كتبه « الجوجري» في حق الغزالي، فتصدى للمنافحة عن الغزالي في مؤلفين هما : « تشييد الأركان » ، و« درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي »[1].

ويؤيد مسلك مؤرخنا قول «السخاوي» في معرض حديثه عن «الجوجري» : « . . . ويغلب على ظني أن ذلك انتقام لكونه كتب مع البقاعي في مسألة الغزالي ، وإن كان له مخلص في الجملة ، فترك الكلام كان أليق بمقام حجة الإسلام »[2].

(٤) مسألة براءة الذمة :

وتتلخص في أن مؤرخنا قد رُفع إليه سؤال مفاده: «رجل اغتاب رجلاً بسبب أو نحوه أو قذفه أو خانه في أهله، ثم أنه تاب بعد ذلك. فهل يكفي في ذلك توبته ورجوعه إلى الله وكثرة ذكره وعبادته، أم لا بد من تحلله من ذلك وذكره له ما ظلمه به إذا لم يكن علمه ؟ »[3].

فكان جوابه أنه «لا بد من تحلله من ذلك وذكره له ما ظلمه به لأن ذلك من شروط التوبة، وما لم تصح التوبة لم يكفر الذنب المتعلق بالآدمي شيء، وإنما لا يحتاج إلى ذلك حيث تعذر الوقوف على صاحب الحق لموت أو نحوه »[4].

فلما لم ير «الجوجري» رأيه، ألف في ذلك كتاباً أسماه «بذل الهمة في طلب براءة الذمة»[5] أظهر فيه مستنده فيما أفتى به.

(٥) مسألة رعاية الغنم ، السابق الإشارة إليها ، في معرض الحديث عن موقف «السيوطي» من العامة.

(٦) السؤال (الاستعطاء) في المسجد :

حيث أشار مؤرخنا ـ على خلاف قول الجوجري ـ إلى أن السؤال في المسجد

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٨٧ ـ ١٨٨.
(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٢٥.
(٣) السيوطي. بذل الهمة في طلب براءة الذمة (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦).
(٤) نفسه ص ١٤٦.
(٥) نفسه ص ١٤٥ ـ ١٤٨.

مكروه كراهة تنزيه، وإعطاء السائل فيه قربة يثاب عليها وليس بمكروه، فضلاً عن أن يكون حراماً[1].

(٧) مسألة عدم إتمام الصفوف في الصلاة، والشروع في صف قبل إتمام صف:

وقد أجاب فيها بأنه مكروه لا تحصل به فضيلة الجماعة[2]. ولم ير فيها الجوجري رأيه.

(٨) مسألة المسبوق في الجمعة:

وتدور حول سؤال مفاده «هل تصح صلاة المسبوق في الجمعة إذا فارق قبل السلام؟».

وقد ألف مؤرخنا فيها مؤلفاً أسماه «اللمعة في تحرير الركعة لادراك الجمعة»، مقرراً من خلاله أن «هذه المسألة من معضلات المسائل التي يجب التوقف فيها، فإن المفهوم من كلام كثيرين اشتراط الاستمرار إلى السلام، ومن كلام آخرين خلافه»[3].

(٩) مسألة فتح الباب والشبابيك في المسجد النبوي الشريف:

وهي التي يشير إليها السيوطي بأنها «المسألة العظمى التي ارتكب فيها البدعة الكبرى التي لم تقع منذ قبض النبيﷺ إلا في هذا العصر»[4].

وتتلخص في احتراق أكثر المسجد النبوي ـ الشريف ـ بصاعقة نزلت ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة للهجرة (١٤٨١م.) مما دفع «بالأشرف قايتباي» إلى إرسال الخواجا «شمس الدين ابن الزمن» ـ في العام التالي ـ لإعادة تعميره، فهدم «ابن الزمن» الحائط القبلية، وأراد أن يبني بجوار المسجد مدرسةً باسم السلطان ويجعل الحائط مشتركاً بين المسجد والمدرسة، ويفتح فيه باباً يدخل منه إلى المسجد وشبابيك مطلة عليه، فمنعه جماعة من أهل المدينة. فأرسل

---

(١) السيوطي. بذل العسجد لسؤال المسجد (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١١٨).

(٢) السيوطي. بسط الكف في اتمام الصف (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ٦٩).

(٣) السيوطي. اللمعة في تحرير الركعة لادراك الجمعة (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ٨٣).

(٤) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٨٩.

يطلب مرسوماً من السلطان بذلك ـ وكان السلطان قد بلغه منع أهل المدينة ـ فقال: «استفتوا العلماء»، فأفتاه القضاة الأربعة وأكثر العلماء ـ وفيهم الجوجري ـ بالجواز، وامتنع آخرون من ذلك، بينما رأى «السيوطي» المنع، فاندفع مفنداً فتوى من رأى الجواز في مؤلف مستقل، أسماه «شد الأثواب في سد الأبواب»[1]، معتذراً عن مسلكه هذا بقوله:

«... ولولا جناب النبيﷺ وعظمته الراسخة في القلب لم أتكلم في شيء من ذلك، وكنت إلى السكوت أميل، لكن لا أرى السكوت يسعني في ذلك، فإن هذا عهد عهده النبيﷺ عند وفاته، فوجب على كل من علمه أن يبينه ولا يراعي فيه صديقاً ولا حبيباً ولا بعيداً ولا قريباً»[2].

والمستخلص من كلام «السيوطي» أن ما أُفتي بجوازه قد رُجعَ عنه، حيث عدلوا إلى الفتح من الجهة الغربية لكونها كانت ملاصقة لدار «أبي بكر» وخوخته فيها على عهد النبيﷺ[3].

وهكذا فإن «السيوطي» قد تصدى لهذا الأمر بدافع ديني محض مخالفاً إجماع القضاة ومن انضم إليهم من العلماء المجوزين ذلك، ولم يسعه السكوت كما وسع غيره ممن امتنعوا عن الكتابة على الفتوى.

والمطلع على ما قرره «السيوطي» في هذه المسألة لا يسعه إلا الاعتراف له بالفضل والتقدير، والتسليم له بالاجتهاد المطلق في موضوعها، إذ يكفي أن يشار إلى أنه أمكنه تفنيد رأي من قال من جمهور المجوزين أن «المنع مخصوص بجدار النبيﷺ فإذا هدم وأعيد غيره فإن المعاد ملك للمعيد فيفتح فيه ما شاء ولا يصير وقفاً حتى يوقفه» بتسعة وعشرين وجهاً كلها قوية، يمكن مراجعتها في موضعها من مؤلفه[4] لخروج موضوعها عن مجال بحثنا.

---

(١) السيوطي. شد الأثواب في سد الابواب (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ١٥٤ ـ ١٧٩).
(٢) نفسه ج ٢ ص ١٦٠.
(٣) نفسه ج ٢ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.
(٤) نفسه ج ٢ ص ١٦١ ـ ١٦٨.

(١٠) مسألة معاليم الأوقاف:

وتدور حول السؤال الاتي:

«أمير وقف خانقاة ورتب بها شيخاً وصوفية، وجعل لهم دراهم وزيتاً وصابوناً وخبزاً ولحماً، فضاق الوقف. فهل يُقدم الشيخ على الصوفية أو يُصرف بينهم بالمحاصة؟ وهل يُقتصر على صنف من الأصناف التي عينها الواقف ويُترك الباقي أو يأخذون من جميع الأصناف التي عينها الواقف بالمحاصة؟ وهل تجوز الإستنابة في شيء من الوظائف أم لا»[١].

وقد ألف فيها مؤرخنا مؤلفاً مستقلاً أسماه «الانصاف في تمييز الأوقاف».

(١١) مسألة الهدم، المشار إليها في خصومته مع «الشمس الباني».

(١٢) مسألة رؤية النبيﷺ في اليقظة:

حيث أنكر عليه بعضهم ذلك وتعجب منه وادعى أنه مستحيل، بينما مال «السيوطي» إلى تقرير حدوثه في مؤلف مستقل هو «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»[٢].

(١٣) مسألة «أنت تالق بالتاء»:

وتدور حول سؤال عمن قال لزوجته أنت تالق ـ بالتاء ـ ناوياً الطلاق. هل يقع به طلاق؟

وهي مسألة هامة لارتباطها بإحدى المفاسد الإجتماعية المقتضية التلاعب بالألفاظ تهاوناً بالأحكام الشرعية.

وقد صرح فيها مؤرخنا بوقوع الطلاق في مؤلف مستقل أسماه «فتح المغالق من أنت تالق»[٣].

---

(١) السيوطي. الانصاف في تمييز الأوقاف (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ٢٠٦).

(٢) السيوطي. تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٤٧٣ ـ ٤٩٢).

(٣) السيوطي. فتح المغالق من أنت تالق (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(١٤) مسألة تغيير المعاملة :

ومدارها حول اختلاف الخصوم في المطالبة بعد المناداة على الفلوس كلُ رطلٍ بثلاثين درهماً بعد أن كانت بستة وثلاثين ، وهل يطالب من عليه الدين بقيمته يوم اللزوم أو يوم المطالبة ؟ وهل يأخذ من الفلوس الجدد المتعامل بها عدداً بالوزن أو بالعدد ؟

وقد أجاب عنها مؤرخنا بمؤلف مستقل أسماه «قطع المجادلة عند تغيير المعاملة »[١].

(١٥) وجه النصب في قوله ﷺ : «سبحان الله وبحمده زنة عرشه ورضاء نفسه وعدد خلقه ومداد كلماته » .

حيث أجاب مؤرخنا بأن هذه الكلمات الأربع منصوبات على تقدير الظرف ، والتقدير: قدر زنة عرشه ، وكذا البواقي ، فلما حذف الظرف قام المضاف إليه مقامه في إعرابه[٢].

(١٦) مسألة ابن عربي :

وقد ألف مؤرخنا فيها مؤلفاً مستقلاً ، نافح فيه عنه ، وهو «تنبئة الغبي بتبرئة ابن عربي»[٣].

على أن اشتداد ثائرة «الجوجري» ورفاقه على «السيوطي» واحتدام الخصومة فيما بينهما بما لا خير فيه قد أتيا من موضع آخر، يوجز السيوطي القول فيه على النحو التالي:

« . . . ثم لما كان في ذي الحجة من هذا العام (٨٨٦ هـ) جاءني رجل فسأل عن النساء ، هل ثبت أنهن يرين الله في الدار الآخرة أو تختص الرؤية بالرجال. فذكرت له أن المسألة ذات خلاف ، وأن الراجح أنهن لا يرين إلا في العيد خاصة ، وأني تتبعت الأحاديث والآثار صحيحها وضعيفها وحسنها ، فلم أر

---

(١) السيوطي. قطع المجادلة عند تغيير المعاملة (ضمن الحاوي للفتاوى ج ١ ص ١٢٧ - ١٤٠).

(٢) السيوطي. رفع السنة في نصب الزنة (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٥١٢).

(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٩٠.

لهن ذكراً في حديث الزيارة يوم الجمعة. فذهب السائل وعـاد إليَّ مرة ثانية وقال: إن الناس أبوا هذا القول وقالوا: بل النساء يشاركن الرجال في الرؤية والزيارة يوم الجمعة، وقالوا: لا بد من استفتاء بقية علماء البلد في ذلك. فعرفت أنهم بمجرد ما يرفعون السؤال للجوجري يكتب عليه من رأس القلم بموافقة قولهم، فقلت: اكتبوا في آخر السؤال: والمقصود التثبت في الجواب دون الكتابة بمجـرد ما يظهـر في بادىء الرأي. فكتبوا ذلك وذهبوا إليه برقعة السؤال، فبمجرد ما نظر فيه قال: ظواهر الأدلة تقتضي العموم ـ كأنه الدارقطني الذي أحاط علماً بجميع أحاديث الرؤية حتى قال هذه الكلمة! إنما تصلح هذه الكلمة لحافظ عرف جميع الأحاديث الواردة في هذا المقام، ولم يجد في حديث منها ما يخصص عموم سائر الأحـاديث. فهـذا يصلح له أن يطلق هذه العبارة، وأما رجل رأى في بعض الكتب حديثاً أو حديثين، فلا يصلح له أن يقول ظواهر الأدلة ويأتـي بالجمـع المعروف ـ ثـم أخـذ القلـم ليكتب، فقال له السائل: انظروا ما في آخر السؤال. فلما رأى ذكر التثبت قال: من أمركم أن تكتبوا هذه الكلمة؟ قالوا: فلان. فوضع القلم وقال: اتركوا الرقعة حتى ننظر. فأقامت عنده اثني عشر يوماً وهو يكشف الكتب ولم يظفر فيها بنقل.

وألفت أنا في هذه المدة تأليفاً سميته إسبال الكساء على النساء، ثم لخصته في تأليف أخصر منه سميته رفع الأسى عن النسا، وأعلمت بهما السائل. فذهب إليه بعد أثني عشر يوماً لينظر هل كتب شيئاً، فقال له: عجزت وأنا أكشف فلم أجد المسألة في شيء من الكتب. ماذا أجاب به فلان؟ فذكروا له جوابي، وأني ألفت فيها، فقال: بالله، احضروا إليّ مؤلفه حتى أراه. فجاءني الرجل وذكر لي ذلك، فأشار عليّ مشير بأن لا أرسله، لما قد علم من عادتهم أنهم يستفيدون المسائل الغريبة من تصانيفي ثم يحطون عليّ. فقلت: قلة المروءة أن هذا الرجل العالم يرسل يسألني في تأليفي ليستفيد منـه علمـاً فأبخـل عليه. فأرسلـت له المـؤلف الأصغر، فأقام عنده أربعة أيام. ثم ذهب قاصدي ليأتي به، فذكر عنه أنه قال: هذا كله غلط وكلام يصادم بعضه بعضاً. فقال له القاصد: بينوا لنا مواضع الغلط. فذكر له ثلاثة مواضع، ووجه كونه غلطاً بكلام أفشر من الفشار، ولا يقوله من شم رائحة العلم. فلما بلغني كلامه اطمئنيت وكتبت له ورقة لطيفة فيها الجواب عما أورده

على المواضع الثلاثة. فلما وصلت إليه احتد واستشاط غضباً وسفه على القاصد. ثم جلس مجلس درسه وقال بين عصبته: رأيت مؤلف فلان في الرؤية وضبطت عليه فيه ثلاث غُليطات.

فلما بلغني ذلك شددت المئزر وشمرت عن ساعدي، **وصنفت كتاب اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري**، قررت فيه الصواب في المواضع الثلاثة بطرق أهل العلم من غير حرف سفه.

فشاع خبره في المدينة وامتلأت بذكره الأفواه، فشق ذلك على الجوجري وعصبته، وشرعوا يدندنون ويسفهون ويدورون في جوانب المدينة صائحين مستغيثين»[1].

ويشير «السيوطي» إلى أنهم استمروا على ثورتهم إلى مستهل العام التالي، حيث سألوا في رفع الأمر إلى السلطان ليعقد بينه وبينهم مجلساً يناظرونه فيه، بيد أن مؤرخنا رفض ذلك محتجاً بأن «العلماء قد نصوا على أنه لا يسوغ للمجتهد أن يناظر المقلد»[2].

على أنه لم ينحسم الأمر فيما بينهما إلا بسعاية الشيخ «عبد القادر الطحطوطي» لدى «كاتب السر» في التوسط بينهما، حيث أجاب مؤرخنا إلى الصلح في رسالة أسماها «النجح في الإجابة إلى الصلح»[3]، قرئت في مجلس كاتب السر.

وبذلك سكنت الفتنة، وخمدت ثائرة المتخاصمين، ثم لم ينشب أن مات «الجوجري» بعد شهرين من هذه الواقعة[4] يوم الأربعاء، ثاني عشر رجب سنة تسع وثمانين وثمانمائة للهجرة[5].

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٠ - ١٩٣.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه ص ١٩٤.
(٤) نفسه ص ١٩٥.
(٥) السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٢٦.

وهكذا، فإن المستخلص من هذا العرض للخصومة بين «السيوطي» و«الجوجري» أن العامل الرئيس فيها يعود إلى تصدي «الجوجري» لنقض فتاويه، وتعمد تغليطه كتابةً وتلفظاً، مع عدم تثبت منه فيما أتاه، مما أضر بمؤرخنا ضرراً بالغاً، حيث إشاعة التشنيع عليه وتوهم الناس أنه غلط فيما يكتب[1].

وإن كان مؤرخنا قد تصدى بدوره لرد بعض فتاوى خصمه، على النحو الوارد في مسألتي «الأتقى» و«الغزالي»، بل والإعتراض على الإنتقاض المصوب إلى فتاويه.

لكن، هل لنا أن نركن إلى هذا الحكم، وإلى هذه الرواية وقد صدرا من جانب واحد، وهو خُصمه «السيوطي» ؟

لا ريب، إن الصدق قرين لما أُثبت لدينا عنه، مما مُثل به للخصومة بينهما، سواء من حيث الرواية، أو العامل الرئيس فيها المصحوب بحكمه عليه. ومن شواهد ذلك:

أولاً ـ أن «السخاوي» ـ وهو صديق حميم للجوجري، خصم لدود للسيوطي ـ قد تماثل قوله وحكم «السيوطي» على خصمه، حيث ورد في ترجمته للجوجري قوله:

« . . . وسارع بقوة ذكائه في الكتابة على الفتاوى فكثرت مخالفته التي أدى إليها عدم تأنيه، وربما يُنبه على ذلك فيها وفي تصانيفه فلا يكاد يرجع ويبرهن على ما تورط فيه. وكذا كثر تسارعه إلى الإذن بالفتوى والتدريس، بل والتقريظ على التصانيف الصادرة من غير المتأهلين »[2].

وقوله:

« . . . وتأسف الناس على فقده، ولم يخلف في مجموعه مثله، وإن كان لعل فيهم من هو أمتن تحقيقاً وأمكن تدبيراً وتدقيقاً »[3].

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٩٥.

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٢٤.

(٣) نفسه ج ٨ ص ١٢٦.

ثانياً ـ أن مصنفات مؤرخنا المتضمنة لما أفتى به وعُورض فيه، او لما رد به انتقاض المنتقض كانت معروفة ومتداولة في عصره، وقد كتبت في حياة خصومه، مما يشير إلى أن تلك المسائل كانت بالفعل موضع تخاصمهما.

ثالثاً ـ أن صدى هذه الخصومة قد ورد في كتابات بعض شهود العيان من أمثلة «السخاوي»، حيث ذكرت لديهم ـ كذلك ـ بعض عنوانات هذه المؤلفات المقترنة بالمسائل موضع التخاصم.

رابعاً ـ أن «السيوطي» قد أوجز في حياة خصمه في رسالة «النجح في الإجابة إلى الصلح»[1] ـ المرسلة إلى كاتب السر ـ هذه الرواية، مشيراً إلى هذا العامل الرئيس المصحوب بحكمه على خصمه، وقد قُرِئَتْ على الناس وذاعت فيهم، ولو كان ثمة كذب فما أغناه عن أن يثبت فيها كذباً، وما أغناهم عن كتمان تكذيبه ورد افترائه.

ثالثاً ـ بين «السيوطي» و«ابن ظهيرة»:

هو «برهان الدين، إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن علي، القرشي، المخزومي، المكي، الشافعي».

ولد بمكة ليلة النصف من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثمانمائة للهجرة (١٤٢٢م.) ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم وجوده، وبعض مختصرات علوم عصره وعرضها على من تيسر له ـ آنذاك ـ من شيوخ مكة والمجاورين فيها، ثم انساح في طلب الحديث النبوي، والفقه وأصوله، وأصول الدين، والتصوف، والمنطق، والنحو، وعلوم البلاغة.. وأجيز من مكة والمدينة والقاهرة ودمشق وبعلبك وحلب وبيت المقدس والخليل بالإقراء والإفتاء.

وارتحل إلى مصر مرتين، سنتي إحدى وخمسين وثمانمائة، وثلاث وخمسين وثمانمائة للهجرة، حيث أقام في كل منهما سنة محصلاً للعلم، وأجيز فيهما من

(١) أثبت السيوطي نص هذه الرسالة في مؤلفه «التحدث بنعمة الله» ص ١٩٤ ـ ٢٠١.

«ابن جحر العسقلاني»، و«العلم البلقيني»، و«العلاء القلقشندي»، و«الشرف المناوي»، و«الكمال بن الهمام»، و«التقي الشمني»، و«المحيي الكافيجي»، و«البلاطنسي».

وتقلب في عدة وظائف، منها: الإقراء بالمسجد الحرام بمكة، ثم خطابته ونظره، ومشيخة المدرسة الجمالية المستجدة، والنظر على أوقافها، ومشيخة اسماع الحديث للظاهر جقمق، كما تولى قضاء الشافعية بمكة نحو ثلاثين سنة.

وانتهت إليه رياسة العلم في الحجاز إلى أن توفاه الله ليلة الجمعة سادس ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة (١٤٨٦م.)[١].

ولم تكن بينه وبين مؤرخنا خصومة بالمعنى المفهوم من علاقته بسابقيه، وإنما هي نفرة طالت مدتها عشرين سنة[٢]، أشار إليها «السيوطي» على النحو التالي:

«... ولما جاورت بمكة المشرفة اتفقت لي معه قضية أوجبت بعض النفور، لما كنت أرى أنه لا يصدر منه ذلك، لأنه نشو والدي وغرس نعمته وتربية بيته... فلما صار إلى ما صار إليه، ورحت إلى هناك رام أن أكون في كنفه وتحت لوائه كما كان هو عند والدي، وكما يكون أهل مصر عنده، رغبة في ماله. وأنا كنت[٣] هناك إنما أراه واحداً من جماعة أبي كان يحملني وأنا صغير على كتفه. فلم يبلغ مني ما رامه. فكان لا يزال يعتبني على ذلك، ويرسل إليّ من يعتبني، فلا أزداد إلا شهامة. ثم أني حضرت عنده ختم البخاري، فأخذ يتكلم في فضل التواضع وذم المتكبرين خصوصاً في الحرم. ففطنت أنه يعرض بي. فالتفت إليه وأوردت عليه عدة أسئلة في الحديث الذي كان يتكلم فيه، فأجاب عنها بما لا يرضى. فبحثت معه إلى أن انقطع واعترف بالاستفادة مني، ونقلت له نقلاً عن الارتشاف

---

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن: السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٨٨ - ٩٩. السيوطي. المنجم في المعجم ق ١٠٦ ب - ١١٠ أ، نظم العقيان تر ٦ ص ١٧ - ٢٣.

(٢) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٨٠.

(٣) الوارد في «المنجم في المعجم» و«نظم العقيان»: وأنا لست هناك.

فأنكره. ثم أرسل أحضره من البيت، فوجد النقل فيه كما ذكرت. فخضع وصار في نفسه ما فيها. ثم مشت الأعداء، واشتد الشقاق، بحيث خرجت من مكة ولم أودعه.

ثم قدم القاهرة بعد سنين، فسألني بعض الأمراء أن يجمع بيني وبينه للصلح فما أجبت. ثم بعد سنين أخرى أرسل إلى[1] الشيخ عبد القادر بن شعبان الفرضي - وهو رفيقه في القراءة على والدي - كتاباً يسأله فيه أن يجيء إليّ ويقرئني السلام، ويطلب مني عدة كتب من تصانيفي ليستنسخها له. فجاءني وذكر لي ذلك، فأجبته إلى ما سأل، وأعطيته الكتب التي سألها، وهي: الاتقان، والأشباه والنظائر، وتكملة تفسير الجلال المحلى، وشرح ألفية الحديث، وشرح ألفية بن مالك، والجزء الأول من الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ثم كتبت له كتاباً بالصفاء»[2].

وهكذا، فإنه يمكن أن يستخلص من هذا المنقول ما يأتي:

(١) أن «ابن ظهيرة» قد أسرف في إكرام «السيوطي» مدفوعاً بالوفاء لوالده وقد كان نشوه وغرس نعمته وتربية بيته «فقام في الواقع بحقوق والدي وأكرمني وأجلني»[3] لكن مؤرخنا رأى في ذلك أنه رام أن يكون في كنفه وتحت لوائه، فلم يبلغه ما رامه مدفوعاً بأنه لا يعدو أن يكون أكثر من واحدٍ من جماعة أبيه يكبره سناً، مما يوهم بالتساوي.

(٢) أحس «ابن ظهيرة» في مسلك «السيوطي» تجاهه إسرافاً منه في الإعتداد بذاته، وهو ما عبر عنه «بالتكبر»، فما زال يعتب ذلك عليه مشافهةً ومراسلةً، فما وجد عتبه موضعاً من نفسه «فكان لا يزال يعتبني على ذلك، ويرسل إليّ من يعتبني، فلا أزداد إلا شهامة». ولذا اندفع يعرض بمؤرخنا وقد حضر مجلس «ختم البخاري» عليه، فما كان من «السيوطي» إلا أن التفت إليه مشبعاً ما جبل عليه من «روح المنافسة والتحدي»، بحيث انقطع «ابن ظهيرة» واعترف بالاستفادة منه.

---

(١) كتب في «نظم العقيان»: «إليه»، والتصويب من «المنجم».

(٢) السيوطي. المنجم في المعجم ق ١٠٨ أ، ب، ونظم العقيان ص ٢٠ - ٢١.

(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٨٠.

(٣) أن هذا المجلس لم ينقض على خير، فلقد أُحرج «ابن ظهيرة» وصار في نفسه ما فيها «ونقلت له نقلاً عن الارتشاف فأنكره. ثم أرسل أحضره من البيت، فوجد النقل فيه كما ذكرت. فخضع وصار في نفسه ما فيها».

وهكذا، فإن مبدأ انطلاق هذه «النفرة» كان من هذا المجلس ونتيجة لهذا التصرف، على حين تأصلت في نفسيهما بفضل عوامل، منها:

وشاية الخصوم - خروج مؤرخنا من مكة دون أن يودعه - رفض مؤرخنا وساطة بعض الأمراء في الصلح بينهما وقد تواجد «ابن ظهيرة» بالقاهرة.

(٤) أن الصلح لم يجد مصادفة في نفس «السيوطي» إلا عندما بادره خصمه إليه، وعندها أجابه مؤرخنا إليه بكتاب راسله به سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للهجرة[١].

رابعاً - بين «السيوطي» و«الشمس السخاوي»:

بدأت العلاقة بين «السيوطي» و«السخاوي» علاقة حسنة، حيث أخذ الأول بعض مسموعاته عن الثاني، وأشار الثاني إليه من خلال ترجمته لأبيه في «التبر المسبوك» بقوله:

«... وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن، أحد من أكثر التردد إليّ ومدحني نظماً ونثراً، نفع الله به»[٢]. مما يظهر حسن رأيه فيه، وثناءه عليه.

لكن سرعان ما تبدلت هذه العلاقة الحسنة تبدلاً موحشاً أوصلهما إلى القذف والسباب، حيث تبادلا الكثير من العبارات الخشنة مبتذلة الألفاظ، التي يستغرب الاتيان بها من علماء لهم ما لهم من المكانة في العلم وفي نفوس المطلعين على ما خلفوه من تراث جدير بالاطلاع عليه والانتفاع به.

فلقد تحين «السخاوي» كل سانحة للنيل من «السيوطي» والحط من

---

(١) سجل «السيوطي» نص هذه الرسالة في «التحدث بنعمة الله» ص ٨٠ - ٨٢، و«المنجم في المعجم» ق ١٠٩ أ - ١١٠ أ، و«نظم العقيان» ص ٢١ - ٢٣.

(٢) السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٧.

مكانته . . فكان من ذلك ما أورده في ترجمة «عبد الجبار بن علي الأخطابي» ، أحد تلامذة مؤرخنا قائلاً :

« . . . وتردد لجلال الدين ابن السيوطي فاشتغل عنده . . . ولا يخلو من هوس كشيخه »[1].

وقوله في ترجمة «ابن مغيزل» :

« . . . واختص بجلال الدين ابن السيوطي وبالغ في المناضلة عنه والتنويه به ، وقصر نفسه عليه زمناً ، وأذهب كتبه التي كان ينتفع بها في تحصيل جملة من تصانيفه التي يخفى شأنها على غير أولي البصائر ، وصار يطمعه أنه إذا عمل قاضياً يقرر له كذا وكذا ، بل يكون هو المرجع ، ثم تنافرا وتشاققا لسوء عشرة ذاك وظهور مقدمات كذبه »[2].

وقوله في ترجمة «ابن الشرف الأشموني» :

« . . . ورجح على الجلال ابن الأسيوطي مع اشتراكهما في الحمق ، غير أن ذلك أرجح »[3].

وقوله في ترجمة «أبي النجا بن خلف المصري » :

« . . . وتردد لكثير من الجوامع الكبار والمشاهد العظام لعمل المواعيد ، وتزايد الإقبال عليه ، بحيث حسده الجلال ابن الأسيوطي لإقبال أهل خطته بجامع طولون ونحوها عليه ، ولم يلتفت الناس إليه ، بل أشبعوه كلاماً وملاماً وحملوا صاحب الترجمة على عقد المجلس بالبيبرسية محل جلوس هذا المسكين ، وما تخلف أحد عن شهود هذا المشهد ، وجيء لحاجب الحجاب بجماعة من العوام الذين يعارضون صاحب الترجمة ، بل وطلب الجلال »[4].

وبهذا يكون «السخاوي» قد نعت «السيوطي» بنعوت ، منها : الهوس ،

---

(١) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ تر ١٠٥ ص ٣٥ ـ ٣٦.
(٢) نفسه ج ٦ تر ٧٠٣ ص ٢٦٦ .
(٣) نفسه ج ٦ تر ١٠ ص ٥ .
(٤) نفسه ج ١١ تر ٤٧٣ ص ١٤٤

والحمق، والكذب، والمسكنة، وسوء العشرة. وحط من منزلته، وحقر من مصنفاته.

بل لم يكتف بذلك، وإنما نال من أبيه في ترجمته له من الضوء اللامع، قائلاً:

«. . . وكان يُذكر بالحمق والإعجاب بنفسه»[1].

ثم عمد إلى ترجمة مؤرخنا، حيث ترجمه في الضوء اللامع ترجمة مظلمة[2] نال منه فيها نيلاً عظيماً، ناعتاً له بسوء الأدب، والحمق، والجنون، والهوس، والكذب، والجمود الفكري، والبلادة، والترفع على الناس، حتى على أمه، وعدم شكران الجميل، والسطو على مؤلفاته ومؤلفات غيره، والتحريف وكثرة الخطأ، مشيراً إلى عدم استحقاقه لما أُضيف إليه من الوظائف، سواء لمخالفته شرط الواقف، أو لأنه لم يرق بعد إلى رتبة ما أُسند إليه من تلك الوظائف. فهو في نظره «تزبب قبل أن يتحصرم»[3]، بحيث «لم يزاحم الفضلاء في دروسهم، ولا جلس بينهم في مسائلهم وتعريسهم، بل استبد بأخذه من بطون الدفاتر والكتب»[4].

وطبيعي والحال كذلك أن تكون عبارات «السيوطي» المقابل بها دعوى «السخاوي» فيه قوية حادة، مبتذلة الألفاظ كذلك، وهو ما يلمس في مقامته «الكاوي على تاريخ السخاوي»، وقد جرد خصمه فيها من العلم، وبادله تهمة الاختلاس بمثلها، وسبه بألفاظٍ جارحةٍ شعراً ونثراً، وجرد كتاباته التاريخية ـ خاصة الضوء اللامع ـ من الأمانة العلمية، ووسمه بالتجني والكذب.

فكان مما أورده فيه شعراً، قوله واصفاً له بالتحريف وعدم الذوق:

تحرف يا عديم الذوق لفظاً ... ومعنى في الحديث ولست تدري
فيا لله من شقر كورد ... ويا لله من حور كنسر[5]

---

(١) المصدر السابق ج ١١ تر ٢٠١ ص ٧٣.
(٢) نفسه ج ٤ تر ٢٠٣ ص ٦٥ ـ ٧٠.
(٣) نفسه ج ٤ ص ٦٧.
(٤) نفسه ج ٤ ص ٦٨.
(٥) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي. مخط. دار الكتب المصرية ذات الرقم: ١٥١٠ ـ أدب، ضمن مجموع. ق ٣ ب.

وقوله واصفاً له بالكذب المفضي إلى الكفر:

إن السخاوي فشر وقال هجراً وهذر
أراد أن ينكر ما صرنا إليه فكفر[1]

وقوله واصفاً له بالجهل والكذب والحمق وعدم الانقياد للصواب:

إن السخاوي جاهل متمخرق لا يرعوي عند الصواب إذا أُثِر
فإذا أشرت إلى كذوب أحمق فإلى السخاوي فهو كذاب أشر[2]

وقوله محقراً من شأنه وشأن تاريخه «الضوء اللامع»، واصفاً لهما بالاتساخ:

من سخاء جاء السخاوي الذي ملك التاريخ جوداً وسخا
قيل: هل تصنع هذا؟ قلت: لا ، كثر الله السخاوي وسخا[3]

ومما أورده فيه نثراً قوله:

« . . . وهو على هذا حقير نقير، لا يباع في سوق العلم بقمطير، لا نسبه في الأنساب عالي، ولا حسبه إذا فوت الأحساب غالي، ولا يزداد إلا جهلاً على كر الأيام والليالي، وقد عرى من أثواب العلم، وتجرد من لباس الحلم، لا يفهم حكمة، ولا يحرر كلمة، ولا يبلغ العلم ولو ثقب الماس فهمه، تجسر حمقاً وجهلاً، وتحجر فجزن[4] ما كان سهلاً، وتشامخ مع ذلك بأنفه، فقولا له: رويداً ومهلاً.

إن سُئِلَ عن مسألة في الاستنجاء لم يحسن الجواب في إيرادها، أو طرأت له في الصلاة حادثة لم يدر صحتها من إفسادها، فضلاً عن مسائل الزكاة والصيام، أو فروع الاعتمار وحجة الإسلام، فإن سأله سائل عن شيء من أبواب البيوع أو النكاح، أو تعلقات ربع الجراح، أو رام منه أن يفصل بين إجارة الذمة والعين، أو يفرق بين الرمي وبيع الدين، أو يميز من التعليق، أو بين الطلاق من التطليق، عد ذلك من المتهكمين عليه، وكان الاستهزاء والسخرية أولى بأن ينسبا إليه، إذ هو

---

(١) المصدر السابق ق ٤ ب.

(٢) نفسه ق ٥ أ.

(٣) نفسه ق ٦ ب.

(٤) جزن: بمعنى جزل وغلظ- ابن منظور. لسان العرب ص ٦١٩.

كمن سأل الأعمى أن يتصدى لرؤية الهلال، أو استنطق البكم أو العجم أو الجبال، أو استسقى من الجحيم شربة من الزلال، أو كلف المقعد أن يصعد إلى السحاب الثقال. بل هو كمن رام طلوع الشمس نصف الليل، أو يجري من دمع عينيه الشحيحة عباب السيل، أو يزاحم بمنكبيه الثريا إذا رقب صهوات الخيل، أو سحب على مجرة النجوم منه الذيل. فله الويل كل الويل، ثم له الويل كل الويل »[1].

إلى غير ذلك من عبارات التسفيه والتحقير.

بيد أنه يمكن الوقوف على بعض مآخذ علمية أخذها مؤرخنا على خصمه راداً بها بعض ما كاله له من «التهم»، يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً ـ دفع تهمة التحريف والتصحيف وسوء الفهم، الواردة في قول «السخاوي»:

« . . . كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التحريف والتصحيف، وما ينشأ عن عدم فهم المراد»[2].

بأن نسبها إلى «السخاوي» أصلاً، وقد ضبطعليه في ذلك مسألتين، هما: تصحيف وتحريف رواية أحد الأحاديث النبوية، ثم العمد إلى تفسير ما تصحف وتحرف لديه مما أخرجه عن المعنى الموضوع له أصلاً، ولحنه في كلمة «خصيصي»، وقد أفردها مؤرخنا بمؤلفين مستقلين.

أما المسألة الأولى فقد ورد فيها قوله:

« . . . وأما لحنه السمج ولفظه الركيك اللمج، فانظر إلى تاريخه وغيره تجد فيه من ذلك العجر والبجر وعين الهبال. . . أليس (هو) صاحب الفتيا التي صارت مضحكة للناظرين وهزأة للساخرين. إذ[3] سُئِلَ عن الحديث رواه الطبراني

(١) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٢ ب ـ ٣ أ.

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٨.

(٣) كتب في الاصل: «إذا».

عن أم سلمة رضي الله عنها في الدنيا وفي الحشر، قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله «حور عين». قال: حور بيض ضخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر. فكتب فيما رأيت بخطه وحلاه، بل حين أمن مر عليه بضبطه: «شقر» ـ يعني شقراء ـ وضبط بالرفع ـ يعني على الابتداء قوله الحوراء ـ وقال في تفسير ذلك قولاً تحمق من أجله وتسفه: هذه استعارة، يعني أن الحور بمنزلة جناح النسر في السرعة والطيران والخفة.

فانظر إلى هذا التصحيف الشنيع والتحريف الفظيع، ما يكفيه أنه يروي الحديث على ما حفظه مُصحفاً مُغيراً حتى يبدي له معنى من عنده ويدعي أنه أضحى له مفسراً.

إنما لفظ الحديث: شفر الحوراء ـ بالفاء والإضافة ـ والمراد به هدب عينها، لا يجوز لأحد أن يقول خلافه، وذلك واضح من الحديث لمن تأمله، بين لمن رأى آخره وأوله، إذ المقصود حور عين الوارد في الكتاب المكنون، ففسرﷺ الحور بالبيض والعين بضخام العيون، ثم بين وجه الضخامة تقريباً للعقولِ بأن[1] هدب عين الحوراء بمنزلة جناح النسر في الطول، فقد انتظم أول الحديث وآخره في الخطاب، وتطابق السؤال والمسؤول عنه والجواب.

وأما ما ذكره هذا الرجل من الخباط والهذيان فإن فساده غنى لكل من سمعه عن البيان»[2].

«ولو أن لهذا الرجلِ حفظاً وسعة اطلاعٍ على طرق السنة، لوقف على الرواية التي فيها «لشفر المرأة من الحور العين أطول من جناح النسر»، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة. فهذه الرواية توضح كل لبس وتزيل كل تخمين وحدس»[3].

وأما المسألة الثانية فقد أبان عنها قول «السيوطي»:

---

(١) كتب في الاصل: «بأنه».

(٢) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٣ ا، ب.

(٣) نفسه ق ٣ ب.

«قرأ قارىء عليّ في ختم كتاب الشفاء بالخانقاة الشيخونية قوله: ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته. فقرأها «بخصيصي» بالياء الساكنة آخرها، على أن الكلمة مثناة مضافة لما بعدها. فرددت عليه وقلت له: قل بخصيصى، أعني بألف القصر ـ وذلك بحضرة شيخنا الإمام العلامة محيي الدين الكافيجي ـ فقال الشيخ: نعم بخصيصي ـ يعني بالألف ـ فقال القارىء المذكور: فيها الوجهان. فقلت: ليس فيها إلا وجه واحد. فذهب فكتب صورة سؤال وأخذ عليه خطوط جماعة بتصويب ما قاله، وهم: الشيخ أمين الدين الأقصرائي، والشيخ زين الدين قاسم الحنفي، والشيخ سراج الدين العبادي، والحافظ فخر الدين الديمي، والمحدث المؤرخ شمس الدين السخاوي. فجمعت نقول أئمة العربية واللغة وأرسلتها إلى الجماعة المذكورين ما عدا السخاوي، فعرفوا الصواب في ذلك ورجعوا عما كتبوه أولاً وكتبوا ثانياً بتصويب ما قلته أنها بالألف المقصورة. فذهب القارىء إلى السخاوي يستنجد به، فكتب له على سؤال آخر كتابة طويلة عريضة مضمونها أنه لا يرجع كما رجع هؤلاء، وأن مستنده في ذلك أن عنده نسخة من الشفاء صحيحة قرئت على شيوخ عدة، وفيها صورة السكون مرقومة بالقلم على الياء. فقلت: كفى بهذا الكلام جهلاً، ومن كان هذا مبلغ علمه فهو غني عن الرد عليه»[١].

ويشير «السيوطي» إلى أنه ألف في هذه الواقعة مؤلفين، أحدهما «القول المجمل في الرد على المهمل»، والآخر «ألوية النصر في خصيصى بالقصر»[٢]، معقباً على ذلك بقوله:

«وليس ذلك يستنكر من عامي محض، لا يعرف الصحيح من المقصور، بل ولا المرفوع من المجرور، ولا يميز المعرب من المبني، ولا يدري حال قراءة الحديث موضع أني من موضع إني، فضلاً عن خواص التركيب والتأليف ودقائق علم الإشتقاق والتصريف»[٣].

---

(١) السيوطي. ألوية النصر في خصيصى بالقصر (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٥٠٧).
(٢) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٤ أ.
(٣) نفسه.

وهكذا فإن «السيوطي» قد نجح في دفع تهمة «التصحيف والتحريف وسوء الفهم» التي كالها له خصمه، بأن ألصقها به، إذ أمكنه أن يتصيد له بعض الأخطاء، مثبتاً لها مع ما تقترن به من دليل على الخطأ فيها، مشيراً إلى ما تُصوب به. على حين أتى قول «السخاوي» فيه مجرداً، لا تسنده حجة ولا يوجه دليل.

ثانياً ـ مبادلته تهمة الإختلاس من الكتب بمثلها، وتكذيب دعواه الواردة في قوله:

«... وفيها مما اختلسه من تصانيف شيخنا لباب النقول في أسباب النزول، وعين الإصابة في معرفة الصحابة، والنكت البديعيات على الموضوعات، والمدرج إلى المدرج، وتذكرة المؤتسى بمن حدث ونسى، وتحفة النابه بتلخيص المتشابه، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون، والأساس في مناقب بني العباس، وجزء في أسماء المدلسين، وكشف النقاب عن الألقاب، ونشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير. فكل هذه تصانيف شيخنا، وليته إذ اختلس لم يمسخها، ولو نسخها على وجهها لكان أنفع، وفيها مما هو لغيره الكثير»[1].

وقوله:

«... واختلس حين كان يتردد إليّ مما عملته كثيراً، كالخصال الموجبة للظلال، والأسماء النبوية، والصلاة على النبي ﷺ وموت الأبناء، وما لا أحصره. بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون فغيَّر فيها يسيراً، وقدم وأخر ونسبها لنفسه، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه»[2].

حيث رد «السيوطي» عليه ذلك قائلاً:

«... ويغير وينسب إليّ الإغارات. لقد رأيت له تأليفاً في قلم الأظفار فإذا

(١) السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٨.

(٢) نفسه ج ٤ ص ٦٦.

هو أخذ كلام فتح الباري بفصه، وساقه بحروفه ونصـه، وغالـب ما ألفـه في فن الحديث والأثر مسودات ظفر بها في تركة الحافظ ابن حجر.

ولقد تعبت قديماً في جمع مؤلف في الخصال الموجبة للظلال، بذلت فيه جهدي، وتتبعته من كتب الحديث الحاضرة عندي، فجمعت منها جملـة بحيث انتهيت إلى سبعين خصلة، فزعم أنه وصلها إلى الثمانين في كتاب ألفه، وتأليفه رصفه، ثم ادعى أني أغرت على كتابه وأخذت ما فيه من المتشابـه. والله يعلـم ويشهد أنه مبطل فيما ادعاه عليّ، وكاذب فيما نسبه من الإغارة إليّ، وأني لم أقف على كتابه هذا إلى الآن، ولا نظرته عيني في سر ولا إعلان، وقد علم الله والناس من عادتي في التأليف أني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله، ونسبته إلى ناقله، إذ الشكر نعمته وبـراءة من دركه وعهدتـه، مع أنـي رأيت في فهرست الحافظ ابن حجر أن له مؤلفاً في الظلال، فلا أشك أنه وقف على مسودته وحجبه عن الناس، ثم استأثر بعزوه إلى نفسه ونسبته، ثم غمص مؤلفي لما حرب، وجاء على قميصه بدم كذب. . . ومما يشهد على كذبه في هذه الدعوى أمران دليل في هذا المقام على صحة ما قلته من النكران :

أحدهما ـ أنه ذكر أن مؤلفه ثمانين، وأنا بالله لا أعلم زيادة على السبعين ولا خصلة واحدة، فلو وقفت على كتابه كما ادعى لأخذت الجميع ولم أترك العشر الزائدة، وما الذي دعاني إلى أن أغير على البعض وأترك البعض وحب الاستيعاب عند المصنفين خصوصاً عندي من آكد الواجب والفرض.

والثاني ـ أن كتابي سار وطار وشاع في الأقطار، وبلغ الناس منه الأوطار، ودخل البـلاد الشـامية والحلبية والـرومية والعـراقية والحجـازية وبـلاد المغـرب والتكرور وجاوز السهول والوعور، ولو كان مسروقاً لم يبارك فيه، وكانت القدرة الربانية تخمله وتخفيه، وكتابه ما أظنه صعد إلى السطوح، ولا خرج من باب بيته إلى باب الفتوح »[1].

وهكذا فإن «السيوطي» قد اجتهد في دفع شبهة الإغارة على الكتـب عن

(١) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٥ أ، ب.

نفسها ملصقاً إياها بخصمه. كما اجتهد في دفعها عنه «الشوكاني» في «البدر الطالع»[1] كذلك.

على أنه يُؤخذ مما أُثبت من قول «السخاوي» مُلصقاً تهمة الاختلاس من الكتب بمؤرخنا، ومما دفع به «السيوطي» هذه الشبهة عنه عدة أمور، وهي:

(١) أن دعوى «إغارة السيوطي على الكتب» التي ذكرها «السخاوي» في الضوء اللامع قد رددها «السخاوي» ـ كذلك ـ في غيره من مؤلفاته، إذ يرد في رد «السيوطي» عليه تفصيلات لا وجود لها فيما تحت أيدينا من مادة الضوء اللامع.

(٢) أن «السيوطي» قد اجتهد في دفع شبهة الإغارة على كتاب خصمه «الخصال الموجبة للظلال»، لكنه لم يعن ببذل مجهود مماثل في دفع شبهة الإغارة على سائر كتبه عن نفسه كذلك. . ربما اقتناعاً منه بأن في ابطال دعواه في هذا الموضع ما يكفي في إسقاط سائر دعواه لكذبه.

(٣) أن «السيوطي» قد اكتفى في رد شبهة الإغارة على مؤلفات ابن حجر وغيره بمبادلة «السخاوي» التهمة بمثلها، محدداً بعض الكتب المجزوم بإغارته فيها على مؤلفات شيخه، وبعض الكتب المظنون بالإغارة فيها ـ كذلك ـ على مؤلفات شيخه، وبأنه لا ينقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ونسبته إلى ناقله. وليس في ذلك القول الفصل، إذ الثابت أن مؤرخنا قد أغفل اسناد الكثير من النقول إلى مصادرها، على نحو ما سوف يُعرض له في مجهوداته التاريخية من خلال دراسة كتابه موضع التحقيق.

(٤) لكن يُبطل دعوى «السخاوي» فيه في هذه المسألة ـ الإغارة على كتب ابن حجر العسقلاني ـ أنه لم يطلع على مؤلفات «السيوطي» المقطوع لديه بالإغارة فيها على مؤلفات الغير، وإنما اكتفى فيها بمطالعة فهرست مؤلفاته المثبت في ترجمته الذاتية من «حسن المحاضرة».

إذ أن «السيوطي» قد أشار إلى مؤلفه «عين الإصابة في معرفة الصحابة» بأنه

---

(١) الشوكاني. البدر الطالع ج ١ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

«تلخيص الإصابة لإمام الحفاظ ابن حجر»[1]. وفي ذلك ما ينفي شبهة الإغارة عنه، كما صرح بأن مؤلفه «تحفة النابه بتلخيص المتشابه» مختصر لكتاب الخطيب البغدادي[2]. بل ما عساه أن يغير على مؤلف لابن حجر في مؤلفه «كشف النقاب عن الألقاب»، وهو لم يكتب منه سوى ورقة[3].

يضاف إلى ذلك أن مؤرخنا قد تقلب في ممارسة التأليف والتصنيف في أطوار متعددة، ابتداءً بالتخليص والاختصار، وانتهاءً بالإستقلال التأليفي المستوعب، مع الاستمداد الحتمي من كتب السابقين[4]. وهو ما يُلمس جانبٌ منه من خلال تبويب فهرست مؤلفاته، وقد أُشير إلى القسم السادس منها بقوله:

« القسم السادس ـ مؤلفات لا اعتد بها لأنها على طريق البطالين الذين ليس لهم اعتناء إلا بالرواية المحضة، ألفتها في زمن السماع وطلب الإجازة »[5].

وفي مجموع مؤلفات هذا القسم ما أُشير إليه بأنه «ملتقط» أو «منتقى»، وهو ما يعني أنه مختصر من كتابات الغير، وفيه من مؤلفات «ابن حجر» مما لم يشر «السخاوي» إليه: «الملتقط من الدرر الكامنة»[6]، و«المنتقى من المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»[7].

ولا يُنسب الرجل إلى الإغارة على مؤلفات الغير وقد صرح بطبيعة هذا الصنف من المؤلفات، فضلاً عن الإشارة في عنواناتها إلى أخذها عن أصولها.

ثالثاً ـ على أن «السيوطي» قد نال من «السخاوي» نيلاً عظيماً عندما جرده ـ في غير موضع من مصنفاته ـ من الأمانة العلمية، ورماه بالتحامل في الكتابة

---

(١) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٠٨.
(٢) نفسه ص ١١٢.
(٣) نفسه ص ١٣١.
(٤) عبد الوهاب حموده. صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٢٥٤.
(٥) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٢٦.
(٦) نفسه ص ١٢٧.
(٧) نفسه ص ١٢٨.

التاريخية. فتردد قوله بعده في كتابات كل من «ابن اياس»[١]، و«الشوكاني»[٢]، وصار سمة غالبة لمؤلفه «الضوء اللامع» لدى الكثيرين.

من ذلك قوله في «مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي» مثيراً سائر طبقات مجتمعة عليه:

« . . . يا أرباب النهي والألباب، وأصحاب المعارف والآداب، وأولي الفتاوى والأحكام، وذوي الألسنة والأقلام، وأئمة الفقه والسنة، وهداة الدين الذين آراؤهم أمضى من الأسنة : ما ترون في رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعياناً، ونصب لأكل لحومهم خواناً ملأه بذكر المساوىء وثلب الأعراض، وفوق فيه سهاماً على قدر أغراضه، والأعراض هي الأغراض. جعل لحم المسلمين من جملة طعامه وادامه، واستغرق في أكلها أوقات فطره وصيامه، ولم يفرق فيه بين جليل وحقير، ولا بين مأمور وأمير، ولا بين مرؤوس ورئيس، ولا بين رخيص القدر وعالٍ نفيس، وامتد حتى إلى العلماء الأعلام، وقضاة القضاة ومشايخ الإسلام، وأرباب المناصب والحكام ؟ »[٣].

وقوله منكراً مسلك «السخاوي» في الكتابة التاريخية وقد جهله قبله:

« . . . أفيليق بمن هذه (حاله) أن يمد لسانه إلى أئمة الدين والعلماء الذين هم قدوة للمقتدين، ويزعم أنه يعدل ويجرح، ويزكي ويقدح ؟ فإن احتاج مثل هؤلاء إلى الجرح فإنه محتاج إلى السلخ، وإن خطر بباله أنهم يستحقون القدح فإن قلبه أقرب إلى المسخ »[٤].

وقوله في «نظم العقيان» محذراً من الإعتماد على ما يورد من نقد في كتاباته التاريخية:

« . . . ثم أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره، وأغرق فيه علمه، وسلق فيه

---

(١) ابن اياس. بدائع الزهور ج ١ ص ٣٦١.
(٢) الشوكاني. البدر الطالع ج ١ ص ٢٢٩.
(٣) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٢ أ، ب.
(٤) نفسه ق ٤ ب.

أعراض الناس، وملأه بمساوىء الخلق وكل ما رُموا به إن صدقاً وإن كذباً. وزعم أنه قام في ذلك بواجب، وهو الجرح والتعديل، وهذا جهل مبين وضلال وافتراء على الله. بل قام بمحرم كبير وباء بوزر كثير. . . وإنما نبهت على ذلك لئلا يُغتر به أو يُعتمد على ما في تاريخه من الازراء بالناس، خصوصاً العلماء، ولا يلتفت إليه [1].

وتبقى بعض مسائل الفتيا، مما تعارض رأياهما فيه، يمكن التنبيه على اثنتين منها، وهي مسألتي «رؤية أرباب الأحوال للنبيﷺ في اليقظة»، و«نجاة والدي المصطفىﷺ».

أما الأولى، فقد ألف «السيوطي» فيها مؤلفاً مستقلاً أسماه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»[2] مشيراً من خلاله إلى جواز حدوث ذلك وإمكانه، بينما أفتى «السخاوي» بالإستحالة، دافعاً كلامه. فاندفع مؤرخنا يرميه بالحمق والكفر[3].

وأما الثانية، فإن مؤرخنا قد أفتى فيها بأنهما ناجيان وليسا في النار، فرد عليه «السخاوي» فتواه، منكراً عليه ذلك، فاندفع مؤرخنا وقد ألف فيها مؤلفاً مستقلاً ـ كذلك ـ هو «مسالك الحنفا في والدي المصطفى»[4]، مقرراً من خلاله دعواه، وقد أخرج «السخاوي» من دائرة المنظور إليهم بالفتيا في مثل تلك المسائل، مشيراً إليه بالإقتصار على معارفه في علم «الحديث» وحده، قائلاً :

« . . . وإن كان المجادل ممن يكتب الحديث ولا فقه عنده، يقال له: قد قالت الأقدمون: المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب، فالأدوية حاصلة في دكانه ولا يدري لماذا تصلح، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار، يعرف ما تصلح له الأدوية، إلا أنها ليست عنده.

---

(١) السيوطي. نظم العقيان ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) السيوطي. تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٤٧٣ ـ ٤٩٢).

(٣) السيوطي. مقامة الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٤ أ، ب.

(٤) السيوطي. مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ضمن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ٤٠٢ ـ ٥٤٤).

وإني ـ بحمد الله ـ قد اجتمع عندي الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية والمعاني والبيان وغير ذلك، فأنا أعرف كيف أتكلم وكيف أقول وكيف أستدل وكيف أرجح، وأما أنت يا أخي ـ وفقني الله وإياك ـ فلا يصلح لك ذلك، لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول ولا شيئاً من الآلات، والكلام في الحديث والاستدلال به ليس بالهين، ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم، فاقتصر على ما آتاك الله، وهو أنك إذا سُئِلْتَ عن حديث تقول: ورد أو لم يرد، وصححه الحفاظ وحسنوه وضعفوه. ولا يحل لك في الإفتاء سوى هذا القدر. وخل ما عدا ذلك لأهله:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا»[1]

خامساً ـ بين «السيوطي» و«ابن الكركي»:

هو «برهان الدين، ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل، الكركي الأصل، القاهري المولد والدار والوفاة، الحنفي المذهب»[2].

تتلمذ على أعلام علماء عصره من أمثلة «العلاء القلقشندي»، و«ابن حجر العسقلاني»، و«الولي السفطي»، و«ابن الديري»، و«ابن الهمام»، و«الزين الزركشي»، و«البدر القيمري»، و«النجم الغزي»، و«العز البغدادي»، و«التقي الحصني»، و«التقي الشمني»، و«المحيي الكافيجي». . وأجيز بالإقراء والتدريس والإفتاء والتأليف.

وتمكن بفضل فصاحته، وبلاغته، وحسن عبارته، وجودة خطه، ولطف معاشرته، ومزيد ذكائه، وتفطنه، وسرعة بديهته، وحذاقته للسان التركي، ونسبته إلى «الجراكسة» من قبل أمه ـ إحدى جواري الأمير يشبك المشد الأتابك ـ

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣٩.

(٢) ترجمته مأخوذه هنا عن: السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٥٩ ـ ٦٤، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٣ ص ١٠٨، ١٣٤، ١٦٠، ١٧٠، ١٨٧، ١٩٣، ٢٣٤، ٣٠٢، ٣٧٦، ٣٨٣، ٤٦٦، ج ٤ ص ٦، ٧، ٨ ـ ٩، ج ٥ ص ٦٦، ٩٦، ابن الغزى. الكواكب السائرة ج ١ ص ١١٢، العيدروسي. تاريخ النور السافر ص ١٠١ ـ ١٠٣، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٨ ص ١٠٢ ـ ١٠٤.

من مداخلة كبار الأمراء والأعيان، بل وصحب السلطان «الأشرف قايتبـاي» أميراً وسلطاناً، فأدناه منه وأحبه، وداخله، فلم يكن يتخلف عن السلطان في أسفاره، حتى أنه دخل معه دمشق وحلب وبيت المقدس ومكة والمدينة، وتمنى السلطان أن يموت في حياته ليزوره «ابن الكركي» ويترحم عليه. وفي هذا ما يفسر تلك الحظوة التي نالته على يديه، والنعيم الذي خوله. . . إذ أعطاه قراءة البخـاري بالقلعـة، واستيفاء الصحبة، ونظر الكسوة، وولاه التدريس في أماكن متعددة، منها: قبة أم السلطـان، والمحمـودية، والأبو بـكرية، والإينـالية، وخشقـدم، وتربـة يشبـك الكبير ـ بالصحراء ـ ونظرهـا، والإعـادة بالسيوفية وبالمهمندارية مع النيابـة في نظرها وفي الأبو بكرية، كما كان بيده مشيخـة الصـوفية الأرسلانية ـ بـالمنشية ـ وخطابة مدرسة مغلطاي طاز. خارجاً عن رزق وأقطاع وأنظار ومسموح ـ هو دينار كل يوم ـ وجوالـي. . وأغـدق عليه هو ورجـالات دولتـه الـكثير من الهـدايا في المناسبات.

كما تولى قضـاء الحنفية بالقاهـرة مستهـل سنـة ثلاث وتسعمائـة للهجـرة (١٤٩٧ م.) إلى أن عزل في شوال سنة ست وتسعمائة للهجرة (١٥٠٠ م.).

وإن كان قد نُكب عدة نكبات في أخريات أيام «الأشرف قايتباي» وبعده، بحيث خرجت عنه وظيفـتا إقراء الحديث بالقلعة ومشيخة الأشرفية، كما هُجم بيته ونهب، وعزل عن القضاء، وبقي في الترسيم يوماً واحداً بسبب اختفاء «العـادل محمد بن قايتباي»، ثم صفت له أيامه على عهد السلطان «قانصوة الغوريّ».

وهكذا، فإن «ابن الكركي» قدر له أن يفتي، ويخطب، ويعظ، ويحدث، ويروي، ويؤلف. . إلى أن مات غريقـاً يوم الثلاثـاء خامس شعبـان سنـة اثنتين وعشـرين وتسعمائـة للهجـرة (١٥١٦م.)، حيث زلقـت به رجلـه إلـى «بــركة الفيل» ـ تحت منزله ـ وهو متوجه للوضوء.

ويبدو أن الخصومة بينه وبين مؤرخنا ـ وقد امتدت زمناً طويلاً ـ عائدة إلى تعارض طباع كلٍ، «فابن الكركي» ممن يداخلون السلطة ـ على النحو الموصوف قبل ـ ومؤرخنا ممن لا يجوزون مجرد التردد إلى السلاطين، زاعماً أن ذلك «سنة

السلف الصالح»، هذا فضلاً عن أن «ابن الكركي» قد ساعدته مؤهلاته العلمية والذاتية على الاستحواز على مكانة رفيعة وجاه وافر في مجتمعه، بينما اعتمد مؤرخنا ـ وقد عزل نفسه من معظم وظائفه ـ على ما ادعاه من «دعوى الاجتهاد» المبنية على التبحر في العلم، والتي صرح خصمه بدفعها عنه[1]، مرجحاً «السخاوي» عنيد، قائلاً: لا أعلم ـ الآن ـ من الإجماع عليه في عنم كالسخاوي»[2].

ولذا كان «لابن الكركي» الباع الطويل في تأليب السلاطين والأمراء والعلماء والعامة عليه، بحيث عدَّه «السيوطي» عدواً رئيساً له، بل لعله هو المعني «بأبي جهل» في قول مؤرخنا:

«ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدواً يؤذيني، وابتلاني بأبي جهل يغمصني كما كان للسلف مثل ذلك»[3].

أما تأليبه «السلاطين» على مؤرخنا، فقد مر جانب منه في معرض الحديث عن علاقة «السيوطي» بالسلطان «الأشرف قايتباي»، وقد أوقد «ابن الكركي» النار عليه عنده، مما كان سبباً في غضب السلطان عليه.

وأما تأليبه «الأمراء» و«العلماء» و«العامة» على مؤرخنا فيبين طرف منه في حديث «السيوطي» ـ معرضاً به ـ وقد راسله «ابن الكركي» مراجعاً في فتواه المتعلقة بمسألة «الحلف بالطلاق على غلبة الظن» ـ السابق الإشارة إليها ـ حيث يقول:

« . . . وانقضى المجلس، فذهب أحد القراء إلى الجاهل المذكور فذكر له ذلك، فقال: هذا ضعيف، راجعوه، لعله غلطان، عسى يرجع.

فانظروا بالله، ما أكثر جهل هذا وقلة عقله. ما لقي في ذلك المجلس من

---

(١) يستفاد ذلك من قول «السيوطي» في مقامة الدوران الفلكي ـ مخط دار الكتب المصرية رقم ٢٠٢ مجاميع ـ تيمورية ـ ق ٨٠، ٨٥: « . . . فاخد يكابر ويتردد إلى الأكابر، ويقول: احمعوا بيني وبين هذا المجتهد للمناظرة، وأكثر من فشارات لا تجدي نفعاً ولا في الاخرة، فيا سبحان الله . . . الدتي ذنبه قش ماله يتحرش بالنار». وقوله: « . . . ثم إنك من إنكار الاجتهاد عليَّ بمكان، وتزعم أنه في حير الإحالة وعدم الإمكان، وهذا كلام من خلا من العلم صدره والفؤاد، ومن بينه وبينه ألف واد».

(٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٦٢.

(٣) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٦٠.

يأخذ له نعلاً فيصفعه به ويقول له: تكلم في شغلك، انظر باب اللوق وربع فسوق أو دكان سوق! ولكن ما زالت الكلاب تنبح إذا رأت الأسد، والهر ينتفخ ويظن أنه يحاكي السبع، والناموسة تظن أنها بخرطومها تضاهي الفيل. وله عشراء وأعوان، بعضهم يشاركه فيما هو مشهور عنه، وبعضهم يخالطه في لعب الشطرنج. وأشدهم معاونة له جناحان، جناح أبيض يغلب عليه الحمق وسوء التدبير، حتى الوليد ليمكنه أن يسجنه بشعرة، وهو مع ذلك يدعي المعقول التام والمعرفة، ويزعم أنه يقدر يدبر المملكة فضلاً عما دونها، وجناح أسود يغلب عليه المكر والخبث وسواد الباطن، وهو مع ذلك دجال كذاب عامي محض، لو سُئِلَ عن مسألة الاستنجاء لم يحسن جوابها، ويتشدق في الأسواق بأنه مفيد الطالبين، لو استفتيت عن كذا لأفتيت. وهو عبارة عن سوقي لا يدري قبيلاً من دبير. . . فلما رجع إليَّ ذلك القارىء واستثبتني فيما قلته، صممت على مقالتي، فرجع إليه وأخبره. فذهب واستفتى أهل البلد، فأفتوه بعدم الحنث»[1].

وقوله فيما تعلق «بمسألة الهدم» المشار إليها سلفاً:

« . . . وأما ذاك الجاهل، فإنه استمر كل ساعة يدندن بذلك في الأسواق وعلى الدكاكين، وكل من رآه من سوقي أو دلال أو غلام أو سائس أو شربدار أو صبي أمرد يريه الذي كتبه له أهل البلد، ويفتخر بذلك ويأكل عليه الأكل في أسمطة الناس، ويأخذ عليه الزكاة.

ولما بلغه ما وقع بيني وبين أزدمر ـ حاجب الحجاب ـ من إنكاري عليه ما صدر منه في حق السنة والصحابة، ذهب إليه ليعينه عليّ، وملأ مسامعه من ذمي. فرد الله كيده في نحره وصُرِفَ عنه.

وتردد إلى سيدي علي باي ـ المقر الكافلي برقوق، كافل الممالك الشامية ـ وبيدي مشيخة تربتهم. فصار يأكل رزقه ويملأ مسامعه من ذمي. ثم إن الله صرفه عنه »[2].

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) نفسه ص ١٧١ ـ ١٧٢.

مما يشير ـ كذلك ـ إلى معارضته له في كثير من مسائل الفتيا السابق الإشارة إليها، وفي غيرها مما لم يُشر إليه، كمسألتي «النكاح الفاسد»[1] و«حديث القنوت»[2].

بل لقد أطلق «ابن الكركي» لسانه فيه، معيراً له بأمه[3] وبفقره، معيباً عليه عدم معرفته بنسب أبيه[4]. وهو ما تردد صداه في ترجمتي «السخاوي» لمؤرخنا ووالده.

كما تعقبه في إجماعه به ـ في صلاة الجمعة، وفي غيرها ـ بالمسائل واحدة بعد أخرى، وطالب بعقد مجلس لمناظرته في دعواه «الاجتهاد»، وحبس له ـ قرابة العام ـ تعلقاً كان يصرف على يده، وصار يهتاج لمجرد ذكر اسمه، ويضطرب عند سماع فتاويه أو ما قد يعرض عليه مما يقرره «السيوطي» في مؤلفاته[5].

وفي هذا ما يفسر اتجاه مؤرخنا إلى الحطمن شأن «ابن الكركي» والتعريض به في كثير من مؤلفاته، سواء تلك التي قصرها عليه وحده، ومنها: «الدوران الفلكي على ابن الكركي»، و«الجواب الزكي عن قمامة ابن الكركي»، و«الصارم الهندي في عنق ابن الكركي»،و«طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة». أو غيرها مما تعرض فيه له ولغيره، ومنها: «التحدث بنعمة الله»، و«المقامة اللؤلؤية»، و«التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة».

ومن ذلك قوله معرضاً به، ومحطاً عليه في «المقامة اللؤلؤية»:

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) نفسه ص ١٨١ ـ ١٨٣.

(٣) لعل في هذا ما دفع بالسيوطي (في مؤلفه «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ق ٤٦) إلى الجزم بأصالة نسب أبيه وشرفه، قائلاً: «... فإن والد أبي كانت أمه شريفة يقيني، وكان أقاربها الأشراف يردون عليها إلى آخر الوقت».

كما كان دافعاً لديه ـ كذلك ـ للحطمن شأة «ابن الكركي» وتعييره بها، على نحو ما سوف ينبه عليه في موضعه.

(٤) علل السيوطي لذلك (التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة ق ٤٦) قائلاً: «... فإن الجزم بالنسب صعب، واقتصرت على القدر المتيقن، وقد نقلت لنسبة احدادي إلى الشيخ همام الدين الخيضري من صداق ابن عم والدي المكتتب بخط جماعة من العدول المعتبرين الثابت على قاضي الشرع».

(٥) السيوطي. مقامة الدوران الفلكي على ابن الكركي.

« . . . ومن أحمق قل ذوقه، وجل روقه، وعرض طوقه، وظن أنه ملء الكون، وأن بينه وبين سائر الخلق بون. كان في القدر ذباله، وفي القدر زبالة، فانغمس من الدنيا في جرية، فازداد بذلك فريه: وحار وجاش.

مستحدث النعمة لا ترجه فكفه مملوءة فقر
جن له الدهر فنال الغنى يا ويحه إن عقل الدهر

وقد غفل الدهر، وعقد الزهر، وهو مستمر في غمرته، مستغرق في سكرته، ينشد لسان حاله لأشرته:

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

اتخذني غرضاً لسهامه، ومرمى لمرامه، كلما سمع مني بمسألة يجهلها هو أكثر النعيق وتابع النهيق، وأخذ يطيح ويطيش، ويجيش ويستجيش، فيا سبحان الله ما أنت وذا ؟ هل أنت إلاَّ مغن وراء الزفف، ومعثن في الختوم يلحس الشقف، وقار للأسباع على الأبواب، وقار للقرآن على السلالم والأعتاب، ليت شعري، متى كرعت من هذه الحياض، ورتعت في هذه الرياض، ومتى بدلت عمامة جدك بعد الصفرة بالبياض ؟

يا من غدا ليس من أهل المعترك فذاكَ ذو حماقة وذلك برك

أتروم أن تتعالى عليّ، وأن تسوق سهامك الطائشة إليّ، ما أجدرك بقول مبين، شاع في مئين من السنين :

تقعد فوقي لأي معنى؟ للفضل والهمة النفيسه
إن غلط الدهر فيك مرة فليس في الشرط أن تقيسه
كنت لهم مسجداً، ولكن قد صرت من بعدهم كنيسه
كم فارس أفضت الرزايا به إلى أن غدا فريسه
فلا تفاخر بما تقضي كان الخرا مرة هريسه »[1]

(١) السيوطي. المقامة اللؤلؤية ق ٥، وأنظر: د. مصطفى الشكعة. جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ص ٧٠ ـ ٧١.

وقوله ـ في «مقامة الدوران الفلكي» ـ مذكراً له بقديم عهده، شامخاً بأنفه عليه:

«تسلط علينا رجل خمساً وعشرين سنة، لا تأخذه في التلسن عليّ والأذى غفلة ولا سنة، رجل نشأ بيننا نعرفه، ولم ينزل إلينا من السما فلا ندري كيف نصفه. تعلم في صباه صنعة الأنغام، فصار له فيها باع، وعمل بها في الهنا والمديح وقراءة الختوم والأسباع، ثم عانى الأذان فاحتاج إلى فن الميقات، فلازم تلميذي. . . ثم دارت به الدوائر، وخدم الأمراء الأكابر إلى أن صبت عليه الدنيا عزاليها، وأمطرت عليه من سحبها ما لم يكن في باله ولا بال أحد أنه يصل إليها مما ذكر حاله الأول، بل شمخ بأنفه. . . وصال على الكبير والصغير، ورأس، وسار بخلق صعب المراس، كأنه ما نشأ بين الأصحاب، ولا مشى بأقدامه في الرحاب، وإنما دلي إليهم بحبل من السحاب، وأما أنا بالخصوص فمازال منذ صاوله في البلد سمعه، وامتلأ بذكره بين الناس سمعه يفوق لي سهام الأذى، ويغبر في عيني بالقذي، لا أُذكر في مجلسه إلا اضطرب، ولا تُنقل له عني مسألة يجهلها إلا ازدلف للاساءة عليّ واقترب»[1].

« . . . وقد كنت هجرت هذا الرجل منذ سبع سنين لا أخاطبه، وإذا ركبت وإياه في السفينة أجانبه، وقد هجرته ـ الآن ـ هجراً على هجر، فهو مهجور هجرين، وأنا مع ذلك إن شاء الله ـ تعالى ـ مأجور أجرين.

فقولوا له: إني حامل لواء العلم لمن يهتدي، والإمام المقدم فيه لمن يروم أن يقتدي، ومني يستمد كل دانٍ وناءٍ، وما في المشرق والمغرب ـ الآن ـ من أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي. وإن قال كما قالت حسدة اليهود: «أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، ولم يؤت سعة من المال». فقولوا (له) كما قيل لهم في الجواب: ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله واسع عليم ﴾ (٢٤٧ : سورة البقرة) [2].

---

(١) السيوطي. مقامة الدوران الفلكي على ابن الكركي. ق ٧٨.

(٢) نفسه ق ٩٧.

سادساً ـ بين «السيوطي» و«القسطلاني» :

هو «شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي، القسطلاني الأصل، المصري، الشافعي»[1].

كان بيده مشيخة مقام «أحمد بن أبي العباس الحراز» ـ بالقرافة الصغرى ـ والوعظ بالجامع الغمري، وأُشير إليه بالعلم، والانقياد للحق، والتواضع فيه.

ويبدو أن تلمذته على الشمسين «الباني» و«السخاوي»، فضلاً عن نسبة «السيوطي» إليه الإغارة على كتبه، كانا سبباً في حدوث هذه النفرة بينهما، والتي لا يُعلم من أمرها الكثير.

وإن كان «العيدروسي» ـ فيما نقله عن جار الله بن فهد ـ يشير إلى أنه قصد إزالة ما في خاطر مؤرخنا، فمشى من القاهرة إلى الروضة ـ حيث اعتزل «السيوطي» في بيته ـ فوصل إلى بابه ودق الباب. فقال له: «من أنت ؟ » فقال: «أنا القسطلاني، جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ». فقال له: «قد طاب خاطري عليك». ولم يفتح له الباب، ولم يقابله[2].

سابعاً ـ بين «السيوطي» و«ابن العُليف» :

هو «شهاب الدين، أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم، المكي، الشافعي»[3].

---

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن: السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ تر ٣١٣ ص ١٠٣ ـ ١٠٤، ابن الغزي. الكواكب السائرة ج ١ ص ١٢٦ ـ ١٢٧، الشوكاني. البدر الطالع ج ١٠ تر ٦٠ ص ١٠٢ ـ ١٠٣، العيدروسي. تاريخ النور السافر ص ١٠٦ ـ ١٠٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٨ ص ١٢١ ـ ١٢٣.

(٢) العيدروسي. تاريخ النور السافر ص ١٠٧.

(٣) ترجمته هنا مأخوذة عن: السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٢٩٠، ابن الغزي. الكواكب السائرة ج ١ ص ١٣٤، العيدروسي. تاريخ النور السافر ص ١١٧ ـ ١٢٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٨ ص ١٤١ ـ ١٤٢.

ولد بمكة ونشأ بها، وقدرت وفاته فيها. وحفظ القرآن ـ الكريم ـ وبعض مختصرات علوم عصره، وتتلمذ على «التقي ابن فهد المكي» وولده، و«الزين عبد الرحيم الأسيوطي»، و«أبي الفضل المرجاني»، و«النور الفاكهي»، وغيرهم، ودخل القاهرة مراراً، فأخذ فيها عن «العبادي»، و«الشهاب الشادي»، و«الشمس الجوجري». وتوثقت علاقته «بالشمس السخاوي» ومدحه.

ويبدو أنه لم تكن بيده من الوظائف سوى «الشهادة في عمارة المسجد النبوي»، ولذا تكسب «بالنساخة»، ومدح السلاطين والأمراء. إذ يذكر «العيدروسي» أنه مدح سلطان الروم «بايزيد بن عثمان» وغيره من أقرانه بمؤلف أسماه «الدر المنظوم في مناقب سلطان الروم»، فرتب له خمسين ديناراً كل سنة، كما أنه اقتصر على مدح صاحب مكة «السيد بركات بن محمد الحسني» وحظي عنده.

ويبدو أن تتلمذه على «الجوجري»، وتوثق علاقته «بالسخاوي» كانا دافعه لمعاداة «السيوطي» ، إذ رد عليه دعواه الاجتهاد بمؤلف أسماه «المنقد اللوذعي على المجتهد المدعي» ، كما انتصر «للسخاوي» بمؤلف آخر ، هو «الشهاب الهاوي على منشيء الكاوي» .

وتبقى الإشارة إلى أن «السيوطي» لم يقف وحده في وجه خصومه المار الحديث عنهم، كما أنه لم يشذ فيما خالفهم فيه من مسائل الفتوى، إذ كان معه من يرى رأيه وينتصر له، وهو ما يفهم من قول «السخاوي»: «وكان من الفريقين ما لا خير فيه»[1]، وقول «السيوطي» في رسالة «النجح في الإجابة إلى الصلح»:

«. . . وإما ما ذكره القاصد الكريم من أن الناس صاروا فريقين، فإن ذلك ليس بأمري، ولا ناشيء عن اختياري، بل ولا أزال أردهم، وعن الكلام أصدهم»[2].

---

(١) السخاوي. الضوء اللامع جـ ٨ ص ١٢٥.

(٢) السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ١٩٨.

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة
دراسة وتعريف

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة[1]

محتواه

بُني هذا المؤلف على مقدمة قصيرة، أفصح «السيوطي»، فيها عن تسميته له، مشيراً إلى أن مادته «فوائد مفصلة»[2]، فتمهيد اشتمل على عدة أمور شرعية، تتعلق بتعليل لحدوث الزلازل[3]، والحكمة الملتبسة بها[4]، وما يستحب فعله عند الزلزلة من الوعظ والصلاة والتقرب بوجوه البر. مشيراً من خلال ذلك إلى أن أول زلزلة للأرض كانت يوم قتل «قابيل» أخاه «هابيل»، معتمداً في ذلك على ما التقطه من النصوص الواردة في متون كثير من كتب: الحديث النبوي، والتفسير،

---

(١) نُشر هذا الكتاب في «لاهور» سنة ١٨٩٠ م.، كما نُشر كذلك في الهند مرتين، إحداهما ضمن رسائل تسع «للسيوطي»، والثانية ضمن رسائل عشر له، وهما نشرتان ناقصتان. فلقد أتت النشرة الاولى في خمس صفحات ـ فقط ـ بينما شغلت النشرة الثانية ثماني عشرة صفحة، انتهت مادتها بزلزلة سنة اربع وخمسين وستمائة للهجرة. ثم أتيح له أن ينشر مكتملاً في «المغرب» (ط. وزارة الثقافة، ١٩٧١ م.) بتحقيق د. عبد اللطيف السعدني. ثم ظهرت له اخيراً نشرة صادرة عن مكتبة الدار بالسعودية بتحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني.

(٢) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٣١.

(٣) حيث علل لحدوث الزلازل «بتحرك عرق جبل قاف»، او لحركة «حوت» ضخم ترتكز الارض عليه، أو نتيجة «لتبدي بعض الخالق ـ سبحانه ـ للأرض، تخويفاً لعباده». رادّاً بذلك التفسير العلمي لحدوثها، قائلاً: «.. وبهذه الاثار عرف فساد قول الحكماء ان الزلازل إنما تكون عن كثرة الابخرة الناشئة عن تاثير الشمس واجتماعها تحت الارض، بحيث لا تقاومها برودة حتى تصير ماء، ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها، ويكون وجه الأرض صلباً، بحيث لا تنفذ البخارات منها. فإذا صعدت ولم تجد منفذاً اهتزت منها الأرض واضطربت كما يضطرب بدن المحموم لما يتوز في باطنه من بخارات الحرارة. وربما انشق ظاهر الأرض وتخرج من الشق تلك المواد المحتبسة. ووجه فساده انه قول لا دليل عليه، بل ورد الدليل بخلافه».
نفسه ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٤) فهي ـ في معتقده ـ «تخويف من الله لعباده عند فعل المنكرات»، كما أنها «من اشراط الساعة».

والفقه.. وهي في معظمها نصوص تدخل فيما يسمى - الآن - «بالموروث الشعبي»، ولا تقوى أمام التقويم العلمي.

ويلي ذلك تدوين **للزلازل الواقعة قبل الاسلام**[1]، مشيراً إلى سبعٍ منها، وهي:

- الزلزلة يوم اراد «ابراهيم» - عليه السلام ذبح ولده.
- الزلزلة المهلكة لقوم «شعيب» - عليه السلام.
- الزلزلة بالسبعين الذين اختارهم «موسى» - عليه السلام - من قومه.
- الزلزلة الواقعة بالشام بعد «عيسى بن مريم» - عليه السلام.
- زلزلة الأرض لمقدم الفيل في محاولة هدم الكعبة.
- الزلزلة بالكعبة، وإيوان كسرى لمولد «محمد»ﷺ.

ثم تطرق إلى ذكر **الزلازل الواقعة في الاسلام**[2]، مشيراً إلى حدوث بعض زلازل في صدر الاسلام على عهد الرسولﷺ وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما.

على أن التاريخ العلمي المنظم للزلازل لا يتحقق لدى «السيوطي» في هذا المؤلف إلا في الفترة اللاحقة مباشرة، حيث يعمد إلى رصد (١١٣) ثلاث عشرة ومائة زلزلة وقعت في ديار الاسلام وما يحوطها شرقاً وغرباً، في الفترة ما بين سنتي أربع وتسعين، وخمس وتسعمائة للهجرة.

وبعدها يذيل السيوطي على الكتاب ببعض معلومات أُشير إلى أنها «**فوائد**»، تضمنت :

- الإشارة إلى سقوط «منارة مدينة قفط» في زلزلة موغلة في القدم.
- بعضٌ مما قيل في خصائص البلدان، أشار من خلاله إلى أن أكثر ما تكون الزلزلة في البلاد الجبلية.

---

(١) السيوطي. كشف الصلصلة ص١٥٧ - ١٦٤.
(٢) نفسه ص ١٦٥ - ٢١٠.

ـ نماذج شعرية واصفة للزلزلة.
ـ ذكر الزلزلة التي تقع «يوم الخلاص»، عند خروج الدجال.

وعلى ذلك فسوف ترتكز هذه الدراسة على تلك المادة التأريخية الواقعة فيما بين سنتي أربع وتسعين، وخمس وتسعمائة، باعتبارها أدخل في التدوين التاريخي من غيرها.

مصادره

ردد «السيوطي» من خلال رصده للزلازل الواقعة في الفترة المشار إليها الاعتماد على سبعة عشر مصدراً تأريخياً، وهي:

م	المصدر	الزلازل المسند مادتها إليه
١	**الطبري** (ت ٣١٠هـ/٩٢٣ م.): «تاريخ الرسل والملوك»	زلزلة سنة ٩٤.
٢	**ابن القلانسي** (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق	زلزلة سنة ٥٣٣.
٣	**ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ./١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	زلازل سنوات: ٢٠٣، ٢٨٩، ٣٠٧، ٣٤٦، ٤٢٥، ٤٦٠، ٤٦٢، ٥٥٢.
٤	**الرافعي القزويني** (ت ٦٢٣هـ./١٢٢٦م.): التدوين في أخبار قزوين	زلزلة سنة ٥١٣.
٥	**ابن الأثير الجزري** (ت ٦٣٠هـ./١٢٣٣م.): الكامل في التاريخ	زلازل سنوات: ٢٨٩، ٦٠٠، ٦٢٣، ٦٥٧.
٦	**سبط ابن الجوزي** (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان	زلازل سنوات: ٩٤، ٩٨، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٨، ٤٤٤، ٤٥٨، ٥١٦، ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٧٤، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٥
٧	**أبو شامة المقدسي** (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٨م.): الروضتين في أخبار الدولتين.	زلزلتا سنتي: ٥٥١، ٥٥٢.

م	المصدر	الزلازل المسند مادتها إليه
٨	ابن ميسر (ت ٦٦٧هـ / ١٢٧٨م) : أخبار مصر.	زلزلة سنة ٥٥٣.
٩	ابن المتوج (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) : إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل في أخبار مصر.	زلزلة سنة ٦٩٣.
١٠	الكمال الأدفوي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م.): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.	زلزلة سنة ٧٠٢.
١١	الشمس الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م.): العبر في خبر من عبر، وذيله.	زلازل سنوات: ٢٣٣، ٢٨٠، ٤٣٤، ٥٩٧، ٧٢٢، ٧٣٩.
١٢	ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.	زلزلة مصر في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي، في الفترة ما بين سنتي: ٣٨٦ و٤١١هـ.
١٣	ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٤٧٣ م) : البداية والنهاية.	زلازل سنوات: ٢٨٠، ٤٣٤، ٤٤٤، ٥٧٥، ٥٩٣.
١٤	ابن الشحنة (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م.): روض المناظر في علم الأوائل والأواخر.	زلزلة سنة ٧٤٤.
١٥	المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٣٤٨م) : السلوك لمعرفة دول الملوك.	زلازل سنوات: ٥٨٧، ٧٤٨، ٧٩١.
١٦	ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩م.): إنباء الغمر بأنباء العمر	زلزلتا سنتي: ٨٢٢، ٨٢٥.
١٧	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.	زلزلة سنة ٧٠٢.

بالإضافة إلى ثلاثة مصادر ثانوية، هي: «**مهذب الطالبين**»[1]، وما أشار إلى أنه وجده «**على ظهر كتاب**»[2]، و«**تذكرة الوادعي**»[3]. ومادة ما نُسب إلى المصدرين الأول والثاني مما لم تذكره ما تحت يدي من مصادر.

وعلى الرغم مما أُشير إليه من الأمانة العلمية لدى «السيوطي»، المقتضية اسناد كل منقول لديه إلى مصدره، فإنه يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً ـ أن السيوطي قد أغفل ذكر مصادر أكثر مادة هذه الفترة التاريخية موضع الدراسة، فالمسند إلى المصادر منها ـ كما يتضح من الجدول السابق، وما ألحق به من المصادر الثانوية ـ (٥١) إحدى وخمسون زلزلة ـ فقط ـ بينما أهمل ذكر مصادر (٦٢) اثنتين وستين زلزلة بيانها كالتالي:

م	الزلزلة (سنتها)	المصدر المرجح الأخذ عنه	م	الزلزلة (سنتها)	المصدر المرجح الأخذ عنه
١	١٨٠	ابن كثير	٢	١٨٧	ابن كثير
٣	٢٢٠	×	٤	٢٢٤	×
٥	٢٢٥	×	٦	٢٣٤	×
٧	٢٣٩	×	٨	٢٤٠	×
٩	٢٤٢	ابن كثير	١٠	٢٤٥	ابن كثير
١١	٢٤٩	ابن كثير	١٢	٢٥٨	ابن كثير
١٣	٣٠٠	ابن كثير	١٤	٣٣١	ابن كثير
١٥	٣٤٤	×	١٦	٣٤٥	ابن كثير
١٧	٣٤٧	ابن كثير	١٨	٣٦٢	×
١٩	٣٦٣	ابن كثير	٢٠	٣٦٧	ابن كثير

(١) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٧٥ ـ ١٧٦، حيث أسند إلى نسخة عتيقة منه حدوث زلازل في أيام «كافور الاخشيدي» بمصر، وإن عاد إلى نقص ذلك بقوله: «.. ثم رأيت ما يخالف ذلك كما سنذكره». وهو مما أُثبت في «تلخيص الكشف والبيان» لابن نظيف. ط. موسكو ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ضمن حوادث سنة ٣٤٠ هـ.

(٢) نفسه ص ٢٠٦، حيث نسب إليه مادة زلزلة سنة ٧٦٦ هـ.

(٣) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٦٧، ١٦٨، حيث أسند إليه مادته في زلزلتي سنتي: ١٣٠، ١٣١ هـ.

م	الزلزلة (سنتها)	المصدر المرجح الأخذ عنه	م	الزلزلة (سنتها)	المصدر المرجح الأخذ عنه
٢١	٣٧٦	ابن كثير	٢٢	٣٩٣	×
٢٣	٣٩٨	.	٢٤	٤٥٠	ابن كثير
٢٥	٤٥٥	ابن كثير	٢٦	٤٦٤	ابن كثير
٢٧	٤٧٨	ابن كثير	٢٨	٤٧٩	ابن كثير
٢٩	٤٨٤	.	٣٠	٥٠٨	ابن كثير
٣١	٥١١	ابن كثير	٣٢	٥١٥	ابن كثير
٣٣	٥٣٢	ابن كثير	٣٤	٥٤٤	ابن كثير
٣٥	٥٤٩	ابن كثير	٣٦	٥٥٠	ابن كثير
٣٧	٥٦٥	سبط ابن الجوزي	٣٨	٥٩٢	سبط ابن الجوزي والمقريزي
٣٩	٦٠٨	ابن كثير			
٤٠	٦٥٤	ابن كثير	٤١	٦٦١	اليونيني
٤٢	٦٦٢	المقريزي	٤٣	٦٦٧	المقريزي
٤٤	٦٩٢	ابن كثير	٤٥	٧٧٥	ابن حجر
٤٦	٧٨٧	ابن حجر	٤٧	٧٨٨	المقريزي
٤٨	٨٠٦	ابن حجر	٤٩	٨٠٩	ابن حجر
٥٠	٨١١	ابن حجر	٥١	٨٢٨	المقريزي
٥٢	٨٣٤	ابن حجر	٥٣	٨٣٨	ابن حجر
٥٤	٨٤١	المقريزي	٥٥	٨٦١	ابن تغري بردي
٥٦	٨٦٣	ابن تغري بردي	٥٧	٨٨١	المعاصرة
٥٨	٨٨٦	المعاصرة	٥٩	٨٨٨	المعاصرة
٦٠	٨٨٩	×(١)	٦١	٨٩٦	المعاصرة
٦٢	٩٠٥	المعاصرة			

(١) فلقد وقعت هذه الزلزلة بحلب.

ثانياً ـ أنه قد وقع لديه خطأ في الإسناد إلى المصادر في مواضع ثلاثة ، وهي .

أ ـ إسناده مادة زلزلة سنة «أربع وتسعين » للهجرة إلى كل من «الطبري»، و«سبط ابن الجوزي » ، قائلاً :

« . . وفي سنة أربع وتسعين كانت زلازل بالشام أقامت أربعين يوماً ، كذا ذكره ابن جرير وصاحب المرآة »[١].

وهو مما نقله عن «مرآة الزمان »، وقد نُسب الخبر فيها على وجه الخطأ إلى «الطبري» ، حيث لم يطلع «السيوطي» على «تاريخ الطبري» ، ولم ينقل عنه في هذا الموضع ، لأن الطبري لم يؤرخ لهذه الزلزلة .

ويبدو أن الخطأ لدى مصدره راجع إلى مفهوم مفاده أن «ابن الأثير» إنما لخص مادة «تاريخ الطبري» مذيلاً عليها إلى وقته، ولذا نسب مادة الزلزلة ـ متوهماً ـ إلى الطبري ، وقد أطلع عليها في «الكامل لابن الأثير»[٢].

ب ـ إسناده مادة زلزلة سنة «سبع وخمسين وستمائة» للهجرة إلى «ابن الأثير» ، قائلاً:

« . . . وفي سنة سبع وخمسين (وستمائة) حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جداً. قاله ابن الأثير»[٣].

ووجه الخطأ بيّن في هذا الموضع، لانتهاء تاريخ «ابن الأثير» بسنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة، فضلاً عن أن وفاته تسبق هذا الخبر ـ أيضاً ـ بسبع وعشرين سنة .

جـ ـ إسناده مادة زلزلة سنة «اثنتين وعشرين وسبعمائة» إلى الذهبي، قائلاً:

« . . . وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، في المحرم جاءت زلزلة بدمشق ليلاً ، وهزت الأرض هزة عظيمة ، ثم سكنت بإذن الله ـ تعالى ـ قاله الذهبي في العبر»[٤].

---

(١) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٦٧ .

(٢) ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٨٢ .

(٣) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٩٩ .

(٤) نفسه ص ٢٠٥ .

وهو مما لم يورده «الذهبي» في «العبر»، لانتهاء مادته فيه بسنة سبعمائة، كما أنه مما لم يرد ـ كذلك ـ في ذيله على العبر.

ثالثاً ـ على أن الخطأ قد وقع لديه كذلك في النقل عن المصادر المصرح بالأخذ عنها، ومن أمثلة ذلك ما ورد في زلزلة سنة ستين وأربعمائة للهجرة من قوله:

« . . . وجاء كتاب بعض التجار يقول فيه: أنها خسفت الرملة بأسرها، ولم يسلم منها إلا داران ـ فقط ـ وهلك منها خمسة وعشرون ألف نسمة»[1].

ويقابله لدى مصدره قوله: « . . . وجاء كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة، ويقول: أنها خسفت الرملة جميعها حتى لم يسلم منها إلا دربان ـ فقط ـ وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة»[2].

وهكذا فلقد تحرف لديه قول مصدره في موضعين، حيث صار قول المصدر «دربان»: «داران»، و«خمسة عشر ألف»: «خمسة وعشرون ألف».

وقوله في زلزلة سنة سبع وتسعين وخمسمائة:

« . . . وسقطت طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بجامع دمشق، وأربع عشرة شرافة»[3].

على حين أن الوارد لدى مصدره قوله:

« . . . فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق. . . وسقط من الجامع ست عشرة شرافة»[4].

رابعاً ـ أنه لخص مادة مصادره في بعض مواضع تلخيصاً مخلاً، بَعُدَ بها في مثل تلك المواضع عن مقصد مصادرها، ومن نماذجه قوله:

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٠

(٢) ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ٢٤٨.

(٣) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٩٦.

(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧٨.

« . . . قال: وأما أهل دمشق، فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين، التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها، وخرجوا إلى البساتين والصحراء، وأقاموا عدة ليالي وأيام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون»[1].

ويقابله لدى مصدره قوله:

« . . . وأما أهل دمشق، فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها، وأجفلوا من منازلهم والأماكن المسقفة إلى الجامع والأماكن الخالية من البنيان خوفاً على أنفسهم، ووافت بعد ذلك أخرى ففتح البلد وخرج الناس إلى ظاهره والبساتين والصحراء، وأقاموا ليال وأيام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون، ويرغبون إلى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم »[2].

وهكذا فإن «السيوطي» قد اختصر عبارة مصدره اختصاراً مخلاً، أدمج الزلزلتين في زلزلة واحدة، بحيث صرح بالزلزلة الأولى، مردفاً لها بالأثر المترتب على تاليتها.

ويمثل ذلك أيضاً قوله:

« . . . وفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، قال الذهبي وابن كثير: كانت الزلزلة العظمى بتبريز، هدمت قلعتها وسورها وأسواقها ودورها، حتى من دار الإمارة عامة قصورها، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً»[3].

ويقابله قول الذهبي:

« . . . فيها كانت الزلزلة العظمى بتبريز، فهدمت أسوارها، وأُحصي من هلك تحت الهدم، فكانوا أكثر من أربعين ألفاً»[4].

---

(١) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٨٩.
(٢) أبو شامة. الروضتين في أخبار الدولتين ص ١٠٥.
(٣) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٧٧ - ١٧٨
(٤) الذهبي. العبرج ٣ ص ١٨٠.

وقول ابن كثير:

« . . . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز، فهدمت قلعتها وسورها ودورها، ومن دار الإمارة عامة قصورها، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً »[1].

وهكذا، فإن تقدير الموتى «بخمسين ألفاً» مما قاله «ابن كثير»، وهو لا يتفق مع قول «الذهبي»: «أكثر من أربعين ألفاً»، مما يجعل عبارة «السيوطي» في هذا الموضع غير دقيقة لنسبته هذا التقدير لكليهما.

خامساً ـ **أنه كثيراً ما يسند مادته إلى مصدر مصدره فيها، مما يوهم باطلاعه على المصدر المصرح به لديه، على حين أنه لم يطلع إلا على المصدر القريب فقط،** ومن أمثلة ذلك قوله:

« . . . وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة. قال أبو يعلى بن القلانسي: وكانت هذه الزلزلة بالدنيا كلها، إلا أنها كانت بحلب أعظم، ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة »[2].

وهو مما نقله عن «سبط ابن الجوزي»، وليس عن «ابن القلانسي» لتقارب النصين لديهما، وبعدهما عن عبارة المصدر الرئيس. حيث أتت عبارة «سبط ابن الجوزي» على النحو التالي:

« . . . وذكر أبو يعلى بن القلانسي أنها كانت عامة بالدنيا، وأنها كانت بحلب أعظم، جاءت ثمانين مرة، ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة، وهرب أهل البلد بظاهره »[3].

بينما أتت عبارة «ابن القلانسي» على النحو التالي:

« . . . وتناثرت الأخبار من الثقات السفار، والواردين من ناحية الشمال بصفة هذه الرجفات المذكورات، وأنها كانت في حلب، وما والاها من البلاد

(١) ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٥٠.
(٢) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٨٤.
(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٦٩.

والمعاقل والأعمال أشد ما يكون، بحيث انهدم في حلب من الدور، وتشعث السور، واضطربت جدران القلعة، وظهر أهل حلب من دورهم إلى ظاهره من خوفهم على نفوسهم، ويقول المكثر من الحاكي أن الزلزلة جاءت تقدير مائة مرة، وقوم يحققون أنها ثمانون مرة، والله أعلم بالغيب والصواب»[1].

ومن أمثلته ـ كذلك ـ قوله:

« . . . وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة ببلادهم، هدمت كثيراً من القرى والقلاع »[2].

ويقابله لدى المصدر المصرح بالنقل عنه، قول ابن الأثير:

« . . . وفيها يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة، ضحوة النهار، زلزلت الأرض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية، وكان أكثرها بشهرزور، فإنها خرب أكثرها، ولا سيما القلعة، فإنها أجحفت بها، وخرب من تلك الناحية ست قلاع، وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفاً وثلاثين يوماً، ثم كشفها الله عنهم، وأما القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها»[3].

على حين أن عبارة «السيوطي» ـ آنفة الذكر ـ تتفق وعبارة «ابن كثير» المورد لها على النحو التالي:

« . . . وذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة عظيمة في هذه السنة، هدمت شيئاً كثيراً من القرى والقلاع ببلادهم »[4].

مما يشير إلى إطلاع «السيوطي» على مادة هذه الزلزلة فيما نقله «ابن كثير» عن «ابن الأثير». إذ لو كان قدر له الاطلاع عليها فيما أثبته «ابن الأثير» لما أتت مادته مقتضبة إلى هذا الحد المشابه لما أورده «ابن كثير» عنها.

---

(١) ابن القلانسي. تاريخ دمشق ص ٤٢٠.
(٢) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٩٨.
(٣) ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.
(٤) ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٤.

ومن أمثلته ـ كذلك ـ قوله فيما نقله عن «سبط ابن الجوزي»:

« . . . وفي سنة ست وأربعين (وثلاثمائة)، كانت بالري ونواحيها زلازل عظيمة دامت نحو أربعين يوماً، تسكن ثم تعود، وخسف ببلد الطالقان، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، وتقطع بالري جبل، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة، وخرجت منها مياه منتنة ودخان عظيم. هكذا نقل ابن الجوزي»[1].

ومن المقطوع به أن «السيوطي» لم ينقل مادته في هذه الزلزلة عن «ابن الجوزي»، فعبارة «ابن الجوزي» المصرح بالنقل عنها قد أتت مقتضبة، وخالية من كثير من هذه العناصر المثبتة لدى «السيوطي» على النحو التالي:

« . . . وفي ذي الحجة ورد الخبر بأنه كان بالري ونواحيها زلزلة عظيمة، مات فيها خلق كثير من الناس »[2].

سادساً ـ والحق أن «السيوطي» كان يفضل في كثير من الأحيان التعامل مع المصدر القريب، إهمالاً للمصدر الرئيس المنقول عنه، وإن اطلع عليه في غير موضع. يكشف عن ذلك ما أثبته في كتابه فيما تعلق بزلازل سنة أربع وأربعين وأربعمائة للهجرة قائلاً:

« . . . وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة، كانت زلازل عظيمة بنواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد، فتهدم بسببها شيء كثير.

قال ابن كثير: وحكى بعض من يعتمد قوله: أنه انفرج إيوانه وهو يشاهد ذلك حتى رأى السماء منه، ثم عاد إلى حاله لم يتغير. وحكاه صاحب المرآة »[3].

وهكذا، فإن «السيوطي» قد أخذ مادته في هذا الموضع عن «ابن كثير»، و«سبط ابن الجوزي»، مغفلاً الرجوع إلى المصدر الرئيس، وهو «ابن الجوزي» المنقول عنه لديهما، حيث وردت فيه هذه المادة على النحو التالي:

« . . . وفي هذه السنة كانت بأرجان والأهواز وتلك النواحي زلازل ارتجت

---

(١) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٧٥.

(٢) ابن الجوزي. المنتظم ج ٦ ص ٣٨٤.

(٣) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٧٨.

منها الأرض، وانقلعت منها الحيطان، ووقعت شرافات القصور، وحكى بعض من يعتمد على قوله أنه كان قاعداً في إيوان داره فانفرج حتى رأى السماء من وسطه، ثم رجع إلى حاله»[1].

ويكشف عن ذلك ـ أيضاً ـ ما أورده «السيوطي» فيما تعلق بزلزلة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، من قوله:

« . . . وفي سنة ثمان وثلاثين (وخمسمائة) في ذي القعدة، ليلة الثلاثاء رابع عشرية زلزلت الأرض زلزلة عظيمة. كذا ذكره صاحب المرآة وابن كثير مقتصرين عليه»[2].

مهملاً الرجوع إلى المصدر الرئيس الآخذ عنه كل منهما، وهو «ابن الجوزي»، على الرغم من أهميته ـ في هذا الموضع ـ باعتباره معاصراً للحدث ومعايشاً له، على النحو الوارد في قوله:

« . . . وزلزلت الأرض ليلة الثلاثاء رابع عشرين ذي القعدة، فكانت رجة عجيبة، كنت مضطجعاً على الفراش فارتج جسدي منها »[3].

ولو أن «السيوطي» كان معنياً بالإستقصاء، والالتفات إلى ما دون من مادة كتابه في مظانها الرئيسة لأمكنه التصريح بموضع هذه الزلزلة المسكوت عنه لدى «سبط ابن الجوزي»، و «ابن كثير»، وهو «بغداد» موضع سكنى «ابن الجوزي».

سابعاً ـ وطبيعي مع كل هذا أن لا يستوعب «السيوطي» في هذه الفترة موضع الدراسة كل ما أوردته المصادر المصرح باطلاعه عليها من زلازل. .
فلقد فاته رصد الكثير منها، كما فاته الالمام بسائر عناصر الكثير من الزلازل المثبتة لديه، والمصرح بها لدى المصادر المنقول عنها.

ولعله مما يفيد في هذا الموضع الإشارة إلى أن «السيوطي» قد فاته رصد

---

(١) ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ١٥٤.
(٢) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٨٤، وراجع: سبط ابن الجوري. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٨٤، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٣) ابن الجوري. المنتظم ج ١٠ ص ١٠٨.

(١٥) خمس عشرة زلزلة وردت في مصدر واحد مما صرح بالاطلاع عليه، وهو «الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري»، على الرغم من فداحة الأثر المصاحب لأكثرها، على النحو المثبت في الجدول التالي:

م	سنة الزلزلة	بيان المصدر	الاثر المصاحب لها
١	٢١٢	ج ٦ ص ٤٠٨	تهدمت المنازل، وخربت القرى، وهلك فيها خلق كثير.
٢	٢٢٦	ج ٦ ص ٥٢١	خرج الناس عن منازلهم، وخرب كثير منها.
٣	٢٤١	ج ٧ ص ٨٠	هدمت المساكن، ومات تحتها خلق كثير لا يحصون.
٤	٢٦٧	ج ٧ ص ٣٦١	....
٥	٢٧٢	ج ٧ ص ٤٢٠	أخربت الدور، والمسجد الجامع، وأحصي بها في يوم واحد ألف جنازة.
٦	٢٩٩	ج ٨ ص ٦٦	لم ير مثلها شدة وعظمة.
٧	٣٦٧	ج ٨ ص ٦٩٣ - ٦٩٤.	فارق أهل «المهدية» منازلهم، وأسلموا أمتعتهم.
٨	٣٦٨	ج ٨ ص ٦٩٨	....
٩	٤٥٠	ج ٩ ص ٦٥١	حربت كثيراً من الدور، وهلك فيها الجم الغفير.
١٠	٤٨٧	ج ١٠ ص ٢٣٨	لم يكن الهدم كثيراً.
١١	٥٣٤	ج ١١ ص ٧٦	خرب منها الكثير، وهلك عالم لا يحصون كثرة. قيل: كان الهلكى مائتي ألف وثلاثين ألفاً، وكان من جملة الهلكى ابنان «لقرا سنقر» صاحب البلاد، وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز، وذهب له فيها من الذخائر والأموال شيء عظيم.
١٢	٥٧١	ج ١١ ص ٤٣٣	هلك فيها خلق كثير، وتهدمت دور كثيرة، وأكثر ذلك كان بالري وقزوين.
١٣	٥٩٠	ج ١٢ ص ١١٠	سقطت منها الجبانة التي عند مشهد أمير المؤمنين علي.
١٤	٦٠٤	ج ١٢ ص ٢٧٧	لم تكن بها شدة، ولم تكن بالقوية
١٥	٦٢٢	ج ١٢ ص ٤٤٧	متوسطة (لم يذكر لها أثراً).

وهي مما وقع في المشرق والمغرب، مما لا تخفى أهمية رصده في مؤلف كهذا خصص للافصاح عن عنصر واحد من عناصر التدوين التأريخي وهو «الزلزلة» رصداً ووصفاً.

وما يقال عن هذا المصدر، يمكن أن ينسحب على غيره[1] كذلك.

منهجه

يمكن التعرف على السمات العامة لمنهج «السيوطي» في إيراد مادته من خلال دراسة الأخبار الواردة لديه عن الزلازل ـ المدونة في هذه الفترة موضع الدراسة ـ ككل للوقوف على عناصرها، مع ملاحظة أن تلك العناصر لا تجتمع ـ بالضرورة ـ في موضع واحدٍ، وإنما يرد أكثرها في «زلزلة»، وبعضها في أخرى، كما أن هذه العناصر ـ كذلك ـ لا ترد ـ عادة ـ مرتبة في سائر أخباره عن الزلازل حسب ورودها هنا.

فإذا ما تقرر ذلك، فإنه يمكن الإشارة إلى أن أهم هذه العناصر هي:

(١) تأريخها :

حرص «السيوطي» على ضبط تأريخ «الزلازل» المورد لها في كتابه، خاصة في المواضع المسكوت عنها لدى مصادره، حيث أرخ لها تأريخاً تقريبياً. ومن ذلك قوله معقباً على رواية «أبي هريرة» ـ رضي الله عنه ـ فيما تعلق بزلزلة (أو رجفة الأرض) على عهد الرسول ﷺ :

« . . . أبو هريرة أسلم عام خيبر، سنة سبع من الهجرة. فيؤخذ من هذا أنها وقعت في آخر سني الهجرة »[2].

---

(١) وراجع أيضاً: ابن الجوزي. المنتظم ج ٥ ص ٨٥، حيث التأريخ لزلزلة سنة اثنتين وسبعين ومائتين المؤرخ لها لدى ابن كثير، وج ٩ ص ٣٨، حيث أرخ لزلزلة سنة ثمانين وأربعمائة ـ مما أهمل السيوطي رصده في مؤلفه هذا ـ على النحو التالي:

« . . وفي هذا الشهر (شعبان) زلزلت همذان وما داناها من أرض الجبل، فرجفت بهم الأرض سبعة أيام، ووقعت منازل كثيرة تحت الردم، وسقط برجان من قلعة همذان، وهلك من سوادها ناحيتان، وخرج الناس إلى الصحراء حتى سكنت ثم عادوا».

(٢) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٦٥.

وقوله مردفاً ما أورده «ابن فضل الله العمري» في «مسالك الأبصار» من زلزلة مصر «في أيام الحاكم العبيدي»:

« . . . وكانت خلافة الحاكم من سنة ست وثمانين وثلاثمائة إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة»[1].

أما «الزلازل» المصرح بتأريخها في مصادره، فقد تنوعت طرقه في تدوين تاريخها على النحو التالي:

أ ـ التأريخ لها تأريخاً كاملاً، باليوم من الأسبوع، فاليوم من الشهر فالشهر، كنحو قوله في زلزلة سنة اثنتين وستين وأربعمائة: « . . . وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة، في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى قال ابن الجوزي: كانت زلزلة . . . »[2].

ب ـ التأريخ لها باليوم من الشهر فالشهر، كنحو قوله في زلزلة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة: « . . . وفي سنة ثمان وأربعين (وسبعمائة) في رابع رمضان زلزلت القاهرة . . . »[3].

جـ ـ التأريخ لها بالشهر، مغفلاً التأريخ باليوم من الأسبوع، فاليوم من الشهر، كنحو قوله في زلزلة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة: « . . . وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، في المحرم جاءت زلزلة . . . »[4].

د ـ الإكتفاء بتأريخها في سنة وقوعها، مسقطاً التأريخ لها باليوم والشهر، كنحو قوله: « . . . وفي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة زلزلت مصر زلزلة لطيفة ليلاً »[5].

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٧.
(٢) نفسه ص ١٨١.
(٣) نفسه ص ٢٠٦.
(٤) نفسه ص ٢٠٥.
(٥) نفسه ص ٢٠٩.

(٢) زمن وقوعها :

كما أنه لم يكتف بتحديد تأريخها في كثير من المواضع، وإنما عمد إلى إثبات زمن وقوعها، «ليلاً»، أو بالنسبة لمواقيت الصلاة، كنحو قوله في زلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة : « . . . فلما كانت ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء »[1].

وقوله في زلزلة سنة ست وثمانين وثمانمائة : « . . . وفي سنة ست وثمانين (وثمانمائة)، زلزلت مصر يوم الأحد سابع عشر المحرم بعد العصر»[2].

وقوله في زلزلة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة : « . . . وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، في المحرم جاءت زلزلة بدمشق ليلاً »[3].

(٣) مدتها :

كما كان «السيوطي» معنياً في بعض مواضع بتحديد المدة الزمنية التي استغرقتها بعض «الزلازل». ومن ذلك قوله في زلزلة سنة سبع وتسعين وخمسمائة : « . . . وكانت قوة الزلزلة في مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف، ثم دامت بعد ذلك أياماً »[4].

وقوله في زلزلة سنة تسع وعشرين وخمسمائة : « . . . ثم ارتجت ليلة الثلاثاء من نصف الليل إلى الفجر »[5].

وقوله في زلزلة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة : « . . . ودامت ثلاث ساعات »[6].

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٩ .

(٢) نفسه ص ٢٠٩ .

(٣) نفسه ص ٢٠٥ .

(٤) نفسه ص ١٩٦ .

(٥) نفسه ص ١٨٣ .

(٦) نفسه ص ١٧٤

(٤) تكرارها ورجوعها :

وكثيراً ما يُشير «السيوطي» إلى تكرار «الزلازل» وترددها، كنحو قوله: «تسكن ثم تعود»[١]، «زلزلت بغداد مراراً»[٢]، «زلازل كثيرة»[٣].

على أنه أتى في مواضع بما يشير إلى تقدير ترددها وتكرارها بدقة فيما قدر لديه تقديراً عددياً أو زمنياً، كنحو قوله في زلزلة سنة ثمانين ومائتين: «... زلزلت أردبيل ست مرات»[٤]، وقوله في زلزلة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة : «... زلزلت القاهرة مرتين في ساعة واحدة»[٥].

وقوله في زلزلة سنة خمس وعشرين ومائتين: «... دامت ستة عشر يوماً»[٦]، وقوله في زلزلة سنة ثلاث ومائتين : «.. دامت سبعين يوماً»[٧]، وقوله في زلزلة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة : «... أقامت ستة أشهر»[٨].

(٥) تحديد الرقعة التي حدثت فيها :

كما حرص «السيوطي» على تحديد الرقعة التي حدثت فيها الزلزلة سواء كانت «بالقاهرة»، أم «ببغداد»، أم «بالدينور»... وهكذا، متتبعاً انتقالها المُوسع لدائرة تأثيرها، كنحو قوله في زلزلة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين:

«... كانت زلزلة مهولة بدمشق... وامتدت إلى أنطاكية... وإلى الجزيرة... وإلى الموصل»[٩].

وقوله في زلزلة سنة خمس وخمسين وأربعمائة : «كانت زلزلة عظيمة بواسط

(١) المصدر السابق ص ١٧٥.
(٢) نفسه ص ١٨٣.
(٣) نفسه ص ١٨١.
(٤) نفسه ص ١٧٣
(٥) نفسه ص ٢٠٦.
(٦) نفسه ص ١٦٩.
(٧) نفسه ص ١٦٨.
(٨) نفسه ص ١٧٥.
(٩) نفسه ص ١٦٩.

وأنطاكية واللاذقية وصور وعكا والروم وأرض الشام »[1].

لكن قد يشير إلى أن الزلزلة عامة، غير مخصصة ببلد بعينه، كنحو قوله في زلزلة سنة خمس وأربعين ومائتين: «عمت الزلازل الدنيا»[2]، وقوله في زلزلة سنة سبع وتسعين وخمسمائة: «... عمت أكثر الدنيا»[3]، وقوله في زلزلة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة: « ... زلزلت الأرض »[4].

ويبدو أن القصور في تحديد الرقعة المكانية للزلازل في مثل تلك المواضع التي وردت لديه مجهولة المكان عائد بالدرجة الأولى إلى المصدر القريب الذي استقى منه معلوماته.

(٦) قوتها:

و«للسيوطي» اصطلاحات ـ نقلها عن مصادره ـ تقاس بها قوة الزلزلة، وتتمثل في صفات تأتي متوازية ـ دائماً ـ مع ما تحدثه الزلازل من آثار في الرقعة المكانية الواقعة فيها، وهي متمثلة في قوله:

زلزلة: «لطيفة»[5]، أو «خفيفة »[6]، أو «صعبة»[7]، أو «هائلة »[8]، أو «شديدة »[9]، أو «شديدة جداً »[10]، أو «شديدة مهولة»[11]، أو «عظيمة »[12]، أو

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٩.
(٢) نفسه ص ١٧١.
(٣) نفسه ص ١٩٥.
(٤) نفسه ص ١٨٤.
(٥) نفسه ص ٢٠٦.
(٦) نفسه.
(٧) نفسه ص ٢٠٩.
(٨) نفسه ص ١٨٩.
(٩) نفسه ص ١٦٨.
(١٠) نفسه ص ١٧٢.
(١١) نفسه ص ١٨٨.
(١٢) نفسه ص ١٨٣.

«عظيمة جداً »[1]، أو «عظمى»[2] ، أو «مهولة»[3] . . وقد توصف بأنها: «زلزلة منكرة»[4] .

(٧) الأثر المترتب عليها :

ويتنوع الأثر المترتب على الزلزلة من زلزلة إلى أخرى، حسب قوة الزلزلة عينها، بل وحسب التجاوب النفسي لدى المزلزل بهم معها، مما انعكس على مادة الكتاب موضع الدراسة، حيث تنوعت الآثار المترتبة على الزلازل فيه بين مادية تمثلت في هدم الأبنية وتخريب الحصون وسقوط الكثير من أسوار المدن وقلاعها، أو بشرية، حيث راح ضحيتها آلاف القتلى، أو ظاهرية انعكست على المنظر العام للأرض، وما عليها من ظاهرات تضاريسية، أو ابداع أدبي منفعل مع ما أحدثته على نحو ما كتب في بعضها من مقامات نثرية، وقصائد شعرية.

ومن أمثلته لدى مؤرخنا قوله في زلزلة سنة ثمانين ومائة : « . . . سقط منها رأس منارة الاسكندرية»[5] وقوله في زلزلة سنة خمس عشرة وخمسمائة : « . . . تضعضع بسببها الركن اليماني - زاده الله شرفاً - وتهدم بعضه، وتهدم شيء من مسجد المدينة الشريفة »[6].

وقوله في زلزلة سنة أربع وعشرين ومائتين : « . . . فمات فيها خمسة عشر ألفاً »[7].

وقوله في زلزلة سنة اثنتين وأربعين ومائتين : « . . . تقطعت جبال، وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل الشق »[8]. وقوله في زلزلة سنة ست

(١) نفسه ص ١٩٩ .
(٢) نفسه ص ١٩٥ .
(٣) نفسه ص ١٨٨ .
(٤) نفسه ص ١٧١ .
(٥) نفسه ص ١٦٨ .
(٦) نفسه ص ١٨٣ .
(٧) نفسه ص ١٦٩ .
(٨) نفسه ص ١٧١ .

وأربعين وثلاثمائة : « . . . خسف ببلد الطالقان، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، وتقطع بالري جبل، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة، وخرجت منها مياه منتنة ودخان عظيم »[1].

وقوله في زلزلة سنة سبع وتسعين وخمسمائة : « . . . فقال بعض البلغاء في ذلك . . . »[2]، وقوله في زلزلة سنة اثنتين وسبعمائة : « . . . وعمل شافع بن عبد الظاهر فيها مقامة سماها : ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل، وهي هذه . . . »[3].

على أنه قد تقع له مبالغة فيما ينسب لبعض الزلازل من آثار، وهي مبالغة ـ غالباً ما تكون منقولة عن مصدرٍ سابقٍ قُدِرَ لمؤرخنا الاطلاع عليه. ومن أمثلتها قوله في زلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فيما نقله عن «سبط ابن الجوزي»[4]: « . . . قال ابن الجوزي: فأما شيزر، فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها، وهلك الباقون، وأما كفرطاب فلم يسلم منها أحد »[5].

(٨) ما صاحب الزلزلة من أحوال طبيعية :

ويتمثل ذلك في حدوث مطر وصواعق، أو رياح، أو تغير ماء. . كما ورد في قوله فيما تعلق بزلزلة سنة ثمان وستين ومائتين : « . . . زلزلت بغداد زلزلة هائلة، وجاء بعدها مطر شديد وصواعق »[6]، وقوله في زلزلة سنة تسع وأربعين وخمسمائة : « . . . هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار، فخاف الناس أن تكون الساعة، وزلزلت الأرض، وتغير ماء دجلة إلى الحمرة، وظهر بأرض واسط من الأرض دم لا يعرف سببه »[7]، وقوله في زلزلة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة :

(١) المصدر السابق ١٧٥.
(٢) نفسه ص ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٣) نفسه ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.
(٤) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ١٠ ص ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٥) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٨٥.
(٦) نفسه ص ١٧٢.
(٧) نفسه ص ١٨٥.

«... هبت بنيسابور ريح عاصف ارتجت الأرض من هبوبها، وحدثت زلزلة مهولة»[1].

قيمة الكتاب

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى كونه مؤلفاً مستقلاً عن «الزلازل»، اعتنى فيه «السيوطي» ـ مؤرخنا ـ بتسجيل الكثير من الزلازل المنتشرة في حوليات كثيرة لدى مؤرخين آخرين، بل ومن مادة بعض كتب التراجم ـ كذلك ـ وإن كان «السيوطي» مسبوقاً في هذا الميدان بمؤلف مستقل للحافظ «ابن عساكر»[2] (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٦ م) هو كتاب «الانذار بحدوث الزلازل»[3] ـ والذي لم يطلع مؤرخنا عليه فيما يرجح ـ فإنه بمؤلفه هذا كان فاتحة للكتابة التاريخية في «الزلازل» استقلالاً لدى من أتى بعده من المؤرخين، فلقد ذيل عليه كل من «الشمس الداوودي» (ت ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٩ م.)، و«البدر» (ت ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦ م) و«النجم» (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١ م.) الغزيين ذيولاً وصلت بالكتاب إلى سنة ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م.[4].

كما ألف «علي بن محمد الجزار» (ت ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦ م.) في موضوعه مؤلفاً مستقلاً هو «تحصيل[5] المنازل من هول الزلازل»[6].

فضلاً عن أن «السيوطي» كان معاصراً لعدد من الزلزلات التي سجلها لنا في كتابه هذا، على النحو المشار إليه في العرض لمصادره.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٧.

(٢) هو «أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، المعروف بابن عساكر. ترجم له: ياقوت الحموي. معجم الأدباء ج ١٣ تر ١٤ ص ٧٣ ـ ٨٧.

(٣) ذكره ياقوت (المصدر السابق ج ١٣ ص ٧٩) مشيراً إلى أنه في ثلاثة أجزاء.

ويبدو أن «السيوطي» لم يطلع عليه، وأن تعرف على بعض مادته فيما نقله عن «سبط ابن الجوزي» في زلزلة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ـ راجع ص ١٧٠ من هذا الكتاب.

(٤) راجع بشأن ذلك: محمد مطيع حافظ. نصوص غير منشورة عن الزلازل:

I. F. D: Bulletin, D'études Orientales (XXXII - XXXIII), Damas, 1982, PP. 256-263.

(٥) تحصيل: بمعنى تثبيت ـ ابن منظور. لسان العرب ج ٢ ص ٩٠١.

(٦) توجد منه نسخة مخط. بدار الكتب المصرية برقم: ٢٤٠ ـ مصطفى فاضل.

كما أنه حفظ لنا نصاً «لابن ميسر» (ت ٦٦٧ هـ / ١٢٧٨م.) لا أثر له فيما انتقاه «التقي المقريزي» (ت ٨٤٥ هـ / ١٣٤٨م.) من تاريخه، وهو :

« . . . وذكر ابن ميسر في تاريخ مصر أنه في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، في شعبان أرسل الصالح طلائع بن رزيك عسكراً فوقعوا بالفرنج وقعة هائلة، وهزم الفرنج، واستولى المسلمون على أموالهم وخيلهم، وكان ذلك بالعريش، فقال المهذب بن الزبير في ذلك قصيدة يمدح فيها الصالح ويذكر هذه الواقعة، أولها:

أعلمت حين تجاوز الحيان ... أن القلوب مواقد النيران؟

ومنها في ذكر الزلازل:

ما زلزلت أرض العدى بل ذاك ما ... بقلوب أهليها من الخفقان
ويقال: ذلك عن بخار كامن ... في باطن الأرضين منذ زمان
وأقول: أن حصونهم سجدت لما ... أوتيت من ملك ومن سلطان»[1].

على أنه يمكن الوقوف على بعض مآخذ وقع فيها «السيوطي» ـ مؤرخنا ـ فيما أثبته من مادة هذا الكتاب، تتمثل في:

أولاً ـ عدم الدقة في الإسناد إلى المصادر، على النحو المفصح عنه في موضعه من هذا العرض.

ثانياً ـ الإعتماد على بعض المصادر الثانوية، وغير الموثقة في جمع مادته في بعض مواضع، على النحو المذكور في قوله:

« . . . وفي سنة ست وستين وسبعمائة كانت زلزلة عظيمة. رأيت ذلك مكتوباً على ظهر كتاب ولم يعين بأي مكان كانت »[2].

ثالثاً ـ التناقض في بعض مواضع من مؤلفه، نتيجة لنقله عن بعض المصادر

(١) السيوطي. كشف الصلصلة ص ١٩٢.
(٢) نفسه ص ٢٠٦.

نصوص متعارضة دون تنبه إلى ذلك . ومنها ما قرره من حدوث زلازل على عهد الرسول ﷺ بعد الهجرة إلى يثرب (المدينة)، ثم عوده - فيما نقلـه عن «سبط ابن الجوزي» - إلى القول بأن زلزلة المدينة (يثـرب) علـى عهـد الخليفـة «عمر بـن الخطاب» - رضي الله عنه - «هي أول زلزلة كانت في الإسلام»[1].

رابعاً - التسليم ببعض الخرافات الواردة في مادة مصادره وترديدها في كتابه، ومنها ما ورد في زلزلة سنة اثنتين وأربعين ومائتين من قوله:

« . . . وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين . ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان، فصاح : يا معاشر الناس، اتقوا الله، الله، الله . . . فصاح أربعين صوتاً، ثم طار، وجاء من الغد ففعل ذلك. وكتب صاحب البريد بذلك، وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه»[2].

(١) المصدر السابق ص ١٦٦ .

(٢) نفسه ص ١٧١ .

القسم الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[1].
الحمد لله، والشكر له، والصلاة والسلام على خير نبي أرسله[2]. هذه فوائد[3] مفصلة سميتها :

«كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»

---

١) هذا السطر مبدل في «أ» بقوله: «وبه الإعانة»، كما أن «وعلى آله وصحبه وسلم»: ساقط من «ج».
٢) «الحمد لله . . . أرسله»: مبدل في «ج» بقوله: «الحمد لله ، قال شيخنا حافظ الدين أبو الفضل عبد الرحمن، بن الشيخ الإمام العلامة كمال الدين أبو بكر السيوطي الشافعي رضي الله عنه . . .».
٣) «فوائد»: ساقطة من «ج».

ما ورد في حقيقتها

أخرج «أبو الشيخ بن حبان» في كتاب العظمة و«ابن أبي الدنيا» في كتاب العقوبات عن «ابن عباس» -رضي الله عنهما- قال: «خلق الله جبلاً يقال له «قاف» محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض. فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل، فحرك العرق الذي يلي[1] تلك القرية فيزلزلها ويحركها. فمن ثم تحرك القرية دون القرية»(1).

وأخرج «الخطيب» و«ابن عساكر» في كتاب الزلازل عن «ابن عباس» قال: «جبل قاف محيط بالدنيا، وقد أنبت الله منه الجبال وشبك[2] بعضها ببعض بعروقه كالشجر في الأوتاد، فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى قاف، فحرك ذلك العرق»(2).

وأخرج «ابن المنذر» في تفسيره، قال: «حدثنا علي بن المبارك، حدثنا زيد، حدثنا ابن ثور عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ (١٢ : الطلاق). قال: بلغني أن عرض كل أرض مسيرة خمس مائة سنة، وأن بين كل أرضين مسيرة خمس مائة سنة، والأرض السابعة فوق الثرى[3]، واسمها تخوم، وأن أرواح الكفار فيها. ولها فيها اليوم حنين[4]، فإذا كان يوم القيامة

١) في «ب»: على.
٢) في «ب»: فشبك.
٣) في «ح»: الثور.
٤) في «ب»: خين.

(١) لا يخرج ذلك عن كونه موروثاً شعبياً سلك طريقه نحو كثير من كتب التراث.
(٢) نفسه.

ألقتهم إلى برهوت واجتمعت أنفس المسلمين[1] بالجابية والثرى[2] فوق الصخرة التي قال الله : «في صخرة»(1)، والصخرة [3] خضراء ململمة، والصخرة على الثور، والثور له قرنان وله ثلاث قوائم، يبتلع ماء الأرض كلها يوم القيامة، والثور على الحوت، وذنب الحوت عند رأسه مستدير تحت الأرض السفلى، وطرفاه منعقدان تحت العرش.

وأخبرت أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ : على م[4] الحوت ؟ قال: على ماء[5] أسود، وما أخذ منه إلا كما أخذ حوت من حيتانكم من نحو هذه البحار.

وحدثت أن إبليس تغلغل إلى الحوت فعظم له نفسه وقال: ليس خلق بأعظم منك غنى ولا أقوى، فوجد الحوت في نفسه[6] فتحرك، فمنه تكون الزلزلة إذا تحرك، فبعث الله حوتاً صغيراً فأسكنه في أذنه، فإذا ذهب يتحرك تحرك الذي في أذنه فسكن »(2).

وقال «الطبراني» في كتاب السنة : «باب ما جاء في تجلي الله للأرض عند الزلازل » : «حدثنا حفص بن عمر الرقي[7]، حدثنا عمرو بن[8] عثمان الكلابي[9]،

١) في «ب»: المؤمنين.
٢) في «ج»: الثرين.
٣) مزيد من «أ».
٤) في أ، ج : «ما»، وفي د: «ماء».
٥) ساقط من «ج».
٦) «وقال: ليس . . . في نفسه»: ساقط من «ج».
٧) «حدثنا. . . الرقي»: ساقط من «ج».
٨) في «ج»: جعفر بن عمر.
٩) في «ب»: الكلاني.

---

(١) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ (١٦: لقمان).

(٢) هذا - أيضاً - من الموروث الشعبي الذي لا يسنده دليل أو برهان، قارن ذلك بما جاء في: ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ١٥ - ١٨.

حدثنا موسى بن أعين[1] عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس قال: «إذا أراد الله أن يخوف عباده أبدى عن بعضه للأرض فعند ذلك تزلزلت[2]، وإذا أراد أن يدمدم[3] على قوم تجلى لها».

وقال «عبد بن حميد» في تفسيره: «حدثنا ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة أن ذا القرنين لما بلغ الجبل الذي يقال له قاف[4] ناداه ملك فقال له ذو القرنين: ما هذا الجبل؟ قال: هذا جبل يقال له قاف، وهو أم الجبال، والجبال كلها من عروقه، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية حرك منه عرقاً».

(وقال الديلمي[1] في مسند الفردوس: حدثنا عبدوس، أخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا القطيعي، حدثنا محمد بن اسحاق البلخي القاضي، حدثنا أبو نعيم عبد الرحمن بن يسر[5] من أهل هراة، حدثنا أبو عبد الله الهروي، حدثنا محمد بن الأزهر الجوزجاني[6]، حدثنا أيوب بن موسى الهروي عن الأوزاعي عن يحيى عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد (الله) أن يخوف خلقه أظهر[7] للأرض منه شيئاً فارتعدت، وإذا أراد أن يهلك خلقه تبدى لها)[8].

وبهذه الآثار عُرِفَ فساد قول الحكماء: إن الزلازل إنما تكون عن كثرة الأبخرة الناشئة عن تأثير الشمس واجتماعها تحت الأرض بحيث لا تقاومها برودة حتى تصير ماء ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها، ويكون وجه الأرض صلباً بحيث لا تنفذ البخارات منها. فإذا صعدت ولم تجد منفذاً اهتزت منها الأرض واضطربت كما يضطرب بدن المحموم، لما يثور في باطنه من بخارات الحرارة. وربما انشق

١) في «ب»: أعمق، وفي «ج»: عس.
٢) بعدها في «ب»: الأرض.
٣) في «ج»: يدمر.
٤) ما بعدها إلى قوله: «قاف»: ـ ساقط من «ب».
٥) في «ب»: بر.
٦) في «ب»: الدرجاني.
٧) من قوله «أظهر» إلى قوله «خلق» ـ ساقط من «ب».
٨) ما بين القوسين ساقط من أ، ج، مثبت من ب، د.

---

(١) هو «ابو منصور، شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي، الهمداني» ت سنة ٥٥٨ هـ.

ظاهر الأرض وتخرج من الشق تلك المواد المحتبسة. ووجه فساده أنه قول لا دليل عليه بل ورد[1] الدليل بخلافه[1].

---

1) في «ب»: وورد.

---

(١) راجع ما مر في مقدمة التحقيق بشأن ذلك.

أول زلزلة وقعت في الدنيا

حكى المفسرون أن «قابيل» لما قتل «هابيل» رجفت الأرض سبعة أيام[1].

(١) قصة قتل «قابيل» لاخيه «هابيل» مذكورة في قوله تعالى من سورة المائدة (٢٧ - ٣١)·
﴿واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني اخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين﴾.

وقد أوجز قول المفسرين فيها «ابن كثير» في تفسيره ج ٢ ص ٤١ - ٤٦، وفي تاريخه (البداية والنهاية) ج ٢ ص ٩٢ - ٩٥ دون تصريح بالزلزلة.

وأما التصريح بها فقد ورد لدى الثعلبي في عرائس المجالس ص ٣٩ منسوباً إلى الاوزاعي على النحو التالي:

«... وروي عن الأوزاعي قال: حدثني المطلب بن عبد الله المخزومي: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما تشرب الماء».

ما ورد في سببها، وأنها تخويف من الله - عز وجل[1] - لعباده عند فعل المنكرات، وأنها من أشرط الساعة

أخرج «أبو الشيخ بن حيان» في تفسيره عن «مجاهد» في قوله تعالى: ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ (٦٥ : الأنعام). قال: الصيحة والحجارة والريح، ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾. قال: الرجفة والخسف، وهما عذاب أهل التكذيب.

وأخرج «ابن أبي الدنيا»(١) و«الحاكم»(٢) - وصححه[2] - عن أنس» قال: دخلت على عائشة، فقال رجل: يا أم المؤمنين: حدثينا عن الزلزلة. فقالت: «إن المرأة إذا خلعت ثيابها في غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله من حجاب، وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها ناراً وشناراً، فإذا[3] استحلوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا المعازف غار الله في سمائه، فقال: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلا هدمها[4] عليهم». قال أنس: «عقوبة لهم؟» قالت: «رحمة وبركة وموعظةً للمؤمنين، ونكالاً وسخطة وعذاباً على الكافرين».

وأخرج «الترمذي» عن «أبي هريرة» قال: قال رسول الله ﷺ إذا أُتخذ الفيء دولاً، والإمامة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتُعُلِّمَ لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافة شره، وظهرت القينات

---

١) «عز وجل» - مزيد من «ج».
٢) ساقط من «أ» و«ج».
٣) في «ب»: «وإذا».
٤) بعدها في «ج»: الله.

---

(١) راجع: ابن أبي الدنيا. كتاب العقوبات ق ١٠٤ ب.
(٢) راجع: الحاكم النيسابوري. المستدرك ج ٤ ص ٥١٦ (كتاب الفتن والملاحم).

والمعازف، وشُرِبَتِ الخمور، ولَعَنَ آخِرُ هذه الأمة أوَّلَهَا، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلةً وخسفاً ومسْخاً وقذْفاً وآياتٍ تَتَابَعُ كنظام لآلىء(*) قُطع سلْكُهُ فتتابع »[1].

وأخرج عن «ابن عباس» ـ رضي الله عنهما[1] ـ قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا فشت في هذه الأمة خمس حلت بها خمس، إذا أكل الربا كانت الزلزلة والخسف».

وأخرج «أبو نعيم» في الحلية[2] عن «عطاء الخراساني»[3] قال: «إذا كان خمس كان خمس: إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة، وإذا جار الحكام[2] قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة لهم».

وأخرج «ابن عدي»، و«الديلمي» في مسند الفردوس عن «ابن عمر» عن رسول الله ﷺ قال: «إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة، وإذا جار الحكام قل المطر، وإذا غدر بأهل الذمة ظهر العدو».

وأخرج «البخاري»[4] عن «أبي هريرة» قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب[3] الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج. وهو القتل».

وأخرج «أحمد» و«الحاكم» في المستدرك[5] عن «عبادة بن الصامت» قال:

---

1) مزيد من «ب».
2) في «ج»: الحاكم.
3) في «ب»: وتقارب.

(*) في الترمذي: «كنظام بالٍ».
(1) راجع: الترمذي. الجامع الصحيح ج ٤ ص ٤٩٥.
(2) راجع: أبا نعيم. حلية الأولياء ج ٥ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.
(3) هو «أبو عثمان، عطاء بن ميسرة» ـ راجع ترجمته في المصدر السابق ج ٥ تر ٣١٧.
(4) البخاري. الجامع الصحيح ج ٩ ص ٧٤ وراجع: صحيح مسلم، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، وباب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن ج ٤ ص ٢٢١٥، ص ٢٠٥٦، وسنن أبي داود: باب ذكر الفتن ودلائلها ج ٥ ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥.
(5) راجع: أحمد بن حنبل. المسند ج ٥ ص ٣٢٥، وهو فيه من طريق «إسماعيل بن عياش»، الحاكم النيسابوري. المستدرك ج ٤ ص ٤١٨ ـ ٤١٩ (كتاب الفتن والملاحم).

«بينا[1] نحن مع رسول الله ﷺ وقوف إذا أقبل رجل، فقال: يا رسول الله، ما مدة رخاء[2] أمتك؟ فسكت عنه حتى سأله ثلاثاً، ثم ولى. فقال رسول الله ﷺ: علي بالرجل. فنودي فأقبل، فقال له: مدة رخاء أمتي مائة سنة. قال: فهل لتلك من أمارة أو آية؟ قال: نعم. القذف والخسف والرجف وإرسال الشياطين الملجمة[3] على الناس».

وأخرج «الحاكم» عن «عبدالله بن حوالة» قال(1): «قال لي رسول الله ﷺ: يا ابن حوالة[4]؛ إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام».

وأخرج «أبو داود» و«الحاكم»(2) - وصححه - عن «أبي موسى» قال: «قال رسول الله ﷺ: «جعل الله عذاب أمتي في الدنيا القتل والزلازل والفتن».

وأخرج «أحمد»(3) و«النسائي»، والدارمي»، و«الحاكم»(4) - وصححه -

---

[1] في «ب»، و«د»: بينما.

[2] في «ج»: رجاء.

[3] في أ، ب، د: «المجلبة»، وفي ج: «المجلية». والتصويب من المصدر.

[4] في «د»: خولة.

---

(1) راجع: الحاكم النيسابوري. المستدرك ج ٤ ص ٤٢٥ (كتاب الفتن والملاحم)، ونص الحديث فيه:

«بعثنا رسول الله - ﷺ - حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجعنا ولم نغنم، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا خطيباً فقال: اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم. ثم قال: لتفتحن الشام وفارس أو الروم وفارس حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا ومن البقر كذا وكذا، حتى يعطى أحدكم مائة دينار فيسخطها، ثم وضع يده على رأسي أو على هامتي فقال: يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام. الساعة - يومئذ - أقرب للناس من يدي هذه من رأسك».

(2) المصدر السابق ج ٤ ص ٤٤٤ (كتاب الفتن والملاحم)، ونص الحديث فيه:

«أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة، جعل الله عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن».

وراجع: سنن أبي داود، الفتن - باب ما يرجى من القتل ج ٢ ص ٤٦٨.

(3) راجع: أحمد بن حنبل. المسند ج ٤ ص ١٠٤.

(4) راجع: الحاكم النيسابوري. المستدرك ج ٤ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ (كتاب الفتن والملاحم)، ابن الأثير الجزري. أسد الغابة ج ٢ ص ٤٣٥.

عن «سلمة بن نفيل السكوني»[1] قال: «قال رسول الله ﷺ: بين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل»[2].

وأخرج «الحاكم»[3] عن «عبد الله بن عمرو»[1] عن النبي ﷺ قال: «لتميلن بكم الأرض ميلة، يهلك منها[2] من هلك، ويبقى من بقي حتى تعتق الرقاب، ثم تهدأ[3] بكم الأرض بعد ذلك حتى يندم المعتقون، ثم تميل بكم ميلة أخرى[4]، يهلك فيها من هلك، ويبقى من بقي، وليبلين أخريات هذه الأمة بالرجف، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإن عادوا أعاد الله عليهم الرجف والقذف والحذف والمسخ والخسف والصواعق».

وقال «ابن أبي الدنيا» في كتاب ذم الملاهي[4]: «حدثنا أبو طالب عبد الجبار[5] بن عاصم، حدثنا المغيرة بن المغيرة، عن عثمان بن عطاء عن أبيه أن النبي ﷺ قال: سيكون في أمتي خسف ورجف وقردة وخنازير».

---

١) في أ، ب: «عمرو»، وفي باقي الأصول: «عمر».
٢) في أ، ج: فيها.
٣) في ج: «تهرأ».
٤) ساقط من «ج».
٥) في «ب»: الحبير

---

(١) هو «سلمة بن نفيل السكوني، ويقال: التراغمي» من اهل حمص، له صحبة، روى عنه «جبير بن نفير» و«ضمرة بن حبيب» و«يحيى بن جابر».
له ترجمة في: البخاري. التاريخ الكبير ج ٤ تر ١٩٩٠ ص ٧٠ - ٧١، ابن أبي حاتم. الجرح والتعديل ج ٤ تر ٧٥٧ ص ١٧٣، ابن حبان. الثقات ج ٣ ص ١٦٧، ابن عبد البر. الاستيعاب ج ٢ تر ١٠٣١ ص ٦٤٢، ابن الأثير الجزري. أسد الغابة ج ٢ تر ٢١٨٨ ص ٤٣٥، الذهبي. تجريد أسماء الصحابة ج ١ تر ٢٤٤٥ ص ٣٣٣، ابن حجر العسقلاني. الإصابة ج ٣ تر ٣٤٠٤ ص ١٥٥.

(٢) نص الحديث كما رواه ابن الاثير عن النسائي:
«كنا جلوساً عند النبي - ﷺ - إذ جاء رجل من الناس، فقال: يا رسول الله، هل أتيت بطعام من السماء؟ قال: أتيت بطعام مسخنة. قال: فهل كان فيها فضل؟ قال: نعم. قال: فما فعل به؟ قال: رفع إلى السماء، وهو يوحي إليَّ أني غير لابث فيكم إلا قليلاً، ولستم لابثين بعدي إلا قليلاً، ثم تاتون أفذاذاً، ونعى بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة موتان شديد، ثم بعده سنوات الزلازل».
وهو مما لم يرد في المطبوعة.

(٣) راجع: الحاكم النيسابوري، المستدرك ج ٤ ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٤) ابن أبي الدنيا. كتاب ذم الملاهي ق ١٣٧ أ.

وقال[1]: «حدثنا عبد الجبار بن عاصم، حدثنا إسماعيل بن عياش[1] عن[2] عقيل بن مدرك عن (ابن)[3] أبي الزاهرية، عن جبير بن نفيل قال: قال رسول الله ﷺ لتستصعبن[4] الأرض بأهلها حتى لا يكون على ظهرها أهل مدر ولا وبر، وليبتلين آخر هذه الأمة بالرجف، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإن عادوا عاد الله عليهم بالرجف، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإن عادوا عاد الله عليهم بالرجف والقذف والمسخ والصواعق».

وقال «ابن السكن»[2] في معرفة الصحابة: حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن كلاب[5] الدمشقي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد ربه بن صالح الأشعري عن عروة بن رويم أنه سمعه يحدث عن الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: «تكون في أمتي رجفة، يهلك فيها عشرة آلاف أو أكثر من ذلك، يجعلها الله موعظة للمتقين، ورحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين».

وأخرج «ابن عساكر» من طريق «عبد ربه بن صالح» عن «عروة بن رويم» عن «الأنصاري» عن النبي ﷺ أنه قال: «تكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف، عشرون ألفاً، ثلاثون ألفاً.. يجعلها الله موعظة للمتقين ورحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين».

وأخرج من طريق «عبد ربه» عن «عروة بن رويم» عن[6] «الأنصاري» قال: «قال الله تعالى: لأرجفن بعبادي في خير ليال، فمن قبضته فيها كافراً[7] كانت[8] منيته التي قُدرت عليه، ومن قبضته فيها مؤمناً كانت له شهادة».

---

1) في «ج»: عباس.
2) في «ج»: من.
3) مزيد من «ج»، ساقط من باقي النسخ.
4) في «ب» و«د»: لتستصفين، وفي «ج»: لتستعصين.
5) في «أ» و«د»: طلاب.
6) ساقط من «ج».
7) نفسه.
8) في «أ»: كان.

---

(1) المصدر السابق ق ١٣٧.
(2) هو «أبو علي، سعيد بن عثمان بن سعيد» ت سنة ٣٥٣ هـ.

وأخرج «البخاري» عن «ابن عمر» قال: «ذُكِرَ نجد، فقال رسول الله ﷺ هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»[(١)].

وأخرج «الديلمي» في مسند الفردوس عن «حذيفة» ـ مرفوعاً، «خراب مصر من جفاف النيل، وخراب الحبشة من الرجفة».

وأخرج عن «كعب» قال: «إنما تزلزل الأرض إذا عُمِلَ فيها المعاصي فترعد[1] فرقاً من الرب ـ جل جلاله ـ أن يطلع عليها»[(٢)].

وقال «ابن أبي حاتم» في تفسيره: «حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: عذاب أهل الإقرار[2] بالسيف، وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة. أخرجه ابن جرير»[(٣)].

وقال «ابن جرير» في تفسيره: «حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير[3]، قال: زلزلت الأرض على عهد عبد الله فقال لها عبد الله: ما لك؟ أما إنها لو تكلمت قامت الساعة».

وقال «ابن أبي شيبة» في المصنف: «حدثنا وكيع عن سوار بن ميمون قال: حدثنا[4] شيخ لنا من عبد القيس يقال له بشير بن غوث[5]، قال: سمعت علياً يقول: إذا كانت سنة خمس[6] وأربعين ومائة منع البحر جانبه، وإذا كانت سنة خمسين ومائة منع البر[7] جانبه، وإذا كانت سنة ستين ومائة ظهر الخسف والمسخ والرجف».

---

١) في «ج»: وترعد.
٢) في «ب»: الأقدار، وفي «ج»: النار الاقرار.
٣) في «أ»: جريرْ.
٤) في أ، ب: «حدثني».
٥) في «ب»: «عوف»، وفي «د»: «عون».
٦) في «ج»: «خمسة».
٧) في «ج»: «البحر».

---

(١) البخاري. الجامع الصحيح ج ٩ ص ٦٧ ـ ٦٨ (كتاب الفتن).
(٢) وراجع: ابن أبي الدنيا. كتاب العقوبات ق ١٠٤ ب.
(٣) الطبري. التفسير ج ٧ ص ١٤٣ (ط. بولاق).

ذكر أثر عن ابن مسعود ظاهره[1] المنافاة لما تقدم

أخرج «الدارمي» في مسنده[1] و«أبو محمد بن صاعد»في مسند ابن مسعود و«ابن مردويه» في تفسيره عن «علقمة» قال: زلزلت[2] الأرض، ولفظ «ابن مردويه» زلزلت فسا[1] على عهد «عبد الله»، فاخبر بذلك، فقال: إنا كنا أصحاب «محمد» نرى الآيات بركات، وأنتم ترونها تخويفاً، بينا[3] نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ حضرت الصلاة وليس معنا ماء إلا يسير، فدعا رسول الله ﷺ بماء في صحفة[4] ووضع كفه فيه فجعل الماء ينبجس من بين أصابعه، ثم نادى : حي لأهل الوضوء والبركة من الله، فأقبل الناس فتوضؤوا، وجعلت لا هم لي إلا ما أدخله بطني لقوله: «والبركة من الله».

وأخرج[3] من وجه آخر عن «علقمة» قال: سمع عبد الله بخسف، فذكر نحوه، وزاد في آخره[5]: وكنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

سألني بعض فضلاء أصحابي بما معناه. أن هذا مخالف للأحاديث والآثار السابقة والآتية، فإنها دالة على أن الزلزلة آية[6]، يخوف الله بها عباده،وظاهر كلام

---

١) في ب: «ظاهر».
٢) في ج: «زلزلت».
٣) في ب: «بينا»، وفي باقي الأصول بيما.
٤) في ح: «صحيفة».
٥) في ج: «وذكر في. . .».
٦) ساقط من «ج».

---

(١) راجع الدارمي. السنن ـ ج ١ ص ١٢٥ ـ باب ما اكرم الله به النبي ـﷺ ـ من تفجر الماء من بين أصابعه.
(٢) فسا: بالفتح والقصر، مدينة بفارس، بينها وبين شيراز أربع مراحل ـ ياقوت، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٣) الدارمي. السنن، ج ١ ص ١٢٥.

«ابن مسعود» أنه يعتقد أنها بركة، وينكر على من يعتقد أنها تخويف. وقد تأملت لما ورد[1] السؤال وجه الجمع، ثم راجعت نسخة معتمدة من الدارمي فرأيت على النون من قوله «نرى» ضمة، فانحل الإشكال.

وذلك أن[2] الإشكال إنما جاء من ظن أن الكلمة «نرى» بفتح النون مبنياً للفاعل، بمعنى نعتقد، من رأى الإعتقادية المتعدية إلى مفعولين بنفسها، وإلى ثلاثة بالهمزة، وأن بركات مفعول ثانٍ، وليس كذلك، بل هي «نُرى» بالضم مبنياً للمفعول من أرى[3] البصرية المتعدية قبل دخول الهمزة إلى واحد وبعد دخولها إلى اثنين، تقول: رأي زيد آية. أي أبصر وأراه الله آية، أي بصره إياها، ومنه قوله تعالى: ﴿يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ (١٢: الرعد، ٢٤: الروم)، فالضمير والبرق مفعولان، وخوفاً وطمعاً[4] نصباً[5] على الحال، وكذلك في هذا الأثر، الضمير الذي ناب مناب الفاعل مفعول أول والآيات[6] (مفعول ثان)، وبركات وتخويفاً حالان، وليس مراد «ابن مسعود» أن الزلزلة بركة، وإنما مراده أن يبين للناس عظم مقدار الصحابة، وأنهم كانوا إذا أراهم الله آية أراهم آيات البركة من نبع الماء وتسبيح الطعام لصلاحهم. وأن الذين بعدهم لفساد زمانهم إنما يُريهم الله من الايات ما كان عذاباً وغضباً[7] كالزلزلة والخسف. هذا معناه فتأمل.

---

١) المثبت من أ، ج، وفي باقي النسخ: «أورد».
٢) «أن» ـ ساقط من ب.
٣) في ب: «رأى».
٤) قوله: «فالضمير... وطمعاً»: ساقط من أ.
٥) في أ، ج: نصب، وفي ب: نصبت.
٦) في ب: «الاية».
٧) قوله: «إنما يريهم... وغضباً»: ساقط من «ب».

ما يستحب عند الزلزلة من الوعظ والصلاة والتقرب بوجوه البر

قال «ابن أبي شيبة» في المصنف (١): حدثنا حفص عن ليث عن شهر قال: زلزلت[١] المدينة في عهد النبي ﷺ فقال: «إن ربكم يستعتبكم[٢] فاعتبوه».

قوله: يستعتبكم أي يطلب منكم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضيه. كقوله في الحديث الآخر:

«إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، ولكنهما آيتان من آيات الله، يستعتب[٣] بهما عباده، لينظر من يخافه ومن يذكره». رواه البزار(٢).

وأخرج «ابن أبي الدنيا» من طريق مرسل(٣): إن الأرض زلزلت[٤] على عهد رسول الله ﷺ فوضع يده عليها، ثم قال: «اسكني فإنه لم يأن[٥] لك بعد»، ثم التفت إلى الصحابة فقال: «إن ربكم يستعتبكم فاعتبوه».

ثم تزلزلت على عهد عمر[٦] بن الخطاب فقال: «أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده إن عادت لا أساكنكم فيها

١) في «ج»: تزلزلت.

٢) في «ب»: الأرض.

٣) في «ب»: يتعتبكم، وفي «ج»: ليستعتبكم.

٤) في «ب» و«د»: تزلزلت.

٥) في «ب» و«ج»: يأت.

٦) في «ج»: عمرو.

(١) ابن أبي شيبة. المصنف ج ٢ ص ٤٧٢ - ٤٧٣.

(٢) راجع: الهيثمي. كشف الأستار ج ١ ص ٣٢٣، ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٠٨.

(٣) اتفق على أن المرسل هو حديث التابعي الكبير الذي قد أدرك جماعة من الصحابة وجالسهم عن الرسول ﷺ دون تصريح باسم الصحابي المروى عنه الحديث. واختلف في غيره.
راجع: الحاكم النيسابوري. معرفة علوم الحديث ص ٢٥ - ٢٧، الطيبي الخلاصة في أصول الحديث ص ٦٥ وما بعدها، ابن كثير. الباعث الحثيث ص ٢٥ - ٢٨.

ابداً»[1].

وأخرج «ابن أبي شيبة» في المصنف[2] و«البيهقي»[3] في سننه عن «صفية بنت أبي عبيد قالت: «زلزلت[1] الأرض على عهد عمر حتى اصطفقت السرر[2]»، فخطب عمر[3] الناس، فقال: «أحدثتم[4]، لقد عجلتم. لئن عادت لأخرجن من بين ظهرانيكم».

وأخرج «ابن أبي الدنيا»[4] في مناقب عمر[5] أن الأرض زلزلت[6] على عهد عمر[7]، فضرب بيده عليها، وقال: «ما لك! ما لك! أما إنها لو كانت القيامة، حدثت أخبارها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبر إلا وهو ينطق[8]».

وقال «ابن جرير» في تفسيره: «حدثنا بشير، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ (٥٩ : الإسراء)، قال: إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يعتبون أو يذكرون أو يرجعون. ذُكِرَ لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فاعتبوه»[5].

---

١) في «ج»: تزلزلت.
٢) في «ب»: السور، وفي «ج»: السرور.
٣) في «ج»: عمرو.
٤) في «ب»: أحدثكم.
٥) في «ج»: عمرو.
٦) في «ب»: تزلزلت.
٧) في «ج»: عمرو.
٨) في «ج» ينطلق.

---

(١) ابن أبي الدنيا. كتاب العقوبات ق ١٠٤ ب.
(٢) ابن أبي شيبة. المصنف ج ٢ ص ٤٧٣.
(٣) راجع: البيهقي. السنن الكبرى ج ٣ ص ٣٤٢ (باب ـ لا يُصلى جماعة عند شيء من الايات غير الشمس والقمر).
(٤) وراجع: كتاب العقوبات له ق ١٠٤ ب.
(٥) الطبري التفسير ج ١٥ ص ٧٥.

وقال «ابن أبي حاتم»: حدثنا علي بن الحسين الهرثمي[1] سمعت مقاتل بن محمد النصر أبادي يقول: كانت زلزلة بالري(1) فبكى[2] أبو عمران الصوفي وأنا على السطح، فرآني، فتلى هذه الآية: ﴿ ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً ﴾ (٦٠: الاسراء).

وأخرج «الرافعي» في تاريخ قزوين بسنده عن «علي بن الحسين» قال: «والله، ما يرهب للآيتين ولا يفزع منهما - يعني[3] الزلزلة والكسوف - إلا من كان منا[4] ومن شيعتنا أهل البيت. فإذا رأيتم كسوفاً أو زلزلة فافزعوا إلى الله، وارجعوا، وصلوا لها صلاة الكسوف، وإذا كانت زلزلة فقولوا على إثر صلاة الكسوف: ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (٤١: فاطر)، يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أمسك عنا السوء. وإذا كثرت الزلازل فصوموا كل يوم اثنين وخميس، حتى تسكن، وتوبوا إلى ربكم مما جنت أيديكم، وأمروا إخوانكم بذلك، فإنها تسكن إن شاء الله تعالى».

وأخرج «الشافعي» في الأم و«البيهقي[5]» في سننه(2) عن «علي بن أبي طالب» أنه صلى في زلزلة ست ركعات في أربع سجدات. خمس ركعات وسجدتين في ركعة، وركعة وسجدتين في ركعة.

قال «الشافعي»: «ولو ثبت هذا الحديث عندنا عن علي - رضي الله عنه - لقلنا به.

---

١) في «ب»: المهديمي.
٢) في «أ» و«د»: فبكر.
٣) ساقط من «أ».
٤) في «ب»: مؤمناً.
٥) في «ج»: البهيقي.

---

(١) الري: كانت مدينة كبيرة، مقدارها فرسخ ونصف في مثله، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً - راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٣ ص ١١٦ - ١٢٢.
(٢) راجع: البيهقي. السنن الكبرى ج ٣ ص ٣٤٣ (باب من صلى في الزلزلة بزيادة عدد الركوع والقيام قياساً على صلاة الخسوف).

قال «البيهقي[١]» : هو ثابت عن[٢] ابن عباس [رضي الله عنهما].

وأخرج «ابن أبي شيبة(١)» عن «عبد الله بن الحارث» أن «ابن عباس» صلى بهم في زلزلة كانت أربع سجدات . ركع فيها ستاً(٢).

وأخرج «سعيد بن منصور» في سننه عن «عبد الله بن الحارث» قال : «زلزلت الأرض ليلاً ، فقال ابن عباس : لا أدري هل وجدتم ما وجدت[٣]؟ قالوا : نعم ، قد وجدنا . فانطلق من الغد فصلى[٤] بهم ، فكبر وقرأ وركع[٥] ، ثم رفع رأسه فقرأ ، ثم ركع ، ثم رفع رأسه فقرأ ثم ركع فسجد . فكانت صلاته ست ركعات في أربع سجدات» .

وأخرج «البيهقي[٦]» في سننه من وجه آخر عن «عبد الله بن الحارث» عن «ابن عباس» [- رضي الله عنهما -] أنه صلى في زلزلة بالبصرة فأطال القنوت[٧]، ثم ركع وسجد، ثم قام في الثانية ففعل مثل ذلك، فصارت صلاته ست ركعات[٨] وأربع سجدات. فقال[٩] ابن عباس: «هكذا صلاة الآيات»(٣).

وأخرج «ابن أبي شيبة[١٠]» بسند صحيح عن «عائشة» قالت : « صلاة

---

١) نفسه.
٢) ساقط من «ج».
٣) في «أ»: وجدتم.
٤) في «ج»: وصلى.
٥) في «ب»: فركع.
٦) في «ج»: البهيقي.
٧) بعدها في «ج»: «ثم ركع ثم رفع رأسه فأطال القنوت».
٨) «وأخرج البيهقي . . . ركعات»: ساقط من «أ».
٩) في «ج»: ثم قال.
١٠) «أربع سجدات . . شيبة»: ساقط من «أ».

---

(١) ابن أبي شيبة . المصنف ج ٢ ص ٤٧٢ .
(٢) راجع : البيهقي . السنن الكبرى ج ٣ ص ٣٤٣ (باب من صلى في الزلزلة بزيادة عدد الركوع والقيام قياساً على صلاة الخسوف) .
(٣) نفسه .

الآيات ست ركعات في أربع سجدات[١]»[١].

وأخرج « البيهقي[٢] » عن « ابن مسعود » قال : « إذا سمعتم هاداً[٣] من السماء فافزعوا إلى الصلاة »[٢].

وأخرج «ابن أبي شيبة » و«سعيد بن منصور » عن «علقمة » قال : « إذا فزعتم من أفق من آفاق السماء فافزعوا إلى الصلاة » .

وأخرج «ابن أبي شيبة » عن « عيسى بن أبي عزة[٤] » قال : « فزع الناس في[٥] انكساف شمس أو قمر أو شيء فقال الشعبي : عليكم بالمسجد، فإنه من السنة » .

وأخرج «أبو داود» و «البيهقي[٦]» عن «ابن عباس» [ـ رضي الله عنهما ـ] : قال: قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم آية فاسجدوا»[٤].

---

١) «بسند . . . سجدات»: ساقط من «أ».
٢) في «ج»: البهيقي.
٣) في «ب»، و«د»: هدا، وفي باقي الأصول: هادا.
٤) في «ب»: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه.
٥) في «ب»: إلى.
٦) في «ج»: البهيقي.

---

(١) ابن أبي شيبة. المصنف ج ٢ ص ٤٧٠.
(٢) راجع : البيهقي. السنن الكبرى ج ٣، (باب من استحب الفزع إلى الصلاة فرادى عند الظلمة والزلزلة وغيرها من الآيات).
(٣) ابن أبي شيبة . المصنف ج ٢ ص ٤٧٠.
(٤) أبو داود: الصلاة، باب السجود عند الايات ج ١ ص ٧٠٦، البيهقي . السنن الكبرى ج ٣، (باب من استحب الفزع إلى الصلاة فرادى عند الظلمة والزلزلة وغيرها من الايات)، ونص الحديث فيه: « . . . قيل لابن عباس: ماتت فلانة ـ بعض أزواج النبي ﷺ ـ فخر ساجداً. فقيل له: تسجد هذه الساعة!! فقال: قال رسول الله ﷺ ـ إذا رأيتم آية فاسجدوا، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ـ ﷺ ».

وفي رواية: « . . . قال: سمعنا صوتاً بالمدينة، فقال لي ابن عباس: يا عكرمة، انظر ما هذا الصوت. قال: فذهبت فوجدت صفية بنت حيي ـ امرأة النبي ﷺ ـ قد توفيت. قال: فجئت إلى ابن عباس فوجدته ساجداً ولما تطلع الشمس، فقلت له: سبحان الله، تسجد ولم تطلع الشمس بعد!! فقال: يا لا أم لك، أليس قال رسول الله ـ ﷺ ـ إذا رأيتم آية فاسجدوا، فأي آية أعظم من أن يخرجن أمهات المؤمنين من بين أظهرنا ونحن أحياء».

وأخرج «الطبراني»(1) عن «سمرة بن جندب» مرفوعاً: «إذا رأيتم بعض آيات الله فافزعوا إلى ذكر الله ، فاذكروه واخشوه».

وقال «ابن أبي شيبة» في المصنف(2): «حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز في زلزلة كانت بالشام: أن اخرجوا يوم الاثنين من شهر كذا وكذا ،ومن استطاع منكم أن يخرج صدقة فليفعل، فإن الله (تعالى) قال[1] : ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (١٤ ـ ١٥ : الأعلى) » .

وأخرج «أبو نعيم » في الحلية(1) من وجه آخر عن « جعفر بن برقان » قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : إن هذا الرجف شيء يعاقب الله به العباد ، وقد كتبت إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا (في شهر كذا وكذا) في ساعة كذا وكذا ، فاخرجوا ، ومن أراد (منكم) أن يتصدق فليفعل ،فإن الله (ـ تعالى ـ) قال : ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (١٤ ـ ١٥ : الأعلى) ، وقولوا كما قال أبوكم[2] (ـ عليه السلام ـ) : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (٢٣ : الأعراف) ، [وقولوا كما قال نوح : ﴿ وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ (٤٧ : هود)] ، وقولوا كما قال موسى : ﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾ (١٦ : القصص) ، وقولوا كما قال ذو النون : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ (٨٧ : الأنبياء) .

---

١) في «ب»: فإن الله ـ تعالى ـ يقول . . .
٢) في «أ»: أبويكم .

---

(١) الطبراني . المعجم الكبير ج ٧ ص ٣١٥ .
(٢) ابن أبي شيبة . المصنف ج ٢ ص ٤٧٢ .
(٣) راجع : أبا نعيم . حلية الأولياء ج ٥ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(فوائد مجموعة)

فائدة :

قال «النووي » في شرح المهذب : قال « الشافعي» والأصحاب : ما سوى الكسوفين من الآيات كالزلازل والصواعق والظلمة والرياح الشديدة ونحوها لا يُصلى لها جماعة . قال «الشافعي»في الأم والمختصر[1] : ولا آمر بصلاة جماعة في زلزلة ولا ظلمة ولا لصواعق ولا ريح ولا غير ذلك من الآيات، وآمر بالصلاة منفردين. هذا نصه.

واتفق الأصحاب على أنه يستحب أن يصلي منفرداً، ويدعو و[1] يتضرع لئلا يكون غافلاً.

وروى الشافعي أن علياً صلى في زلزلة جماعة . قال الشافعي : إن صح هذا الحديث قلت به . فمن الأصحاب من قال : هذا قول آخر له[2] في الزلزلة وحدها، ومنهم من عممه[3] في جميع الآيات .

قال «النووي» : وهذا الأثر عن علي ليس بثابت ، ولو ثبت قال الأصحاب[4] هو محمول على الصلاة منفرداً ، وكذا ما جاء عن غير علي من نحو هذا .

انتهى كلام شرح المهذب في باب الكسوف.

---

١) في أ: «أو».
٢) في ب: «هذا قول له آخر».
٣) في ب: «ومنهم من عمه».
٤) «قال الأصحاب»: مثبت من ج، وفي باقي النسخ: «قال أصحابنا».

---

(١) راجع: مختصر المزني على هامش الأم ج ١ ص ١٦١ .

فائدة :

في شرح المنهاج «للأسنوي» في الصلاة في الأوقات المكروهة: إن الزلازل كالاستسقاء من ذوات السبب المقارن، فيجوز في أوقات الكراهية الصلاة لها.

فائدة :

الجاري على قواعد مذهبنا(١) فواتها بسكون الزلزلة كفوات صلاة الكسوف بالانجلاء. لكن تقدم عن «ابن عباس» [ـ رضي الله عنهما ـ] خلافه، وأنه(١) صلاها من الغد بعدما زلزلت ليلاً، فلعل(٢) قاعدته أن ذوات السبب تقضي كما هو مذهب جمع العلماء، ومقتضى(٣) فعله ـ أيضاً ـ أنه تطول القراءة فيها كصلاة الكسوف، وليس في(٤) مذهبنا ما ينفيه، والجاري على القواعد ـ أيضاً ـ أنه يُسِرُّ فيها نهاراً ويجهر ليلاً.

فائدة :

لم يصرح أصحابنا بالخطبة لها، بل نفيهم(٥) الجماعة فيها يشعر بعدم استحباب الخطبة أيضاً. وقد تقدم عن عمر أنه خطب لها، وعن النبي ﷺ أنه وعظ بقوله: « إن ربكم يستعتبكم فاعتبوه ». ولو قيل باستحبابها للإمام الأعظم خاصة، لم يبعد، ويحمل عليه الحديث والأثر.

فائدة :

مما يستحب عند الزلزلة العتق كما تقدم التصريح به في حديث الحاكم، والتصدق قياساً على الأمر به في الكسوف، وتقدم التصريح به عن « عمر بن

---

١) في أ: «وأن».
٢) في ب: «فعلى».
٣) في ج: «وتقتصي».
٤) في ب: «من».
٥) في ب: «يفهم».

---

(١) المقصود بذلك «المذهب الشافعي».

عبد العزيز » ، والدعاء والتضرع كما نص عليه في شرح المهذب، وتقدم عن عمر بن عبد العزيز[1] أيضاً.

ومما يتأكد من الأذكار[2]: التسبيح، فإنه يدفع العذاب كما أشرنا إليه في كتاب الطاعون(1)، والتكبير[3] قياساً على استحبابه عند رؤية الحريق ، وقد ورد به[4] الأمر هناك، وورد به الأمر - أيضاً - في الكسوف ، والصلاة على النبي ﷺ[5] فإنها تدفع كل بلية، وتزيل كل شر[6]، ولها مدخل في جميع الأهوال الدنيوية والأخروية.

فائدة :

هل تكون الزلزلة عذراً في ترك الجماعة والجمعة قياساً على الظلمة والريح العاصف بالليل أو لا كالكسوف ؟

لم أر في كلام أحد التعرض لذلك، وفيه للبحث مجال .

فائدة :

رأيت في فتاوى « قاضي خان »(2) من الحنفية ما نصه :

« الرجل إذا كان في بيت[7] فأخذته الزلزلة، لا يكره[8] له أن ينتقل إلى الفضاء

---

١) «والدعاء والتضرع. . . عبد العزيز»: ساقط من ب.
٢) مثبت من أ، ب، وفي وعيرهما: «الأذكار والتسبيح».
٣) ساقط من «ج».
٤) نفسه.
٥) «ﷺ»: ساقط من ج.
٦) في ب، د: سوء.
٧) في ب: «مبيت».
٨) في ج: «يكون».

---

(١) المقصود بذلك كتابه: «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون».
(٢) هو «فخر الدين، الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي، الفرغاني» (ت ٥٩٢ هـ/ ١١٩٦ م) له ترجمة في القرشي. الجواهر المضية ج ٢ تر ٤٨٥ ص ٩٣ - ٩٤، ابن قطلوبغا. تاج التراجم ص ٢٢، وكتاب الفتاوي مطبوع في ثلاثة أجزاء.

ويفر ، خلافاً لما قاله بعض الناس ، ويستحب الفرار لما رُوِيَ أن الرسول ﷺ مر على هدف مائل ، فأسرع المشي . (فـ) قيل له : أتفر من قضاء الله ؟! فقال : فراري من قضاء الله (قضاء لله) أيضاً[1] » . هذا لفظه.

وذكر في جامع الفتاوى مثله ، وزاد :

« وقد وقعت الزلزلة في زمن خلف بن أيوب ، فأمر أصحابه بالدعاء » .

قلت : الحديث الذي احتجا به لم يـرو هكذا ، وإنما أخرجه ابن عدي في الكامل[2] والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة[3] قال : « مـر رسـول الله ﷺ بحائط مائل فأسرع المشي[4] ، فقال (له[5]) بعض القوم : يا رسول الله ، كأنك خفت هذا[6] الحائط؟! فقال : إني أكره موت الفوات »[(1)] .

قال « البيهقي » : « تفرد به إبراهيم بن الفضل . وهو ضعيف »[(2)] .

وأخرج «البيهقي» في الشعب[(3)] ـ أيضاً ـ بسند ضعيف[7] عن « عبد الله بن

---

١) «فراري . . . أيضاً» : ساقط من ج .
٢) «أتفر . . . الكامل» : ساقط من ب .
٣) «عن أبي هريرة» : ساقط من ج .
٤) «والبيهقي . . . المشي» : ساقط من ب .
٥) ما بين القوسين مضاف من ب .
٦) في «ب» : «من هذا» .
٧) في «ج» : «في شعب الايمان بسند ضعيف» .

---

(١) راجع : أحمد بن حنبل . المسند ج ٢ ص ٣٥٦ ، وهو مروي فيه عن عبد الله عن أبيه عن أسود بن عامر عن إسرائيل عن إبراهيم بن إسحاق عن سعيد عن أبي هريرة .

(٢) تعصب «السيوطي» لموضوعه اقتضاه تصيد كل شاردة وواردة لبناء مادة كتابه ، قوي سندها أو ضعف ، كما يتضح من الاعتماد على هذا الحديث ، رغم تضعيف مصدره له . وتلك ظاهرة تتردد في الكثير من مؤلفاته ، وكانت سبباً في تأليب علماء عصره عليه .

(٣) «شعب الإيمان للبيهقي» لم يطبع ، كما لم يرد الحديث في مختصر الهيثمي منه .

عمرو بن العاص » قال : «مر رسول الله ﷺ بحائط قد أودى ، فأسرع ، فقلت : يا رسول الله ، قد أسرعت ! فقال : إني أخاف موت[1] الفوات .

وأخرج - أيضاً - عن « يحيي بن أبي كثير » قال : بلغني عن النبي ﷺ أنه كان إذا مر بهدف مائل أو صدف مائل أسرع المشي .

قال «أبو عبيد»[(1)]: الصدف نحو من الهدف ، والهدف[2] كل مرتفع مائل .

---

1) في «أ»: «صوت».
2) «والهدف»: ساقط من «ج».

---

(1) أبو عبيد الهروي. عريب الحديث (ط . الهند) ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

ذكر زلزلتها يوم أراد إبراهيم أن يذبح ولــده عليهما السلام

قال «الزبير بن بكار» في الموفقيات[١] : حدثنـي « علي بـن صالـح » عن «عامر بن صالح[٢] بن عبد الله بن عروة[٣] بن الزبير » عن «الحسن بن أبي الحسن البصري » عن « أبي أمامة الباهلي » عن «كعب الأحبار» قال : لما أوثق[٤] إبراهيم خليل الله إسحاق(١) ابنه ـ عليه السلام ـ وألقـاه علـى الصخـرة ليذبحـه تغير لون السماء وتصدعت الأرض[٥] وتزلزلت الجبال . فلما أخذ الشفرة ووضعها على حلقه اهتز عرش الرحمن ـ فيما بلغنا[٦] ـ واهتز الكرسـي واشتـكت السمـاوات والأرض والجبال والبحار إلى ربها ، ووقعت الشـمس من مكانهـا، وقالـت المـلائـكة عجباً! مما رأوا : لو كان ينبغي لله أن يتخذ خليلاً ، كان ينبغي له أن يتخذ هذا العبد خليلاً؛ فيومئذ اتخذ الله إبراهيم خليلاً[٧] ونودي في السماء :﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ (١٠٤ ـ ١٠٥ : الصافات) ، وفدى إسحاق بذبح عظيم(٢) .

---

١) في «ب»: الموفقات.
٢) عن عامر بن صالح ـ ساقط من «ج».
٣) في «ب»: مرة.
٤) في «ج»: أوتي.
٥) في «ج»: «تغير لونه وتصعدت الأرض».
٦) «فيما بلغنا»: ساقط من «ج».
٧) «فيومئذ اتخذ الله ابراهيم خليلاً»: ساقط من «ب».

---

(١) راجع تحقيق «ابن كثير» ـ البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ ـ ١٦٢ ـ فيما تعلق بأن الذبيح «إسماعيل»، وليس «إسحاق» كما ورد في المتن.
(٢) لم يرد هذا النص في مطبوعة «الأخبار الموفقيات».

ذكر هلاك قوم شعيب - عليه السلام - بها

قال تعالى : ﴿ فأخذتهم الرجفة[1] فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (٩١ : الأعراف).

أخرج «إسحاق بن بشر»[1] في كتاب المبتدأ ، و«ابن عساكر» في تاريخ دمشق من طريق «جويبر» عن «الضحاك» عن «ابن عباس» [- رضي الله عنهما -] في قوله تعالى[2]: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ قال: أن جبريل عليه السلام نزل فوقف عليهم فصاح صيحة رجفت منها الأرض والجبال فخرجت أرواحهم من أبدانهم، فذلك قوله (تعالى): ﴿فأخذتهم الرجفة﴾، وذلك أنهم[3] حين سمعوا الصيحة قاموا قياماً وفزعوا لها، فرجفت بهم الأرض فرمتهم ميتين.

---

١) في أ: «بشير».
٢) «تعالى»: ساقط من «ج».
٣) في «ب»: أنه.

---

(١) فسر «الطبري» - التفسير ج ١٢ ص ٥٦٦ - الرجفة في هذا الموضع بالزلزلة المحركة لعذاب الله. وانظر: محمد رشيد رضا. تفسير المنار ج ٩ ص ١١.

ذكر زلزلتها بالسبعين[1] الذين اختارهم موسى عليه السلام

قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة . . . ﴾ الآية (١٥٥ : الأعراف).

أخرج «ابن أبي حاتم» عن «ابن عباس» [ـ رضي الله عنهما ـ] في قصة المقتول[1] قال[2]: لما عبد بنو إسرائيل العجل واستيقنوا[3] بالفتنة سألوا باب التوبة، فاختار «موسى» من قومه[4] سبعين رجلاً لذلك، فانطلق يسأل ربه لقومه التوبة، فرجفت بهم الأرض ـ وكان فيهم من قد اطلع الله منه على ما أشرب قلبه من حب العجل والإيمان به ـ فلذلك رجفت بهم الأرض.

وأخرج « ابن أبي حاتم » عن «سعيد بن حيان[5] » قال : إن السبعين إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل .

وأخرج «أبو الشيخ بن حيان[6]» من طريق « قتادة » قال : ذكر لنا أن «ابن عباس» [ـ رضي الله عنهما ـ] قال: إنما تناولت الرجفة السبعين لأنهم لم يزايلوا قومهم حين[7] نصبوا العجل، وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه.

وأخرج «ابن أبي حاتم» عن «نوف البكالي» قال: قالوا ﴿أرنا الله جهرة

---

١) في «ج»: في قصة الموت.
٢) «قال»: ساقط من «ب».
٣) في «ب»: واستفتوا.
٤) في «ب» فاختار موسى قومه.
٥) في «أ»: حيان.
٦) نفسه.
٧) في «ب»: حتى.

فأخذتهم الصاعقة[1] ﴾ فضعفوا (١٥٣ : النساء)

وأخرج من طريق «علي بن أبي طلحة» عن «ابن عباس» [- رضي الله عنهما -] قال: كان فيما دعوا الله أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا ولا تعطه أحداً بعدنا. فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة.

وأخرج عن «علي بن أبي طالب» - رضي الله عنه[2] - إن «هارون» لما مات قال[3] بنو اسرائيل لموسى: أنت قتلته حسداً. قال: اختاروا من شئتم. فاختاروا سبعين رجلاً. فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون، من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد، ولكن توفاني الله. فأخذتهم الرجفة[1].

---

١) في «ب»: الصاعقة، وفي باقي الأصول: الرجفة.

٢) بعدها في «ب»: وكرم وجهه.

٣) في «ج»: قالوا.

---

(١) راجع تفسير الايات في تفسير الطبري ج ٩ ص ٣٥٦ وما بعدها، وج ١٣ ص ١٤٠ - ١٤٨، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ٦ ص ١٢، وفيهما أن الرجفة لا تعني - في هذا الموضع - الزلزلة، ولكنها الصاعقة (أو النار الحوية).

ذكر الزلازل التي وقعت بالشام
بعد عيسى بن مريم عليه السلام

أخرج «البيهقي» في دلائل النبوة(١) من طريق «مروان بن الحكم»، عن «معاوية بن أبي سفيان»، قال: حدثني «أبو سفيان بن حرب»، قال: خرجت أنا و«أمية بن أبي الصلت (الثقفي)» إلى الشام فلقينا راهباً، فأخبرنا أن نبياً مبعوث[1]، وقال: آية ذلك أن الشام قد رجفت بعد عيسى بن مريم (عليه السلام) ثمانين[2] رجفة، وبقيت رجفة، يدخل على الشام منها شر ومصيبة[3]. فلما صرنا قريباً من ثنية إذا راكب[4] قلنا: من أين؟ قال: من الشام، قلنا: هل كان من حدث؟ قال: نعم، رجفت الشام رجفة، دخل على (أهل) الشام منها شر ومصيبة.

---

١) في «ب: مبعوثاً.
٢) في «د»: بمائتين.
٣) من قوله «ثمانين» إلى قوله «مصيبة»: ساقط من «ج».
٤) في «أ»، «ج»: إذ ركب.

---

(١) البيهقي. دلائل النبوة ج ٣ ص ١١٦ - ١١٧، وراجع: الكلاعي. الاكتفاء ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٧، ابن الجوزي. الوفا بأحوال المصطفى ج ١ ص ٥١ - ٥٤، الشامي. سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦.

ذكر زلزلة الأرض لما قدم أصحاب الفيل مكة

أخرج « ابن المنذر» في تفسيره من طريق « طلحة بن كريز » عن مولى لهذيل[1] قال : خرجت[2] وأنا أقود مولاي[3] وقد ذهب بصره ، فمررت « بعثمان بن عفان » وهو جالس في الصحابة . فقالوا[4] : يا أمير المؤمنين ، هذا أكبر العرب . فدعا به . فجئت به[5] أقوده حتى جلس بين يدي عثمان . فقال عثمان : أخبرني عن يوم الفيل . فقال مولاي لعثمان[6]: بعثت يوم الفيل طليعة على فرس أبي ، فكنت واقفاً على الجبل أنظر إليهم ، فهاجت ريح وظلمة ، وزلزلت الأرض حتى قعد بي فرسي ومرت بهم طير بيض من قبل البحر في منقار كل طائر منها حجر وفي رجل كل طائر حجر (ين) ، فمسحتهم[7] مسحة[8] كلفتك رداءك[9]. وانجلت الظلمة وسكنت الريح ، فنظرت فإذا القوم خامدون .

١) في «ج»: الهزيل.
٢) في الأصول: «مررت»، والتصويب يقتضيه معنى المروي.
٣) في «ب»: مررت أنا وأقود مولاي.
٤) في «ج» فقال.
٥) «به» ـ ساقط من «ب».
٦) في «ج»: فقال يا مولاي لعثمان.
٧) في «ح»: فمسختهم.
٨) «مسحة»: ساقطة من «ج».
٩) في «ب»: كلفتك ورأيك. وفي «ج»: كلفتك وراءك.

---

(١) قصة أصحاب الفيل مجملة في قوله تعالى (سورة الفيل):
﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾.
وهي مترددة مع تفصيلاتها في كتب التفاسير، ومنها: الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، وتفسير أبي السعود ج ٩ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٨ ـ ٥٥٣ . والكل =

ذكر زلزلة البيت ليلة ولد النبي ﷺ

أخرج «أبو نعيم» في الدلائل[1] عن «عمرو بن قتيبة» عن أبيه قال: «لما حضرت ولادة آمنة نكست الأصنام كلها، وأما البيت فأياماً سمعوا من جوفه صوتاً وهو يقول: الآن يرد عليّ نوري، الآن يجيئني[1] زواري، الآن أطهر من أنجاس[2] الجاهلية، أيتها العزى هلكت! ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن[3].

وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ.

---

١) في «ج»: يجيء.
٢) «أنجاس»: ساقط من «ج».
٣) في «ج»: ولياليها.

= دون تصريح بالقصة، وانظر: ابن إسحاق. السيرة ج ١ ص ٣٨ - ٤٢، الأزرقي. أخبار مكة ج ١ ص ١٣٤ - ١٤٨، البيهقي. دلائل النبوة ج ١ ص ١١٥ - ١٢٥، أبا نعيم. دلائل النبوة ص ١٠٠ - ١٠٨، ابن الجوزي. الوفا بأحوال المصطفى ج ١ ص ٩١ - ٩٤.

(١) لم أهتد إلى موضع الرواية في مصدره، ولعلها ساقطة من المطبوعة، أما تردد الكلام من جوف الأصنام فهو المصرح به فيه ص ٧٦ - ٧٧.

ذكر زلزلة إيوان كسرى

آخرج «البيهقي»[1] و« أبو نعيم »[2] ـ كلاهمـا في الدلائـل ـ عن « هانـيء المخزومي » قال[1] : «لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس[3] إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشر شرافة » .

١) في ب: «عن أم هانيء المخزومية قالت. . . ».

(١) البيهقي: دلائل النبوة ج ١ ص ١٢٦ .
(٢) أبو نعيم: دلائل النبوة ص ٩٧ .
(٣) ارتجس: اصطرب وانشق. والرجس بفتح الراء وإسكان الجيم وبالسين المهملة: الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير.
(الشامي. سبل الهدي والرشاد ج ١ ص ٤٣٢).

ذكر الزلازل الواقعة في الإسلام

أخرج «البيهقي »[1] عن أبي هريرة قال : « رجفت الأرض على عهد رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم قد عتب عليكم فاعتبوه » .

أبو هريرة أسلم عام خيبر ، سنة سبع[2] من الهجرة . فيؤخذ من هذا أنها وقعت في آخر[3] سني الهجرة .

وأخرج « البخاري » عن « أنس » قال : « صعد النبي ﷺ أحداً أو حراء[4] ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه[5] النبي ﷺ برجله وقال : اثبت ، عليك نبي وصديق وشهيدان »(1) .

وأخرج « مسلم » عن «أبي هريرة » أن النبي ﷺ صعد أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي[6] وطلحة والزبير ، فقال : « اهدأ ، فما عليك إلا نبي أو صديق[7] أو شهيد »(2) .

---

١) بيض للبيهقي في«ب» ، وأسقطه في «أ» .
٢) في «ج» : سبعة.
٣) في «ج» : أواخر.
٤) في «ب» : وحراء.
٥) في «ب» : فضرب.
٦) «وعلي» : ساقط من ب ، د.
٧) في «أ» : إلا نبياً وصديق أو شهيد.

---

(١) البخاري. الجامع الصحيح ج ٥ ص ١٤ ، ١٩ (فضائل الصحابة).
(٢) مسلم. الجامع الصحيح ج ٧ ص ١٢٨ (فضائل الصحابه).

وأخرج أبو يعلى[(١)] والطبراني[١] عن «ابن عباس»[(٢)] [- رضي الله عنهما -] قال: «كان رسول الله ﷺ على حراء، فتزلزل الجبل، فقال رسول الله ﷺ اثبت حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

وأخرج « ابن أبي شيبة » و« نعيم بن حماد » في الفتن و[٢] «الخطيب البغدادي » عن « صفية بنت أبي عبيد[٣] » قال : « زلزلت الأرض على عهد عمر ، فقال عمر : أيها الناس ، ما هذا ؟ ما أسرع ما أحدثتم ، لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً » .

قال صاحب مرآة الزمان : وذكر جدي في كتاب يقال له « معاني المعاني » : «فضربها عمر بالدرة، فسكنت».

قال[٤] هشام : « وهي أول زلزلة كانت في الإسلام ، وكانت بالمدينة[٥] ، وأخربت الدور ، وذلك في سنة عشرين[٦] من الهجرة » .

وقال « الرافعي »[٧] في كتاب التدوين في أخبار قزوين : « رأيت بخط أبي الحسين[٨] بن ميمون : أنبأنا[٩] العرجي عن علي بن عبد الحميد القزويني ، حدثنا محمد بن سليمان[١٠] النخعي ، حدثنا عمر[١١] بن سلمة الرهاوي[١٢] عن فضل بن الزبير ، قال : بينا علي - كرم الله وجهه[١٣] - جالس في الرحبة زلزلت

---

١) «والطبراني» - ساقط من «ج».
٢) «ابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في الفتن و»: ساقط من أ، ج.
٣) في «ب»: جيد.
٤) في «ج»: وقال.
٥) «وكانت بالمدينة»: ساقط من ب.
٦) في بعض النسخ: «عشر».
٧) في «ج»: اليافعي.
٨) في «ب»: أبي الحسن.
٩) في «ج»: أنبأ.
١٠) في «أ»: محمد أبي سليمان.
١١) في بعض النسخ: «محمد».
١٢) في «ج»: الزهاوي.
١٣) في «ج»: علي رضي الله عنه.

---

(١) راجع: أبا يعلى: مسند ابن عباس ق ١٢٣ ب.
(٢) راجع: الطبراني. المعجم الكبير ج ١١ ص ٢٥٩.

الأرض، فضربها علي[1] بيده ، ثم قال : قري[2].

وقد تقدم أنها زلزلت في عهد ابن عباس ، ولم أقف على تعيين سنتها .

وأخرج « ابن أبي الدنيا » عن «أشعث[3] بن سوار » ، قال : حدثني رجل من أهل مسجد الكوفة ، وكان أبوه ممن شهد بدراً[4] قال : مررت على قرية تزلزل[5]، فوقفت قريباً أنظر ، فخرج عليّ رجل . فقلت : ما وراءك ؟ قال : تركتها تزلزل ، وإن الحيطين ليصطكان ويرمى بعضها على بعض . فقلت : ما كانوا يعملون ؟ قال : كانوا يأكلون الربا.

وفي سنة أربع وتسعين كانت زلازل بالشام أقامت أربعين يوماً ، كذا ذكره ابن جرير(١)، وصاحب المرآة ، ثم قال : « وذكر محمد بن موسى الخوارزمي أن في هذه السنة ، لعشرين من آذار دامت الزلازل في الدنيا أربعين يوماً ، فهدمت الأبنية الشاهقة ، ووقع معظم أنطاكية ».

وفي سنة ثمان وتسعين عادت الزلازل أربعين يوماً . كذا في المرآة(٢) .

وفي خلافة «عمر بن عبد العزيز » كانت زلزلة بالشام ـ كما تقدم(٣) .

وفي « تذكرة الوادعي » : « حدث عن عبد الله بن كثير القارىء ، قال : أصابتنا رجفة بدمشق[6] سنة ثلاثين ومائة ، حتى رحل أهلها عنها ، وسقط في

---

١) «جالس في الرحبة زلزلت الأرض فضربها علي»: ساقط من «ج».
٢) في «ب»: ثم قال لها قري.
٣) في «ب»: أسقف.
٤) «بدراً»: ساقط من «ب».
٥) في «ج»: تتزلزل.
٦) في «ج»: «بدمشق وفي سنة. . .».

---

(١) الخبر ليس في تاريخ الطبري، وهو في الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٥٨٢ .
(٢) وفي الكامل لابن الأثير (ج ٥ ص ٣٦): «. . فيها، كانت الزلازل في الدنيا كثيرة، ودامت ستة أشهر».
(٣) المقصود بذلك زلزلة سنة أربع وتسعين للهجرة.

تلك[1] الرجفة سوق الدجاج ، وذاك من[2] الصخر العظام . فلما كان بعد ذلك بأيام كثيرة ، حركوا بعض ذلك الذي وقع ، فإذا[3] فيه رجل حي، فقيل له :كيف حييت ؟ قال : كانت جرو[4] تأتيني بعظم في فيها فتجعله في فمي » .

قال : « وأخبرت أنه انشق في الرجفة العظمى[5] سنة إحدى وثلاثين ومائة سقف في المسجد حتى نظر منه إلى السماء ، ثم جاءت رجفة بعدها[6] فأطبقته» .

وفي سنة ثمانين ومائة كانت بمصر زلزلة شديدة ، سقط[7] منها رأس منارة الاسكندرية(1) .

وفي سنة سبع وثمانين ومائة كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة ، انهدم بعض سورها ، ونضب ماؤهم ساعة من الليل(2) .

وفي سنة ثلاث ومائتين كانت زلزلة بخراسان دامت سبعين يوماً، وهدمت المنازل، وسقط جامع بلخ، ونحوه من ربع المدينة. ذكره ابن الجوزي(3) .

وفي سنة تسع عشرة ومائتين[8] ، قال صاحب المرآة : كانت ظلمة شديدة بين الظهر والعصر وزلازل هائلة .

---

١) في «ب»: «وأسقطت تلك».
٢) «من»: ساقطة من أ، ج.
٣) في «ب»: وإذا.
٤) في «ب»: كانت جرو وفي باقي الأصول: جرد.
٥) في «ج»: في الرجفة العظمى، وفي. . .
٦) في «ب»: ثم جاء بعدها رجعة.
٧) في «ج»: سقطت.
٨) بعدها في «ج»: زلزلت الارض.

---

(١) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ٦ ص ١٥٢ ، الذهبي. العبرج ١ ص ٢٧٥ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٧٥ .
(٢) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ٦ ص ١٨٩ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٩٣ .
(٣) وراجع : ابن الأثير. الكامل ج ٦ ص ٣٥٦.

وقال « أبو بكر النحاس » : « في الوقت الذي ضُرب فيه[1] أحمد بن حنبل[(1)] أظلمت الدنيا وزلزلت».

وفي سنة عشرين ومائتين زلزلت الأرض ودامت أربعين يوماً ، وتهدمت أنطاكية .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين زلزلت فرغانة ، فمات فيها خمسة عشر ألفاً .

وفي السنة التي تليها[2] رجفت الأهواز ، وتصدعت الجبال ، ودامت ستة عشر يوماً[(2)].

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين[3] ، كانت زلزلة مهولة بدمشق ، سقطت منها دور ، وهلك تحتها[4] خلق ، وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها ، وإلى الجزيرة فأخربتها ، وإلى الموصل ، فيقال : هلك من أهلها خمسون ألفاً . كذا في تاريخ الذهبي[(3)] .

وأما صاحب المرآة فقال :

« في سنة اثنتين وثلاثين (ومائتين) كثرت الزلازل في الدنيا ، وخصوصاً[5] المغرب والشام ، وانهدمت حيطان دمشق[6] وحمص ، وكان أشدها بأنطاكية

١) «فيه»: ساقط من «ب».
٢) في «ب»: قبلها.
٣) في «ب» و«د»: وفي سنة ثلاثين ومائتين. بإسقاط «ثلاث».
٤) في «ب» و«ج»: وهلك منها.
٥) في «ب»: خصوصاً، بإسقاط الواو.
٦) في «أ»: دمشقت.

(١) تأرجح الذهبي (العبر ج ١ ص ٣٧٦) في التأريخ لضربه قائلاً:
« . . . وفيها (سنة ٢١٩ هـ)، وقيل: في التي بعدها، امتحن المعتصم الإمام أحمد بن حنبل، وضُرب بين يديه بالسياط حتى غشي عليه، فلما صمم ولم يجب أُطلق، وندم على ضربه».
(٢) أرخ «ابن الأثير» (الكامل ج ٦ ص ٥٢١) لهذه الزلزلة بسنة ست وعشرين ومائتين.
(٣) الذهبي. العبر ج ١ ص ٤١٣، وفيه أنها «دامت ثلاث ساعات».

والعواصم ، وأخربت بلاد الجزيرة والموصل ، ودامت أياماً » .

ثم قال :

« وفي سنة ثلاث وثلاثين (ومائتين) كانت زلزلة عظيمة ، ذكرها الحافظ ابن عساكر في كتاب الزلازل ، وقال[١] : زلزلت دمشق يوم الخميس ضحى ، لإحدى عشرة[٢] خلت من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، فقطعت ربعاً من الجامع[٣] وتزايلت الحجارة العظام ، ووقعت المنارة ، وسقطت القناطر والمنازل ، وامتدت في الغوطة[٤] فأتت على داريا والمزة وبيت لهيا[٥] وغيرها ، وخرج الناس إلى المصلى يتضرعون إلى قريب نصف النهار ، فسكنت الدنيا » .

وفي سنة أربع وثلاثين ومائتين زلزلت هراة ، فوقعت الدور.

وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين رجفت طبرية حتى مادت الأرض .

وفي سنة أربعين ومائتين زلزلت بالمغرب[٦] وخسف بثلاث عشرة[٧] قرية من قرى القيروان .

وفي سنة اثنتين[٨] وأربعين ومائتين[٩] في شعبان زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بقومس ، تهدمت بها دور كثيرة ، ومات من أهلها نحو خمسة وأربعين ألفاً (وستة وتسعين نفساً)[(١)].

---

١) في «ج»: قال، بإسقاط الواو.
٢) في «ج»: لإحدى عشر.
٣) في «ب»: فقطعت العامر الجامع.
٤) في «د»: السوطة.
٥) في «ب»: كهيا.
٦) في «أ» و«ب» و«ج»: المغرب.
٧) في «ج»: بثلاث عشر.
٨) في «ج»: اثنين.
٩) «زلزلت بالمغرب. . . ومائتين»: ساقط من «ب».

---

(١) راجع : ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٤١.

وكانت ـ أيضاً ـ باليمن وخراسان وفارس والشام وبسطام وقم وقاشان والري وجرجان ونيسابور والدامغان وطبرستان وأصبهان زلازل منكرة(1) ، وتقطعت جبال ، وتشققت الأرض بقدر ما تدخل[1] الرجل الشق ، ورجمت[2] قرية السوداء[3] بناحية مضر من السماء بخمسة أحجار ، ووقع حجر منها على خيمة أعرابي فاحترقت ، ووزن حجر منها فكان عشرة أرطال ، وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين[4] . ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان ، فصاح : يا معشر الناس ، اتقوا الله ، الله ، الله . . فصاح أربعين صوتاً ، ثم طار ، وجاء من الغد ففعل كذلك(2). وكتب صاحب البريد بذلك ، وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه.

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين ، عمت الزلازل الدنيا(3) ، فأخربت المدن والقلاع والقناطر ، وسقط من أنطاكية جبل في البحر ، وسقط[5] منها ألف وخمسمائة دار ومن سورها نيف وتسعون[6] برجاً ، وغار نهر[7] على فرسخ منها ، فلا يدرى أين ذهب بالكلية ، وسمع من كوى[8] دورها أصوات مزعجة جداً ، فخرجوا من منازلهم سراعاً .

---

1) كذا في أ، ب، د. وفي «ج»: يدخل.
2) في «ب»: ورجت.
3) في «ب» و«د»: السويد.
4) في «ب»: آخر من.
5) في «ب»: وسقط ألف.
6) في «ب» و«د»: نيف وسبعون.
7) في «ج»: نهر منها. .
8) في «ب»: من كل.

---

(1) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ٧ ص ٨١.
(2) ليس ذلك سوى إحدى الخرافات التي ترددت في بعض المصادر، فسلم بها مؤرخنا نتيجة لما اقترن بها من إشارة إلى توثيق عدد من الشهود للخبر.
(3) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ٧ ص ٨٧، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٤٦.

وزلزلت[1] مصر ، وسمع[2] بتنيس ضجة هائلة ، فمات فيها خلق كثير .

وغارت عيون مكة .

وزلزلت ـ فيها ـ أيضاً : السن والرقة وحران ورأس العين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأدنة وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية[3] فما بقي منها منزل ولا بقي منها[4] إلا اليسير (من أهلها) ، وذهبت[5] جبلة بأهلها وعبرت الزلزلة الفرات بعد أن هدمت بالسن وما حولها ، وامتدت إلى خراسان ، فمات خلق لا يحصون .

وفي سنة تسع وأربعين ومائتين في ذي الحجة أصابت أهل الري زلزلة شديدة جداً ورجفة هائلة ، تهدمت فيها الدور ، ومات منها[6] خلق كثير ، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء(1) .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائتين وقعت بواسطزلزلة شديدة ، وهدة عظيمة ، تهدمت بسببها دور كثيرة ، ومات نحو عشرين ألفاً(2) .

وفي سنة ثمان وستين ومائتين في ربيع الأول زلزلت بغداد زلزلة هائلة ، وجاء بعدها مطر شديد وصواعق ، فخاف[7] الناس . ذكره في المرآة(3) .

---

١) في «ب»: فزلزلت.
٢) «وسمع»: ساقط من «ب».
٣) في «أ»: للأذقية، وفي «ج»: الأزقية.
٤) في «أ»: فما بقي منها.
٥) في «ج»: وذهب.
٦) في «ب»، «د»: فيها.
٧) في «ب» و«د»: فمات.

---

(١) راجع: ابن الأثير. الكامل ج ٧ ص ١٢٤، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٤.
(٢) يشير «ابن الأثير» (الكامل ج ٧ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧) إلى أن هذه الزلزلة كانت «بالصيمرية»، بينما يشير «ابن الجوزي» (المنتظم ج ٥ ص ٨) إلى أنها كانت بالبصرة. والخبر منقول هنا عن ابن كثير. البداية والنهاية ح ١١ ص ٣٠.
(٣) راجع: ابن الأثير. الكامل ج ٧ ص ٣٧١.

وفي سنة ثمانين[١] ومائتين ، زلزلت أردبيل ست مرات ، فتهدمت دورها ، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً ، كذا في تاريخ ابن كثير(١) .

وفي تاريخ الذهبي : « في شوال من هذه السنة كسف القمر بالدبيل[٢] وأصبحت الدنيا مظلمة إلى العصر، فهبت ريح سوداء، فدامت إلى ثلث الليل، وأعقبتها زلزلة عظيمة أذهبت عامة البلد، فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفاً[٣] » .

وأما ابن كثير ، فذكر هذه الكائنة في سنة ثمان وثمانين ومائتين بعد ذكره تلك . وقال في هذه : إن[٤] الزلزلة استمرت أياماً ، وأنه وقع خسف(٢) .

وفي سنة تسع وثمانين ومائتين ، في رجب زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أياماً ، وهبت بالبصرة[٥] ريح عظيمة[٦] قلعت عامة نخلها ، وخسف بموضع منها ، فمات تحته ستة آلاف نسمة(٣) .

وفي رمضان تساقطت من السماء وقت السحر نجوم كثيرة ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن طلعت الشمس .

وفي يوم عرفة صلى الناس العصر ، وكان صيفاً ، فهبت ريح باردة جداً حتى

---

١) في «ج» : وفي سنة ثمان .
٢) في «ب» : الدبل .
٣) «وخمسين وألفاً» : ساقط من «ج» .
٤) «أن» : ساقط من «ب» .
٥) «دامت . . بالبصرة» : ساقط من «د» .
٦) «ريح عظيمة» : ساقط من «د» .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٤٦٥ ـ وفيه أنها كانت بدبيل ـ وابن الجوزي . المنتظم ج ٥ ص ١٤٣ ، وابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٦٨ .
(٢) راجع : ابن الجوزي . المنتظم ج ٦ ص ٢٧ ، مع ملاحظة تطابق وصف هذه الزلزلة وزلزلة سنة ٢٨٠ هـ . فلعله يكون واهماً في إحداهما . والنقل هنا عن ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣) راجع : ابن الجوزي . المنتظم ج ٦ ص ٣١ ، ابن الأثير . الكامل ج ٧ ص ٥٢٢ .

احتاجوا إلى الاصطلاء بالنار ، ولبسوا الفراء والمحشوات ، وجمد الماء كفصل الشتاء ، وكان ذلك ببغداد ـ حكاه ابن الجوزي ـ وبمدينة حمص ـ حكاه ابن الأثير[1] .

وفي سنة ثلاثمائة انحسر[1) جبل بالدينور (ـ يعرف بالتل ـ) ، فخرج من تحته ماء[2) عظيم ، غرق عدة من القرى[2].

وفي سنة سبع وثلاثمائة، انقض كوكب عظيم (غالب الضوء) و(تـ)قطع ثلاث قطع ، وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم . ذكره[3) ابن الجوزي[3] .

وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا، سقطت منها عمارات كثيرة ، وهلك بسببها خلق كثير[4] .

وفي سنة أربع وأربعين (وثلاثمائة) زلزلت مصر زلزلة صعبة[4) ، هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات ، وفزع الناس إلى الله بالدعاء .

وفي سنة خمس وأربعين (وثلاثمائة)، زلزلت همدان (وأستراباذ ونواحيها) زلزالاً عظيماً ، فانهدمت البيوت ، وانشق قصر شيرين بصاعقة ، ومات تحت

---

١) في «ج»: انخر.
٢) في «ب»: نهر.
٣) في «ج»: ذكر.
٤) في «ج»: زلزلة عظيمة صعبة.

---

(١) ابن الأثير. الكامل ج ٧ ص ٥٢٢.
(٢) وفي المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ١١٥: «. . . ووصل الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر». وراجع: ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ١١٨.
(٣) راجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ٦ ص ١٥٣، وابن الأثير. الكامل ج ٧ ص ٥٢٢، وليس في هذا الخبر ما يشير إلى وقوع زلزلة، مما يخرجه من الإطار المشروط للكتاب ويبعد به عن التجانس مع مادته.
(٤) راجع: ابن الأثير. الكامل ج ٨ ص ٤٠٤.

الهدم خلق لا يحصون[1] .

وفي سنة ست وأربعين (وثلاثمائة) ، كانت بالري ونواحيها زلازل عظيمة دامت نحو أربعين يوماً ، تسكن ثم تعود ، وخسف ببلد الطالقان ، وخسف بمائة[1] وخمسين قرية من قرى الري ، وتقطع بالري جبل ، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة[2] ، وخرجت منها مياه[3] منتنة ودخان عظيم . هكذا نقل[4] ابن الجوزي[(2)] .

وفي سنة سبع وأربعين (وثلاثمائة) عادت الزلازل بقم وحلوان وقاشان[5] والجبال ، فأتلفت[6] خلقاً عظيماً ، وخربت دوراً كثيرة ، وزلزلت بغداد أيضاً[(3)].

وفي أيام كافور الأخشيدي[7] كثرت الزلازل بمصر ، فأقامت ستة أشهر ، فأنشد[8] محمد بن القاسم بن عاصم قصيدة فيها[9] :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا

كذا رأيت[10] في نسخة عتيقة من كتاب « مهذب الطالبين[11] » ، تاريخ

١) في «ب» وخسف مائة.
٢) في «ج». حروما عظيما.
٣) في «ج»: مائة.
٤) في «ب»: هكذا نقله.
٥) في «أ»، «ج»: قاسن، وفي «ب»: واشان.
٦) في «أ»: فأبلعت.
٧) في «ب»: الاحميشدي.
٨) في «ب»: فأنشده.
٩) في «ب»: فيها هذا البيت.
١٠) في «ب»: رأيته.
١١) في «ب»: تهذيب الطالبين.

(١) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٦ ص ٣٨٤، والمصدر السابق ج ٨ ص ٥١٨، والذهبي. العبر ج ٢ ص ٢٧٠، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٣٠.
(٢) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ٨ ص ٥٢١، الذهبي. العبر. خ ٢ ص ٢٧٠، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٣٢.
(٣) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٦ ص ٣٨٧، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

كتابتها بعد الستمائة[1]، ثم رأيت ما يخالف ذلك كما سنذكره.

وفي سنة اثنتين[1] وستين وثلاثمائة زلزلت بلاد الشام، وهدمت الحصون، ووقع من أبراج أنطاكية عدة، ومات تحت الهدم خلق كثير.

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كانت زلزلة شديدة بواسط[2].

وفي سنة سبع وستين (وثلاثمائة) زلزلت بغداد مراراً[3].

وفي سنة ست وسبعين (وثلاثمائة) كانت بالموصل زلزلة عظيمة، سقط منها عمران كثير، ومات من أهلها أمة عظيمة[4].

وفي سنة ثلاث وتسعين[2] وثلاثمائة زلزلت الشام[3] والعواصم والثغور، فوقعت قلاع وحصون، ومات تحت الهدم خلق كثير.

وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة زلزلت الدينور في شعبان زلزالاً شديداً، فهلك تحت الهدم (أكثر من) ستة عشر[4] ألفاً، غير من ساخت به الأرض[5].

---

1) في «ب»، «ج»: اثنين.
2) «وفي سنة... و»: ساقط من أ، ب.
3) في «ج»: بالشام.
4) في «ج»: ست عشر.

---

(1) أشار إلى ذلك ابن نظيف (تلخيص الكشف والبيان ط. موسكو ص ١٣٢ - ١٣٣) ضمن حوادث حولية أربعين وثلاثمائة للهجرة، قائلاً:

«... وجاءت زلزلة بمصر يوم الأحد آخر الساعة الثانية لست خلون من صفر، ثم عادت في ثلث الليل، ثم عند الأذان، ثم بعد صلاة الصبح، ثم عادت لأيام من ربيع الآخر، وخرج أهل مصر منها إلى الصحراء، وأدخلوا البهائم من الغيط، وانشقت الأرض، ثم مكثت ستة أشهر، ثم سكنت في رجب، فلم تعد، ودخل محمد بن عاصم الشاعر على كافور فأنشده قصيدته، ثم قال في بيت منها:

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها   لكنها رقصت من عدله فرحا

فأجازه كافور ألف دينار عن قصيدته. وكان المتنبي حاضراً، فساءه ذلك».

(2) راجع: ابن الأثير. الكامل ج ٨ ص ٦٤٧، وأرخ لها بذي الحجة.

(3) راجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ٧ ص ٨٦، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٨٩.

(٤) راجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ٧ ص ١٣٢ (وأرخ لها برجب)، وابن الأثير. الكامل ج ٩ ص ٥١، وابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٠٥.

(٥) راجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨، ابن الأثير. الكامل ج ٩ ص ٢٠٨، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٣٩.

ووقعت رجفة بشيراز[١] غرقت بسببها مراكب كثيرة في البحر[(1)].

وفي أيام الحاكم[٢] العبيدي ، قال « ابن فضل الله » في المسالك : « زلزلت مصر حتى رجفت أرجاؤها ، وضجت الأمة لا تعرف كيف نجاؤها . فقال محمد بن القاسم بن عاصم شاعر الحاكم :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا نجل الهدى وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله فرحا[٣]

(البسيط)

وكانت خلافة الحاكم من سنة ست وثمانين وثلاثمائة[٤] إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة كثرت الزلازل بمصر والشام ، فهدمت شيئاً[٥] كثيراً ، ومات تحت الردم[٦] خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها (تقديراً) ، وتقطع جامعها تقطيعاً ، وخرج أهلها فأقاموا ظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال ، فعادوا إليها ، وسقط(بعض) حائطبيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة (كبيرة) ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسقطت منارة جعلان ، ورأس منارة غزة[٧] ، وسقطنصف بنيان نابلس ، وخسف بقرية الباذان وأهلها وبقرها وغنمها ، وساخت في الأرض ، وكذلك قرى كثيرة هنالك . ذكره ابن الجوزي[(2)].

---

١) كذا في جميع النسخ ، ولعلها «شيزر» إذ هي المطلة على البحر.
٢) في «أ» : الحكم .
٣) كذا في جميع النسخ ، وقد ورد البيت قبل ذلك بصيغة أخرى .
٤) «ست وثمانين وثلاثمائة» مبدلة في «ج» بقوله : «ست» .
٥) في «ب» : فهدمت بناء .
٦) في «ج» : الهدم .
٧) في «ج» : غردة .

---

(١) راجع : ابن الجوزي . المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨ ، وفي الذهبي (العبر ج ٣ ص ٦٦) : « . . . فهلك تحت الردم أزيد من عشرة آلاف» .

(٢) راجع : ابن الجوزي . المنتظم ج ٨ ص ٧٧ ، ابن الاثير . الكامل ج ٩ ص ٤٣٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٦ .

وفي[1] سنة أربع وثلاثين وأربعمائة[2] ، قال الذهبي وابن كثير : كانت الزلزلة العظمى بتبريز ، هدمت قلعتها وسورها وأسواقها ودورها ، حتى من دار الإمارة عامة قصورها[3] ، ومات تحت الهدم خمسون ألفاً(1).

وزلزلت تدمر وبعلبك ، ومات تحت الهدم معظم أهل تدمر .

وفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة[4] زلزلت خلاط وديار بكر زلازل هدمت القلاع والحصون ، وقتلت خلقاً[5] .

وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، كانت زلازل[6] عظيمة بنواحي أرجان[7] والأهواز وتلك البلاد ، فتهدم[8] بسببها شيء كثير(2).

قال ابن كثير : وحكى بعض من يعتمد قوله ، أنه انفرج إيوانه وهو يشاهد ذلك حتى رأى السماء منه ، ثم عاد إلى حاله لم يتغير . وحكاه صاحب المرآة(3).

وفي سنة خمسين وأربعمائة ، في ليلة الثلاثاء ثامن عشر[9] شوال بين المغرب والعشاء زلزلت بغداد زلزالاً[10] شديداً[11] ، فتهدمت دور كثيرة ، واتصلت من بغداد[12] إلى همدان وواسط وعانة[13] وتكريت ، ووقعت الطواحين من شدة الزلزلة(4).

---

١) في «ب»: وفيه.
٢) «وأربعمائة»: ساقط من «ب».
٣) في «ج»: عامت قصورها.
٤) «وأربعمائة»: ساقطة من أ، ب.
٥) بيض لها في «ب».
٦) في « ب » : زلزلة.
٧) في «أ»: أريجان.
٨) في «ب»: فهدم.
٩) «ليلة . . . عشر»: ساقط من أ، ج.
١٠) في «ج»: زلازل.
١١) في «ج»: شديدة.
١٢) في «ب»: ببغداد.
١٣) في «ب»: عامة عانة.

---

(١) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ١١٤، ابن الأثير. الكامل ج ٩ ص ٥١٣، الذهبي. العبر ج ٣ ص ١٨٠.
(٢) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ١٥٤، ابن الأثير. الكامل ج ٩ ص ٥٩١.
(٣) راجع : اس كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٣.
(٤) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ١٩٠، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٧٩.

وفي(١) سنة خمس وخمسين وأربعمائة [١] ، في شعبان كانت زلزلة عظيمة بواسط وأنطاكية واللاذقية وصور [٢] وعكا والروم وأرض الشام ، فهدمت قطعة [٣] من سور طرابلس.

وفي سنة ثمان وخمسين (وأربعمائة) ، في جمادى الآخرة كانت زلزلة بخراسان لبثت أياماً ، وتصدعت منها الجبال ، وأهلكت جماعة ، وخسف بعدة [٤] قرى . وخرج الناس إلى الصحراء ، فأقاموا بها(٢) ، وورد كتاب من هناك [٥] إلى بغداد فيه شرح الحال ، نصه :

« كتابي - أطال الله بقاء الشيخ - عن نفس زاهقة ، وأحشاء راجفة ، وعقل ذاهب ، وقلب ذاهل ، وعين [٦] ممطرة ، ودموع منسكبة ، وغموم في الصدر مقيمة ، وهموم على الفؤاد مخيمة ، مما دهينا به خصوصاً ، وأهل هذه البلدة [٧] عموماً من زلزلة شديدة ، وهدة عظيمة تصدعت منها الجبال ، وتشققت [٨] منها التلال ، وانقلبت القرى بأهلها ، واستؤصلت من أصلها [٩] ، ولم يسلم من ساكنيها إلا القليل . وهذا لعمري الخطب الجلل.

---

١) «وأربعمائة»: ساقطة من آ، ب.
٢) في «أ»، «ب»: صول.
٣) في «ج»: قطع.
٤) «بعدة»: ساقط من «ب».
٥) في «ب»: هنالك.
٦) في «أ»: وعبر.
٧) في «ب»: وأهل البلد، وفي «ج»: وأهل هذه البلد.
٨) في «ج»: وشققت.
٩) في «ب»: أحد بها، وفي «ج»: أهلها.

---

(١) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ٢٣١ ، ابن الأثير. الكامل ج ١٠ ص ٣٠ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٩.
(٢) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ٢٤١ ، ابن الأثير. الكامل ج ١٠ ص ٥٢ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٣.

وخرب[1] أكثر[2] بنيان البلد، وهلك خلق لا يأتي عليهم العدد ، وقامت القيامة قبل أوانها ، وبدت آثار الساعة قبل إبانها ، وكثر الويل والعـويل ، ولـم ينج[3] من الناس إلا القليل ، والناس حيارى على المزابل ، سكارى من الهول الهائل ، والأرض تمرغ وتميد ، وليس عن ما قضاه الله محيد » .

أورده صاحب المرآة .

وفي سنة ستين[4] وأربعمائـة ، في يوم[5] الثلاثـاء حادي عشـر جمـادى الأولى ، قال ابن الجوزي :

كانت زلزلة شديدة بأرض فلسطين ، أهلكت بلـد الرملـة ، وبالحجـاز ، فرمت شرافتين من مسجد النبي ﷺ ولحقت[6] وادي الصفراء وخيبر وبـدر وينبـع ووادي القرى، وتيماء، وتبوك، وانشقت الأرض بتيماء عن كنـوز من[7] المـال، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة، وجاء كتاب بعض التجار يقول فيه:

« إنها خسفت الرملة بأسرها ، ولم يسلم منها إلا داران ـ فقط ـ وهلك منها خمسة وعشرون ألف نسمة ، وهلكت إيلة ومن فيها ، وانشقـت الصخـرة التـي ببيت[8] المقدس ، ثم عادت فالتأمت بإذن الله ، وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم ، ثم رد إلى موضعه . وكانت الزلزلة بهذه البلاد كلها في ساعة واحدة »[(1)] .

---

١) في «ج»: وتخرب.
٢) «أكثر»: ساقط من «ب».
٣) في أ، ب: «يحج».
٤) في «ب»: ست.
٥) «يوم»: ساقط من «ج».
٦) في «ج»: وألحقت.
٧) «من»: ساقط من «ب».
٨) في «ج»: إلى بيت.

---

(١) راجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ٢٤٨، الذهبي. العبر ج ٣ ص ٢٤٦، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٦.

وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة[١] ، في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى . قال ابن الجوزي : كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، وبيت المقدس ومصر حتى نفرت[٢] إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريتان[(١)].

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة[٣] كانت زلزلة عظيمة ببغداد ، ارتجت لها الأرض ست مرات[(٢)].

وفي سنة ثمان وسبعين (وأربعمائة) ، في المحرم،[٤] زلزلت أرجان (وما تاخمها من النواحي) ، فهلك[٥] خلق كثير من الروم ومواشيهم[(٣)].

وفي سنة تسع وسبعين (وأربعمائة) كانت زلازل[٦] بالعراق والجزيرة والشام ، فهدمت شيئاً كثيراً من العمران ، وخرج أكثر أهل العراق إلى الصحراء ، ثم عادوا[(٤)] .

وفي[(٥)]سنة أربع وثمانين وأربعمائة[٧] كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها ،

---

١) «وأربعمائة»: ساقط من أ، ب.
٢) في «ب»: تيرت.
٣) «وأربعمائة»: ساقط من أ، ب.
٤) في «ب»: الحرم.
٥) في «ب»: وهلك.
٦) في «ج»: زلزالاً.
٧) «وأربعمائة»: ساقط من أ، ب.

---

(١) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٨ ص ٢٥٦ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٩.
(٢) أرخ ابن الجوزي (المنتظم ج ٨ ص ٢٧٢) لها بليلة الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر، وقت طلوع الفجر. وراجع : ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠٥.
(٣) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ٩ ص ١٤ ، ابن الأثير. الكامل ج ٩ ص ١٤٥ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ٩ ص ١٤٥.
(٤) راجع : ابن الأثير الكامل ج ١٠ ص ١٥٨ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٣١.
(٥) أرخ «ابن الأثير» (الكامل ج ١٠ ص ٢٠٠) لها بتاسع شعبان. وراجع : ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٣٨.

فهدمت بنياناً كثيراً ، وكان من جملة ذلك تسعون برجاً في سور[1] أنطاكية ، وهلك تحت الهدم[2] خلق كثير[3] .

وفي سنة ثمان وخمسمائة ، كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة[4] ، سقط منها ثلاثة عشر برجاً ، ومن الرها وبعض سور حران ودور كثيرة ، فهلك أكثرها ، ومن بالسن[5] نحو من مائة دار ، وقلب بنصف قلعتها ، وسلم نصفها ، وخسف بمدينة سميساط[6] ، وهلك تحت الهدم خلق كثير(١) .

وفي سنة إحدى عشرة[7] وخمسمائة في يوم عرفة كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقطت منها دور كثيرة(٢) .

وفي سنة ثلاث عشرة[8] (وخمسمائة) ، قال الإمام أبو القاسم الرافعي في كتاب[9] « تاريخ قزوين » : حدثت في هذه السنة ليلة الأربعاء لخمس خلون[10] من رمضان زلزلة عظيمة بقزوين ، وكانت تعود إلى مدة سنة كاملة .

وفي سنة خمس عشرة[11] (وخمسمائة) كانت زلزلة عظيمة بالحجاز

---

١) في «ج»: سوار.
٢) في «ب»: الردم.
٣) «وفي سنة . . . كثير»: ساقط من «د».
٤) في «ب»: المدينة.
٥) في «ج». بالس.
٦) في «ا»: شمساط. وفي «ب»: سميسط.
٧) في «ج». عشر.
٨) في «ب»: ثلاث عشر، وفي «ح» ثلاثة عشر.
٩) في «أ»: كتابه.
١٠) «خلون»: ساقط من «ج»:
١١) في «ج»: ستة عشر.

---

(١) أرخ «ابن الجوزي» (المنتظم ج ٩ ص ١٨٠ ـ ١٨١) لها بيوم الخميس سابع عشر رجب. وراجع: ابن الأثير. الكامل ج ١٠ ص ٥٠٨ ، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٢ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧٨ .

(٢) راجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ٩ ص ١٩٣ ، ابن الأثير. الكامل ج ١٠ ص ٥٣٢ ، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٨ .

تضعضع بسببها الركن اليماني ـ زاده الله شرفاً ـ وتهدم بعضه ، وتهدم شيء من مسجد المدينة الشريفة[1].

وفي سنة ست عشرة[1] (وخمسمائة) زلزلت جنزة[2] وانخسف[3] طرف منها ، وانهدم سورها . قاله[4] في المرآة[2].

وفي[3] سنة أربع وعشرين[5] (وخمسمائة) ، في ربيع الأول كانت ببغداد زلزلة عظيمة ، هدمت دوراً كثيرة . قاله في المرآة[6] .

وفي سنة تسع وعشرين[7] (وخمسمائة) ، قال سبط ابن الجوزي في المرآة : زلزلت بغداد مراراً كثيرة لا تحصى ، وكان مبدؤها يوم الخميس حادي عشر شوال ، ودامت كل يوم ست مرات إلى ليلة الجمعة سابع عشر شوال ، ثم ارتجت ليلة الثلاثاء من نصف الليل إلى الفجر والناس يستغيثون[4].

وفي سنة اثنتين[8] وثلاثين (وخمسمائة) كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهدم شيء كثير ، ومات جم غفير[5].

---

١) في «ج»: عشر.
٢) في «ب»: بعره. وفي «د»: حبره.
٣) في «ج»: فانخسف.
٤) في أ، ج: «قال».
٥) «قاله . . . وعشرين»: ساقط من «ب».
٦) «في ربيع الأول . . . المرآة»: ساقط من ب، ج.
٧) «وفي سنة تسع وعشرين»: ساقط من «ج».
٨) في «ج»: اثنين.

---

(١) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ١٠ ص ٥٩٤ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٨ .
(٢) راجع : سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٠٢ .
(٣) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ٦٦٦ ، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٢ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠ .
(٤) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ٤٤ ، ابن الأثير. الكامل ج ١١ ص ٣٤ ، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٨ .
(٥) منقول عن ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٢ . وراجع : ابن الأثير. الكامل ج ١١ ص ٦٦ ، وأرخ لها بصفر.

وفي سنة ثلاث وثلاثين (وخمسمائة) كانت بجنزة[١] زلزلة عظيمة ، فهلك بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفاً ، ثم خسف بجنزة ، وصار مكان البلد ماء أسود ، عشرة فراسخ في مثلها(١).

وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة . قال[٢] أبو يعلى بن القلانسي : وكانت هذه الزلزلة بالدنيا كلها ، إلا أنها كانت بحلب أعظم ، ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة(٢).

وفي سنة ثمان وثلاثين (وخمسمائة) في ذي القعدة[٣] ليلة الثلاثاء رابع عشريه[٤] زلزلت الأرض زلزلة عظيمة . كذا ذكره صاحب المرآة وابن كثير مقتصرين عليه(٣).

وفي سنة أربع وأربعين (وخمسمائة ، في ذي الحجة) جاءت زلزلة عظيمة (نقبت الحيطان) وماجت بغداد نحو عشر مرات ، (فامتدت إلى حلوان) ، وتقطع منها[٥] جبل بحلوان ، وهلك منها عالم من التركمان(٤).

وفي سنة تسع وأربعين (وخمسمائة) هاجت ريح شديدة بعد العشاء ،

---

١) في «ب»: بجنر، وفي «د»: بحيره.
٢) في «ب»: قاله.
٣) في «ج»: الحجة.
٤) في «ج»: عشرين.
٥) في «ب»: فيها.

---

(١) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ٧٨، ابن الأثير. الكامل ج ١١ ص ٧١، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٨٤، الذهبي. العبر ج ٤ ص ٩١، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٥.
(٢) راجع : ابن القلانسي. (ذيل) تاريخ دمشق ص ٤٢٠.
(٣) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ١٠٨، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ١٨٤، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٨ - ٢١٩.
(٤) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ١٣٨، ابن الأثير. الكامل ج ١١ ص ١٤٦، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٠١، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٢٢٥.
ويلاحظ أن من آثارها - كذلك - انهدام «الرباط النهرجوري».

فيها نار ، فخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلت الأرض ، وتغير ماء دجلة إلى الحمرة ، وظهر بأرض واسط من الأرض دم لا يعرف سببه(١).

وفي(٢) سنة خمسين(١) (وخمسمائة) زلزلت بغداد(٢).

وفي سنة اثنتين(٣) وخمسين (وخمسمائة) كانت زلزلة عظيمة بالشام، هلك بسببها خلق لا يعلمهم إلا الله ، وتهدم أكثر حلب وحماه وشيزر(٤) وحمص وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمعرة (وفامية وأنطاكية) وطرابلس .

قال ابن الجوزي(٣) : فأما شيزر(٥) فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم منها أحد .

وفامية(٦) ساخت قلعتها، وتل حران(٧) انقسم نصفين ، فأبدى نواويس وبيوتاً كثيرة في وسطه .

وهلك من مدائن الإفرنج(٨) شيء كثير ، وتهدمت أسوار أكثر مدن(٩) الشام من ذلك ، حتى أن مكتباً بحماه انهدم على الصبيان فهلكوا عن آخرهم ، فلم يجيء أحد يسأل عن واحد منهم(٤).

---

١) في «أ»: حمس.
٢) الخبر مضاف من «ج».
٣) في «ج»: «اثنين».
٤) في «ب»: شيراز.
٥) نفسه.
٦) في أ، د: «أفانية»، وفي «ب»: أفامت، وفي «ج»: «اذابية».
٧) في أ، ب، د: «تل حرب»، وفي «ج»: «تل خرب».
٨) في «ج»: الفرع.
٩) في «أ»: أكثر مدائن مدن.

---

(١) راجع : ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ١٥٧ ، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٣١ .
(٢) راجع : ابن الأثير. الكامل ج ١١ ص ٢٠٢ ، وأرخ لها بذي الحجة.
(٣) راجع : سبط ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ، الذهبي. العبر ج ٤ ص ١٤٦ .
(٤) النقل متتابع عن ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص٢٣٦ ، وراجع : سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

وقد ذكر هذا الفصل الشيخ الإمام الحافظ «أبو شامة» في كتابه «الروضتين» مستقصى ، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد فى ذلك .

قال أبو شامة(١) :

« في[1] سنة إحدى وخمسين (وخمسمائة) والتي بعدها كثرت الزلازل بالشام ، ففي الثاني والعشرين من ربيع الأول وافت زلزلة هائلة ، وجاءت قبلها وبعدها مثلها في النهار و[2] في الليل ، تم جاءت بعد ذلك ثلاث دونهن ، بحيث أحصين ست مرات .

وفي ليلة الخامس والعشرين منه جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في أول النهار ، وآخره ، وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماه بانهدام مواضع كثيرة (وانهدم من أبراج فامية بهذه الزلازل المباركة) ، وذكر أن الذي أحصى عدده منها بقدر الأربعين ، وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والأعصار الخالية .

وفي التاسع والعشرين من الشهر بعينه وافت زلزلة آخر النهار ، وبالليل ثانية في آخره .

وفي أول شهر رمضان زلزلة مروعة ، وثانية ، وثالثة .

وفي ثالث رمضان ثلاث زلازل ، وأخرى وقت الظهر ، وأخرى هائلة (أيقظت النيام ، وروعت القلوب) نصف الليل .

وفي ليلة نصف رمضان زلزلة هائلة أعظم مما سبق ، وعند الصباح أخرى .

وفي الليلة التي تليها زلزلتان ، أولها وآخرها . وفي اليوم الذي بعد يومها .

وفي ليلة الثالث والعشرين زلزلة مزعجة .

وفي ثاني شوال زلزلة أعظم مما تقدم .

---

١) في «ب» «وفي».

٢) الواو ـ ساقطة من «ب».

---

(١) أبو شامة . الروضتين ج ١ ص ١٠٣ ـ ١٠٥ ، وراجع : ابن الأثير . الكامل ج ١١ ص ٢١٨ .

وفي سابعه [1] وسادس عشره ، وفي اليوم الذي جاء بعده أربع زلازل ، وفي [2] ليلة الثاني والعشرين منه .

ثم دخلت سنة اثنتين [3] وخمسين (وخمسمائة)، ففي ليلة تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة ، وتلتها أخرى . وكذلك في ليلة العشرين واليوم الذي [4] بعدها . وتواصلت الأخبار من ناحية الشام بعظم تأثير هذه الزلازل.

وفي ليلة الخامس [5] والعشرين من جمادى الأولى وافت أربع زلازل ، وضج الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس .

وفي ليلة رابع جمادى الآخرة وافت زلزلتان ، وتواصلت الأخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيراً أزعج أهلها (وأقلقهم) ، وكذا في حمص، وهدمت مواضع فيها ، و [6] في حماه وكفر طاب (وأفامية) وتيماء .

وفي رابع رجب نهاراً ، وافت دمشق زلزلة عظيمة لم ير مثلها فيما تقدم ، ودامت رجفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم (و) هربوا من الدور [7] والحوانيت والسقائف (وانزعجوا) ، وأثرت في مواضع كثيرة ، ورمت من فص [8] الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن إعادة [9] مثله ، ثم وافت عقيبها [10] زلزلة في الحال ، ثم سكنت ، ثم تبعت ذلك في أول الليل [11] زلزلة ، وفي وسطه زلزلة ، وفي آخره زلزلة .

---

١) المثبت من «ج»، وفي باقي الأصول: «سابع».
٢) مضاف من «ب»، ساقط من باقي النسخ.
٣) في «ب»، «ج»: اثنين.
٤) مضاف من «ج»، ساقط من باقي الأصول.
٥) في «د»: الحادي.
٦) الواو ـ ساقطة من «ب».
٧) في «أ»: الديور.
٨) في «ب» : ممن حضر، وفي «ج»: من نص.
٩) في «ب»: عادة، وفي «ج»: إعادته.
١٠) في «ب» و«د»: عقبها.
١١) في «ج»: النهار.

وفي ليلة الجمعة ثامن رجب زلزلة مهولة أزعجت الناس ، وتلتها في النصف منها ثانية .

وعند انبلاج[1] الصبح ثالثة ، وكذلك في ليلة السبت وليلة الأحد وليلة الاثنين ، وتتابعت بعد ذلك مما يطول به الشرح .

ووردت الأخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه (ويرعب النفوس ذكره) ، بحيث انهدمت حماه وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشباب والأطفال والنسوان ، وهم العدد الكثير والجم الغفير ، بحيث لم يسلم منهم إلا القليل اليسير .

وأما شيزر[2] ، فانهدم حصنها على واليها « تاج الدولة بن أبي[3] العساكر بن منقذ » ومن تبعه إلا اليسير ممن كان خارجاً .

وأما حمص فإن أهلها كانوا[4] قد خرجوا منها .

قال[(1)] : وقد نظم في ذلك من قال :

روعتنا[5] زلازل حادثات ... بقضاء قضاه رب السماء
هدمت حصن شيزر وحماه ... أهلكت أهله بسوء القضاء
وبلاداً كثيرة وحصوناً ... وثغوراً موثقات البناء
وإذا ما رنت[6] عيون إليها ... أجرت الدمع عندها بالدماء
وإذا ما[7] قضى من الله أمر ... سابق في عباده بالمضاء

١) في «ب» و«ج» : ابتلاج .
٢) في «ب» : شيزر .
٣) ساقط من ب ، د .
٤) ساقط من «ب» .
٥) في «ج» : أوعتنا .
٦) في «ب» : رأت .
٧) ساقط من «ب» .

(١) القائل هو «أبو شامة المقدسي» ، والنقل متتابع عنه .

حار قلب اللبيب فيه ومن كا　　ن له فطنة وحسن ذكاء[1]

« الخفيف»

قال :

وأما أهل دمشق ، فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين ، التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها[1] وخرجوا إلى البساتين والصحراء ، وأقاموا عدة ليالي وأيام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون[2].

وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة (عظيمة) روعت الناس وأزعجتهم[3]، ووافت الأخبار من ناحية حلب بأن[2] هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة فقلقلت[3] من دورها وجدرانها العدد الكثير، وأنها كانت بحماه أعظم مما كانت في غيرها، و (أنها) دامت أياماً كثيرة في كل يوم عدة وافرة[4] من الرجفات الهائلة تتبعها صيحات مختلفة توفي على أصوات الرعود القاصفة المزعجة، وتلت ذلك ردفات[5] متوالية أخف من غيرهن.

فلما كانت ليلة السبت العاشر[6] من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء (الآخرة) أزعجت وأقلقت ، وتلتها في أثرها هزة خفيفة ، وكذا ليلة العاشر

---

١) في «ج»: حولها.
٢) في «ب»: أن
٣) في «أ»: فقلقت، وفي «ج»: فقلعت.
٤) في «ج»: كثيرة وافرة.
٥) في «ب»: «دركات».
٦) ساقط من ب، د.

---

(١) بعدها في مصدره:
وتراه مسبحاً باكي العيـ　　ـن مروعاً عن سخطه وبلاء
جل ربي في ملكه وتعالى　　عن مقال الجهال والسفهاء
(٢) هذا اختصار مخل، إذ أن هذا الأثر مترتب على زلزلة لاحقة، وليس على هذه الزلزلة.
(٣) هذا الترويع والإزعاج له أسباب سابقة على هذه الزلزلة، ذكرها أبو شامة في الروضتين ج ١ ص ١٠٥.

من ذي القعدة. وفي غدها زلازل. وفي[1] ليلة الثالث[2] والعشرين والخامس والعشرين منه زلازل فر الناس منها إلى الصحراء(١) وصجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء والتصرع إلى الله.

وفي يوم الجمعة سلخ ذي القعدة وافت زلزلة رجفت لها الأرض وانزعج لها الناس.

ثم حكى كلام «ابن الأثير» المتقدم، وأن بعض المعلمين بحماه ذكر له أنه فارق المكتب لمهم له، فجاءت الزلزلة فأخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان (جميعهم). قال المعلم: فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب.

وقال «مؤيد الدولة أسامة بن مرشد[3] بن منقذ» في هذه الزلزلة[4]:

نمنا[5] عن الموت والمعاد وأصـ	ـبحنا نظن اليقين أحلاما
فحركتنا هذي[6] الزلازل أي	تيقظوا[7] كم ينام من ناما

«المنسرح»

وقال أيضاً:

أيها الغافلون عن سكرة المو	ت وإذ لا يسوغ في الحلق[8] ريق
كم إلى كم هذا التشاغل والغفـ	ـلة حار الساري وضل الطريق

١) مزيد من «ب».
٢) في «د»: الحادي.
٣) في «أ»: مرثد، وفي «ج»: يزيد.
٤) في «ج»: الزلازل.
٥) في «ب»: إنما.
٦) في «ب»: هذه، وفي «ج»: هدم.
٧) في «ب»: قد تيقظوا.
٨) في ب، ج: الخلق.

---

(١) الوارد في أبي شامة (الروضتين ج ١ ص ١٠٥): «... نفر من هولها إلى الجامع والأماكن المنكشفة».

إنمـا هزت الـزلازل هذي الـ أرض[1] بالغـافلين كي يستفيقوا

«الخفيف»

وقال في الزلازل ـ أيضاً ـ وقـد سكن النـاس بعـد الـدور (والنزهـة) في اكواخ[2] عملوها بالأخشاب[3] لئلا تهدمها الزلازل :

يا أرحم الـراحمين ارحـم عبادك من هذي[4] الزلازل فهي الهلك والعطب
ماجـت بهـم أرضهـم حتـى كأنهم ركاب بحـر مع الأنفـاس يضطرب
فنصفهـم هلـكوا فيـنـا ونصفهم لمصرع[5] السلف الماضيـن يرتقب
تعـوضوا من مشيـدات المنازل بالـ أكـواخ[6] فهـي قبور[7] سقفهـا الخشب
كأنهـا سفـن قد أقبلـت وهم فيهـا فلا ملجـأ فيهـا[8] ولا هرب

« البسيط »

قال « أبو شامة » :

وكان « صلاح الـدين يوسف بـن أيوب » مع غلام له يسمـى « عبيداً » في بيت[9] بمدينة حماه يوم الزلزلة ، فوقعت المدينة[10] بأسرهـا سوى ذلك البيت الذي هما فيه ، وكان عبيد ـ المذكور ـ موصوفاً بالثقل[11] ، فقال الشاعر المسمى بالعرقلة :

---

١) في «ج»: إنما هذه الزلازل هز الأرض.
٢) في «ب»: «ألواح».
٣) ساقط من «ج»
٤) في «ب»: هذه.
٥) في «ب»: بممزع.
٦) في «ب»: والألواح.
٧) في «ب»، «د»: قبور.
٨) في «أ»، «ب»: معها.
٩) «يسمى. . . بيت»: ساقط من ج.
١٠) «فوقعت المدينة» ـ ساقط من «ج».
١١) في «ب»: بالنقل.

قل لصلاح الدين رب الندى　　بلغ عبيداً كل ما[1] أمله
بثقلة[2] لما نضا جسمه　　سلمك الله من الزلزلة
« السريع »

و[3] ذكر « ابن ميسر » في تاريخ مصر[(1)] أنه في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، في شعبان أرسل « الصالح طلائع بن رزيك » عسكراً فوقعوا بالفرنج وقعة هائلة ، وهزم الفرنج ، واستولى المسلمون على أموالهم وخيلهم ، وكان ذلك بالعريش . فقال « المهذب بن الزبير » في ذلك قصيدة يمدح فيها الصالح[4] ويذكر هذه الوقعة[5] ، أولها :

أعلمت حين تجاوز الحيان　　أن القلوب مواقد[6] النيران ؟

ومنها في ذكر الزلازل :

ما زلزلت أرض العدى بل ذاك[7] ما　　بقلوب أهليها[8] من الخفقان
ويقال ذلك عن بخار كامن　　في باطن[9] الأرضين منذ زمان
وأقول إن حصونهم سجدت لما　　أوتيت من ملك ومن سلطان
« الكامل »

وفي سنة خمس وستين (وخمسمائة) كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة[10] ،

---

١) في «أ» : كما.
٢) في «ب» : بنقله.
٣) ساقط من «ب».
٤) ساقط من «ج».
٥) في «ب» ، «د» : الواقعة.
٦) في «د» : معاقد.
٧) في «ب» : بلى ذاك.
٨) في «أ» ، «ب» ، «ج» : وأهلها.
٩) في «أ» : بطن.
١٠) في «ج» : المدينة.

---

(١) لم يرد هذا النقل فيما انتقاه المقريزي من تاريخ «ابن ميسر».

وعمت أكثر الأرض ، وتهدمت[١] أسوار كثيرة بالشام[٢] ، وسقطت دور كثرة على أهلها ، ولا سيما بدمشق وحمص وحماه وحلب وبعلبك ، سقطت أسوارها وأكثر قلعتها[٣] ، فجدد الملك « نور الدين الشهيد » ـ رحمه الله[٤] ـ (عمارة) أكثر ما سقط بهذه الزلزلة[(١)].

وفي هذه الزلزلة أو التي قبلها يقول القاضي الفاضل والعلم الشريف :

« سيحيط[٥] بهذه الحادثة التي ألمت بالشام من الزلزلة التي تداعت لها الثغور بالانهداد والانهدام [٦] ولم تكن إلا عبرة لأولي الأبصار وموعظة وآية من الله لعباده منذرة ، ومن سنة الغفلة موقظة[٧] ، وقد عمت حتى هدت[٨] كل بقعة، وهدمت كل قلعة ، وخفضت كل رفعة، وعطلت كل حال ، وأنزلت كل عال ، وشغلت كل بال ، وألحقت كل جديد ببال ، وعادت الحصون مهدومة ، والمعاقل مردومة ، والثغور مثلومة[٩] ، والثنايا مهتومة[١٠] » .

وفي سنة أربع وسبعين (وخمسمائة) ، قال في المرآة : « زلزلت أرمينية وبلاد أربل[١١] ، وتصادمت الجبال بحيث كانت بين الجبلين مسافة فتقلعها

١) في «أ»: فهدمت، وفي باقي النسخ : «فتهدمت».
٢) ساقط من «ب».
٣) في «ج»: قلعها.
٤) «رحمه الله» ـ ساقط من «ب».
٥) في «أ»، «ج»: محيط.
٦) في «ج»: بالانهدام والانهزام، وفي «ب»: بالامتداد والانهدام.
٧) «وآية . . . موقظه» ـ ساقطة من «ب».
٨) في «ب»: هدمت.
٩) في «ب» : ملتومة.
١٠) في «ب»: مهمومة.
١١) في «ب»: أزبك.

(١) منقول عن ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٦١، وراجع: ابن الجوزي. المنتظم ج ١٠ ص ٢٣٠، ابن الأثير. الكامل ج ١١ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

الزلازل[1] ، فيصطدمان ثم يعودان إلى مكانهما[(1)] .

وقال « ابن كثير » في تاريخه :

وفي سنة خمس[2] وسبعين (وخمسمائة) كانت زلزلة عظيمة انهدمت بسببها قلاع وقرى ، (ومات خلق كثير منها في الورى) ، وسقطت من رؤوس الجبال صخور كبار[(2)] .

وفي سنة سبع وثمانين[3] (وخمسمائة) ، قال المقريزي : حصلت بمصر زلزلة[(3)] .

وفي سنة اثنتين وتسعين[4] (وخمسمائة) هبت ريح سوداء عمت الدنيا (ووقع على الناس رمل أحمر) ، وتحرك البيت الحرام مراراً ، ووقعت من الركن اليماني[5] قطعة[(4)] . وزلزلت مصر[(5)] .

وفي سنة ثلاث وتسعين (وخمسمائة) انقض[6] كوكب عظيم ، سمع لانقضاضه صوت هائل ، واهتزت الدور والأماكن ، فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء .

قال ابن كثير[(6)] :

---

١) في «ب»، «ج»: الزلزلة.
٢) في «ج»: خمسة، وفي «د»: ست.
٣) في «ب» و«د»: وثلاثين.
٤) في «ج»: وسبعين.
٥) في «ج»: الثاني.
٦) في «أ»: تقض.

---

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٥٣.
(٢) راجع: ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٠٤.
(٣) راجع: المقريزي. السلوك ج ١ ص ١٣٥.
(٤) راجع: سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٤٨ - ٤٤٩.
(٥) راجع: المقريزي. السلوك ج ١ ص ١٦٩.
(٦) راجع: ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣ - ١٤.

وفيهـا ورد كتـاب من القاضـي الفاضـل إلـى القاضـي « محيي الدين بـن الزكي[١] » يخبره فيه : آن[٢] في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة وبـروق[٣] خاطفـة، وزياح عاصفـة فقـوي أمرهـا بها، واشتد هبوبها ، فتدافعت لها أعنة مطلقات ، وارتفعت لها صواعق مصعقات ،فرجفت لها الجدران[٤] ، واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت ، وثار بين السماء[٥] والأرض عجاج ، فقيل : لعل هذه على هذه قد[٦] انطبقت[(1)] .

وفي سنة سبع وتسعين (وخمسمائة) ، قال (الذهبي) في العبـر[(2)] : في شعبان كانت الزلزلة العظمى التي عمت أكثر الدنيا .

وقال صـاحـب المـرآة[(3)] وغيره[٧] : كانـت زلزلـة عظيمـة (هائلـة) من الصعيد ، (فعمت الدنيا في ساعة واحدة) ، هدمت بنيان مصر ، فمات تحـت الهدم خلق كثير ، ثم امتدت إلى الشام والسواحل والجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وتهدمت بالشام دور كثيرة ، وخسفت قرية من أرض بصرى ، وأمـا السواحـل ، فهلك بها[٨] شيء كثير ، وخربت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس ،

---

١) في «ب»: ابن المزكى.
٢) ساقط من «ج»، وفي باقي الأصول: «بأن».
٣) في «ج»: برق.
٤) في «أ»: الجدان.
٥) في «أ»: من السحاب.
٦) ساقط من «ب».
٧) في «ب»: وغيرها.
٨) في «ج»: فيها.

---

(١) أورد «ابن كثير» ـ في البداية والنهاية ـ الكتاب مكتملاً، بينما اكتفى «السيوطي» هنا بإيراد صدره فقط وقد تصرف فيه.
(٢) الذهبي. العبر ج ٤ ص ٢٩٦ ، وراجع : ابن الأثير. الكامل ج ١٢ ص ١٧٠ ـ ١٧١.
(٣) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩.

ولم يبق بنابلس[1] سوى حارة السامرة[2]، ومات بها ثلاثون ألفاً تحت الهدم ، وسقطت طائفة كبيرة(1) من المنارة الشرقية بجامع دمشق وأربع(2) عشرة[3] شرافة وغالب الكلاسة والبيمارستان النوري ، وخرج الناس إلى الميادين[4] يستغيثون ، وسقط غالب قلعة بعلبك ، وخرج قوم من بعلبك يجنون الريباس[5] من جبل لبنان(3) ، فالتقى عليهم الجبلان وماتوا بأسرهم .

وقطعت البحر إلى قبرص ، وانفرق البحر فصار أطواداً[6] ، وقذف بالمراكب[7] إلى ساحله ، وامتدت إلى ناحية الشرق ، خلاط وأرمينية وأذربيجان والجزيرة ، وأحصي من هلك في هذه الزلزلة على وجه التقريب ، فكان ألف ألف ومائة ألف إنسان ، وكانت قوة الزلزلة في مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف ، ثم دامت بعد ذلك أياماً .

فقال بعض البلغاء في ذلك :

« أما بعد ، فإنه لما حدث بملك الشام حادث[8] الزلازل ، ووجد في أكثرها من عظم البلايا والبلايل ، حتى طمت (الأرض) من أرض الجزيرة إلى بلاد الساحل ، وهدمت الحصون والمعاقل ، وأخربت ما لا يحصى من الدور

١) في «ب»: من نابلس.
٢) في «ب»: المسامرة، وفي سائر النسخ: «السامرة».
٣) في «ب»: عشرة.
٤) في «ج»: الميادن.
٥) في «ب»: المريباس.
٦) في «ج»: اصواراً .
٧) في «ج»: بالمركب.
٨) ساقط من «ج».

(١) الوارد في مصدره ـ المصدر السابق ج ٨ ص ٤٧٨ ـ . « . . . فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق».

(٢) الوارد في مصدره (نفسه): « . . . وسقط من الجامع ست عشرة شرافة».

(٣) الريباس نبات كالسلق له خشونة، وورق كثير عريض مائل إلى الخضرة المشوبة بالإحمرار، وطعمه حلو، حامض ـ ابن البيطار. الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ٢ ص ١٤٧ .

والمنــازل ، وسـوت[1] الأعالـي من البنيان بالأسافـل ، وأوحشـت من أهلهـا المجالس والمحافل ، وشدخت كثيراً من الهام بالجنادل ، وفصلت بين الأعضاء والمفاصل ، وأبانت بين الأقدام والأكف والأنامل ، وأدبر القطان من الأوطان أدبار النعام[2] الجافل ، وخلا كثير من السكان في الموارد والمناهل ، وكثرت في الدنيا اليتامى والأرامل ، وأرمضت قلوب الفاقـدات ، وأرمضـت[3] عيون الشـواكل ، وأجهضت(١) كثيراً من أجنة الحوامل ، ووضعت الطيور لهولها ما في الحواصل ، فكان ما حدث منها عبرة للبيب العاقل ، وحسرة على المصر[4] الغافل ، وتنبيهاً على إخلاص التوبة من المتغافل ، وإزعاجاً للمتباطىء عن الطاعة والمتثاقل ، وما ظلم الله عباده بإهلاك النسل والناسل ، ولكنهم لما[5] تعاموا عن الحق وتمادوا في الباطل وأضاعو الصلوات[6] ، وعكفوا على الشهوات والشواغل ، وأهدروا دم المقتول ، وأرشوا في ترك القاتل ، وارتكبوا الفجور ، وشربوا الخمور ، وانتشر فسقهم[7] في القبائل ، وأكلوا الربا والرشا وأمـوال اليتامـى وهـو شر المـآكل ، وزهدوا فيما رغبوا فيه ، وطمعوا في الحاصل ، ومن بقي منهم إنما يستدرج في أيام قلائل ، وما جرى على البلاد فعبرة وموعظة للخارج والداخل .

والله يمن على الإسلام وأهله بفرج عاجل ، ويوفقهم للقيام بمرضاته من أداء الفرائض والنوافل . ويكفيهم من عذابه الأليم الهائل ، وينجيهم من عاقبة الاجل والعاجل . فهو مجيب المضطر ، ومعطي السائـل ، وفـارج الـكرب الفـادح[8] والخطب النازل » .

---

١) في «أ»: وسودت.
٢) في «ب»: العام.
٣) في «أ»، «ج»: وأمصت.
٤) في «ب»: المصر.
٥) ساقط من «ب».
٦) في «ج»: الصلاة.
٧) في «أ»، «ج»: فقيههم.
٨) في «ب»: الفاذاخ.

---

(١) في مصدره: «وأحمصت».

وفي سنة ثمان وتسعين (وخمسمائة) ، قال في المرآة : جاءت في شعبان زلزلة عظيمة فشقت[١] قلعة حمص ، ورمت المنظرة التي على القلعة ، وأخربت حصن الأكراد ، وامتدت إلى نابلس فأخربت ما بقي[(١)] .

وفي سنة ستمائة كانت زلزلة عظيمة بديار مصر والشام والجزيرة والموصل والعراق وبلاد الروم وقبرص وغير ذلك من البلاد . قاله[٢] ابن الأثير في كامله[(٢)].

قال غيره[(٣)] : وبلغت إلى سبتة ببلاد المغرب .

وفي سنة خمس وستمائة زلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة أيام . قاله في المرآة[(٤)] .

وفي سنة ثمان وستمائة كانت زلزلة شديدة هدمت بمصر والقاهرة دوراً كثيرة ، وكذلك بمدينة الكرك ، والشوبك ، وهدمت من قلعتها أبراجاً ، ومات خلق كثير من الصبيان والنساء تحت الهدم ، ورؤي دخان نازل من السماء إلى الأرض فيما بين المغرب والعشاء عند قبر « عاتكة » غربي دمشق[(٥)] .

وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة[(٦)] ، ذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة ببلادهم ، هدمت كثيراً من القرى والقلاع[٣] .

---

١) في «ب»: فسقطت.
٢) في «ج»: قال.
٣) في «أ»: التلاع.

---

(١) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١٠.
(٢) في ابن الأثير. الكامل ج ١٢ ص ١٩٨ : « . . وخرب من مدينة صور سورها، وأثرت في كثير من الشام». وراجع. ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٧.
(٣) المقصود بذلك المقريزي. السلوك ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧.
(٤) راجع سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٣٩ . ويشير ابن الاثير. الكامل ج ١٢ ص ٢٨٣ إلى انها كانت - كذلك - بخراسان، وإن كان اثرها بنيسابور أشد.
(٥) منقول عن. ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦٢، وراجع: أبا شامة. ذيل الروضتين ص ٧٨.
(٦) الخبر منقول عن ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٤ فيما نقله عن ابن الاثير. الكامل ج ١٢ ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

وفي(١) سنة أربع وخمسين (وستمائة) في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة وقع بالمدينة ـ الشريفة ـ صوت يشبه الرعد البعيد تارة ، وتارة ، (و)أقام على هذه الحالة يومين ، فلما كانت ليلة الأربعاء تعقبت الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان ، واضطرب المنبر الشريف ، وسمع لها صوت كدوي الرعد ، وارتج القبر الشريف ، واستمرت تزلزل[١] ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر (فـ) ظهرت النار من الحرة ، وقال بعض الشعراء في ذلك :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها ... حملاً ونحن بها حقاً أحقاء
زلازل[٢] تخشع الصم الصلاب لها ... وكيف يقوى على الزلزال شماء
أقام سبعاً يرج[٣] الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض أرساء(٢)

« البسيط »

وفي(٣) سنة سبع وخمسين (وستمائة) حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جداً ، قاله ابن الأثير[٤] .

وفي سنة إحدى وستين (وستمائة) زلزلت الموصل زلزلة عظيمة ، بحيث

---

١) في «ب»: الزلزلة.
٢) في «أ»: زلزالاً
٣) «أ»، «ج»: ترج.
٤) في «ب»، «ج»: ابن كثير.

---

(١) النقل عن ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٨٧ ، وراجع : أبا شامة. الذيل على الروضتين ص ١٩٠ ـ ١٩٣ ، اليونيني. ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤ ـ ١٠ .
(٢) يتبع هذا البيت في المصدر الرئيس ثلاثة عشر بيتاً أخرى.
(٣) الإسناد إلى المصدر على وجه الخطأ، إذ أن الكآمل في التاريخ لابن الأثير ينتهي بحوادث سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة، ولذا حاولب بعض النسخ التصحيح ناسبة ذلك لابن كثير، وهو مما لم ينقل عنه كذلك، ولعل النقل عن المقريزي. السلوك ج ١ ص ٤٢٠ .

تهدمت أكثر[١] دورها[(1)].

وفي سنة اثنتين وستين (وستمائة) زلزلت مصر زلزلة عظيمة[(2)].

وفي سنة سبع وستين (وستمائة) حصلت زلزلة في بلاد سيس[٢] أخربت منهاعدة[٣] قلاع، وهلك كثير من الناس[(3)].

وفي سنة اثنتين[٤] وتسعين، في صفر زلزلت غزة والرملة وقاقون ولدد[٥] والكرك، وسقطت من قلعتها أماكن كثيرة وثلاثة أبراج[(4)].

وفي سنة ثلاث وتسعين (وستمائة) ، قال ابن المتوج : كانت زلزلة أثرت في سائر أقليم مصر ، حتى أن بعض عمد جامع عمرو انفصل بعضه عن[٦] بعض ، وكان أخف مما حدث في جامع القاهرة[(5)].

وفي ذي الحجة سنة اثنتين[٧] وسبعمائة زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة ، بحيث تهدمت[٨] الدور، وهلك خلق تحت الهدم، وتلاطمت بسببها البحار، وتكسرت المراكب، وأقامت أربعين يوماً، وخرج الناس إلى القرافة[٩] فضربوا لهم بها خياماً،

---

١) «أكثر» ساقطة من «ب».
٢) في «ب»: مسيس.
٣) ساقط من «ب».
٤) في «ب»: اثنين.
٥) في الأصول: «قاقول»، والتصويب عن المصدر.
٦) في «أ»، «ج»: من.
٧) في «ب»: اثنين.
٨) في «ب»: هدمت.
٩) في «ج»: الترقة.

---

(١) راجع: اليونيني. ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٥٣٥.
(٢) نفسه ج ١ ص ٥٥٣، والمقريزي. السلوك ج ١ ص ٥٠٨، وأرخ لها بيوم الثلاثاء، العشرين من ربيع الآخر.
(٣) راجع: المقريزي، السلوك ج ١ ص ٥٧٨.
(٤) الخبر منقول عن ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٣٣. وراجع: المقريزي. السلوك ج ١ ص ٧٨٣.
(٥) لا ذكر لهذه الزلزلة فيما تحت يدي من المصادر.

وكان تأثيرها بالاسكندرية أعظم ، بحيث طلع البحر إلى نصف البلد وأخذ الجمال والرحال ، وغرقت المراكب ، وسقطت بمصر دور لا تحصى[1] .

قال « الكمال الأدفوي[١] » في الطالع السعيد[2] : وقال في ذلك الشريف « تقي الدين محمد بن الشيخ ضياء الدين جعفر بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم القنائي »[3] :

مجاز حقيقتها اعتبروا ولا تعمروا هونوها تهن
وما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن

« المتقارب »

أورده الحافظ « ابن حجر » في الدرر الكامنة[4] ، وقال : قال التاج البارنباري[٢] عنه أنه لما نظمها بقي في نفسه شيء لكونه ذكر اسم سور من القرآن في النظم ، قال: فاتيت «ابن دقيق العيد» فأنشدتهما له، فقال[٣] لي[٤] لو قلت: «وما حسن كهف» لكان أحسن. فقلت له: يا سيدي، أفدتني وأفتيتني.

---

١) في «ب»: الأدقوي، وفي «ج»: الأدقوري.
٢) في «ب»، «د»: الأنباري.
٣) في «ج»: قال.
٤) ساقط من «ب».

---

(١) راجع : الدواداري. كنز الدرر ج ٩ ص ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ابن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٣٦٤ ، الذهبي. دول الاسلام ج ٢ ص ٢١٠ ، ذيل العبر ص ٢٠ ـ ٢١ ، ابن دقماق. الجوهر الثمين ج ٢ ص ١٣٦ ، المقريزي. السلوك ج ١ ص ٩٤٢ ـ ٩٤٥، ابن اياس. بدائع الزهور ج ١ ص ٤١٦.

وكانت يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة عند صلاة الصبح ، ودامت حوالي ربع ساعة فلكية.

(٢) الأدفوي. الطالع السعيد ص ٥٠٦ .

(٣) هو «محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم بن حجون القنائي، الشريف تقي الدين»، (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م). له ترجمة في: ابن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٣٠٧، الأدفوي. الطالع السعيد ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ تر ٤٠١ ، المقريزي. الخططج ٢ ص ٤٢٣ ، ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤١٥ ـ ٤١٦ تر ١٢٠٤ ، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤١٥ .

وعمل «شافع[1] بن عبد الظاهر[2]» فيها مقامة سماها : « ما ظهر من الدلائل في الحوادث والزلازل » ، وهي هذه :

«الحمد لله اللطيف الخبير ، السميع البصير المقدم ، وكم أحسن بتدبيره التقدير. ﴿ **رافع السماء بغير عمد ترونها** ﴾ (٢ : الرعد) ، وباسط الأرض ومثبتها من الجبال بأوتاد متكفلة[3] صونها. نحمده على لطف التدبير، ونسأله حسن العقبى والمصير، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنجي من المهالك، وتوضح مسالك السلامة للسالك ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، نبي الرأفة والرحمة ، والحامي بيمن نقيبته[4] أمته من كل نقمة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمحو ليالي الخطوب المدلهمة، وبعد :

فإن قدره الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما زالت ترى عجيباً وتبدي غريباً ، وتوقظ بزواجرها[5] سالماً ومريباً ، وتبدي شموس المواعظ السمائية والأرضية غير متوارية بحجاب، وتذكر بما يبدو منها ويصدر[6] عنها ﴿ **وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ (٢٦٩ : البقرة، ٧: آل عمران)، وما من وقت ولا زمان[7] إلا ويظهر من قدرة الله ـ تعالى ـ فيه ما يبهر العقول[8]، ويخرج عن ما يقضيه المعقول والمنقول. فمن زلزلة مزلزلة كانت للجبال مقلقلة، ومن صواعق مرسلة، وخسوف كم أضحت[9] الأمة من سوء خطتها متوسلة، ومما أيقظ الله[10] به عباده في هذا الزمان، وابتلى به

---

١) في «ج»: سايع .
٢) في «ب»: عبد المطلب .
٣) في «ب»: متكافلة.
٤) في «ب»: نقيته، وفي «ج»: تعيبته في.
٥) في «ب»: بدء أجرها.
٦) في «ب». وما يصدر.
٧) «ولا زمان» ـ ساقط من «ح».
٨) في «ح»: العقول.
٩) في «ج»: اصبحت.
١٠) لفظ الجلالة محذوف من «ج».

صبرهم[1] في هذا الأوان، وهو يوم الخميس الثالث والعشرون[2] من ذي الحجة سنة اثنتين[3] وسبعمائة، عند طلوع الشمس، زلزلة قصمت العرى، ونبذت سكان المدن بالعراء[4]، وأوهت قوى الجدران وأنهكتها[5]، وسبت قاطنيها[6] برفع حجبها من الدروب[7] وهتكتها[8]، وأخذتها أخذ عزيز مقتدر، وأتتها من مأمنها «وكم أتى من مأمنه الحذر، وعمدت إلى عقود الحاكم بجامعه ففسختها، وإلى محكم آيات إتقان بنائه[9] فنسختها، وانتصبت لكل ما بنى على الرفع فكسرته، وإلى كل ما جمع جمع السلامة منها فكسرته، ولم تدع حصناً حتى زلزلته، ولا شاهقاً حتى أنزلته، وأرت[10] بقوة الله قوة، واستظهاراً، وطرقت سحراً « والحوادث قد يطرقن أسحاراً »، وعمت إلى أن لم[11] يوجد ما ينجي منها، وطبقت الأرض فلا أرض تزوي[12] عنها، وارتفعت الأصوات بالضجيج، وصارت الأمة في أمر مريج، ورقصت الحيطان على تصفيق السقوف[13]، واستوى في إزعاجها القعود والوقوف، واهتزت الأرض ومادت، وطالت هزتها وتمادت، وزلزلت الأقدام وخفضت[14]، الأعلام، واستوت من هولها الأنوار والظلم، واسمعت كلمات

---

١) ساقط من «ج».
٢) في «ب»: الثاني والعشرون.
٣) في «ب»: اثنين.
٤) في «ب»، «د»: القرى.
٥) في «ب»: أبهلتها.
٦) في «ج»: قاضيها.
٧) في أ، ب، ج: الزروب.
٨) «وسبت ... وهتكها»: ساقط من «أ».
٩) «فسختها... بنائه»: ساقط من «ب».
١٠) في «أ»: أردت.
١١) في «ج»: لا.
١٢) في «ج»: تردي.
١٣) في «ج»: الصفوف.
١٤) في «ب»: وخضعت.

قعقعتها[١] من به صمم، فيا لها ساعة أزالت ما شيد[٢] في الدهور، ولحظة ظن بما أرته أن إسرافيل قد نفخ في الصور، وداهية أزالت ظلماتها الأنوار، وأذهب قتامها سراج[٣] النهار، كيف ولم يدع حادثها من منار[٤]، ولم تترك قد ركن إلا قصفته، ولا معتدل بناء حتى أمالته بالاعوجاج، وعطفته ولا موجوداً حتى أعدمته[٥]، ولا بيتاً قديماً ولا حديثاً حتى هدمته[٦]، واستولت على الغابر والداثر والباطن والظاهر والبعيد والقريب والبريء والمريب والصالح والطالح والغادي والرائح والجانح[٧] والجامح والأمير والمأمور والأهل والمهجور، وآيست النفوس من الحياة، وأكبها الخوف على وجوهها فمرغت في التراب[٨] الجباه، وبلغت القلوب الحناجر، وفعلت المخافة بالقلوب ما لا تفعله الخناجر[٩].

لهونا بالتكاثر أو[١٠] رمينا بقارعة تشيب لها النواصي[١١]
وكان العاديات لها أساساً فزلزلت الأداني والأقاصي

« الوافر »

ولم يكن لأهل مصر عهد بمثل هذه الزلزلة ولا ألف شيوخها المعمرون[١٢] مثلها، فلا جرم أن كانوا لها مستهولين[١٣].

وأما غيرها من الأقاليم، فإنه قد ورد التاريخ بما أن يكاد يتهم[١٤] فيه المؤرخ

---

١) في «ب»: تقعقعها.
٢) في «ب»: تشيد.
٣) في «ج»: سرج.
٤) في «ج»: منازل.
٥) «ولا موجوداً... أعدمته» ـ ساقط من «ب».
٦) «ولا بيتاً... هدمته» ـ ساقط من «ب»، وفي «ج»: أهدمته.
٧) في «ب». الحالح.
٨) في «ب»: الترى.
٩) بعدها في «أ». شعر.
١٠) في «ب» إذ.
١١) في «أ»، «ب». للنواصي.
١٢) في «ب». المقرون.
١٣) في «أ»، «ج»: مستهولة، وفي «ب»: ممنولة.
١٤) في «أ»: ان يكون متهم، وفي «ب»: متهم فيه.

في نقله ، ويعرض[١] السامع العلم به وإن كان « العلم بالشيء خير من جهله[٢] » .

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

« الطويل »

ولما حصلت هذه الزلزلة المهولة ، وهذه المتجددة[٣] التي غدت الأفكار بها[٤] مشغولة تتبعت كتب التواريخ لأقف على ما اتفق منها ، وأتصفح ما روى عنها ، فوجدت منها ومن العجائب السماوية ما عظم خطراً وراع تاثيراً وأثراً، وأثبته في هذا الكتاب ليعلم أن عجائب الدهر متصلة الأسباب[٥] » .

وفي سنة اثنتين[٦] وعشرين[٧] وسبعمائة ، في المحرم جاءت زلزلة بدمشق ليلاً وهزت الأرض هزة عظيمة ، ثم سكنت بإذن الله ـ تعالى ـ قاله[٨] الذهبي في العبر(١) .

وفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة في رجب ، كانت الزلزلة بطرابلس الشام ، فهلك بسببها ستون نفساً . ذكره في ذيل[٩] العبر(٢) .

وفي سنة أربع وأربعين (وسبعمائة) ، قال « المحب أبو الوليد بن الشحنة »

---

١) في «ب»: ويعوص.
٢) بعدها في «أ»: شعر.
٣) في «ج»: المجددة.
٤) في «ب»: فيها.
٥) بعدها في «ب»: إلى هنا ويتلوه.
٦) في «ب»، «ج»: اثنين.
٧) ساقط من «د».
٨) في «ب»: قال.
٩) في «ح»: دلائل.

---

(١) لم يرد هذا الخبر في العبر ولا في ذيله ، والنسبة إلى المصدر على وجه الخطأ ، إذ أن العبر ينتهي بسنة سبعمائة للهجرة. وراجع : ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠١ .
(٢) الذهبي. ذيل العبر ص ١٠٤ .

في تاريخه(١) : كانت الزلزلة العظيمة في مصر والشام ، وخرج الناس إلى الصحارى[١] ، وتواترت بعدها زلازل[٢] مدة ، وأنشد :

زلزلت الأرض بنا زلزالها وقال كل من عليها : ما لها؟
فقلت : إذ فروا إلى الصحراء ها[٣] قد أخرجت أرضكم أثقالها

« الرجز »

وفي سنة ثمان[٤] وأربعين (وسبعمائة) في رابع رمضان زلزلت القاهرة مرتين في ساعة واحدة . ذكره المقريزي في تاريخه(٢) .

وفي سنة ست وستين وسبعمائة كانت زلزلة عظيمة . رأيت ذلك مكتوباً على ظهر كتاب ولم يعين بأي مكان كانت(٣) .

وفي سنة خمس وسبعين (وسبعمائة) حدثت زلزلة خفيفة بالقاهرة(٤) .

وفي سنة سبع وثمانين (وسبعمائة) زلزلت مصر والقاهرة[٥] زلزلة لطيفة في ليلة الثالث[٦] عشر من شعبان(٥) .

وفي سنة ثمان وثمانين (وسبعمائة) في ثامن عشر جمادى الآخرة زلزلت

---

١) في «ج»: الصحراء.
٢) في «ب»: بعض زلازل.
٣) في «ب»: بها، وفي «ج»: صحرائها.
٤) في «د»: ثمانين.
٥) «زلزلت مصر والقاهرة»: ساقط من «ج».
٦) في «ب»: الثاني.

---

(١) أشار الحسيني (ذيول العبر ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦) إلى أنها كانت في منتصف شعبان، واستمرت «تعاهدهم بحلب إلى بعد عيد الفطر»، وكان من آثارها انهدام مدينة «منبج» وعدة أماكن بحلب.
وراجع : ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢١١ ـ ٢١٢ .
(٢) المقريزي. السلوك ج ٢ ص ٧٤١، وأرخ لها بيوم السبت رابع رمضان.
( ) لم يرد ذلك فيما تحت يدي من المصادر.
(٤) راجع : ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٦٠، والعيني. تاريخ البدر ق ٧٨ ب.
(٥) راجع : ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٣٠٣، والمقريزي. السلوك ج ٣ ص ٥٣٤، وفيه : «زلزلت القاهرة مرتين زلزالاً قليلاً».

الأرض زلزلة لطيفة(1) .

وفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، في صفر هبت[1] بنيسابور ريح عاصف ارتجت[2] الأرض من شدة هبوبها ، وحدثت زلزلة مهولة ، بحيث انقلبت الأرض بأهلها عاليها سافلها ، وخربت المدينة ، وهلك أهلها ، فلم يسلم منهم إلا النادر .

قال «المقريزي»(2) : «وقد اشتهر عند أهل نيسابور أنها خربت بالزلازل سبع مرات ، فكانت هذه المرة أشنع مما مضى ، لأنها تركت المدينة عاليها سافلها[3] » .

وفي سنة ست وثمانمائة زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة، وأخربت أماكن كثيرة في جمادى الاخرة، ثم في شعبان زلزلت زلازل كثيرة متفرقة في طول السنة التي بعدها في جمادى الأولى، وكانت ساعة مهولة، ثم انتشرت في عدة من تلك البلاد(3) .

وفي ذي القعدة سنة تسع وثمانمائة زلزلت أنطاكية زلزلة عظيمة . ومات تحت الردم خلق كثير(4) .

وفي شعبان[4] سنة إحدى عشرة[5] (وثمانمائة) جاءت زلزلة عظيمة في[6]

---

1) ساقط من «ج».
2) في «ب»: أرجت.
3) «وخربت . . . سافلها»: ساقط من «ب».
4) «وفي شعبان» ـ ساقط من «ج».
5) في «ج»: عشر.
6) في «ج»: من.

---

(1) منقول عن المقريزي. السلوك ج ٣ ص ٥٤٦، وأرخ لها بالساعة الرابعة. وراجع: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٣١٥.
(2) المقريزي. السلوك ج ٣ ص ٦٨٢ ـ ٦٨٣.
(3) منقول عن ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٦٢ . وراجع: المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٢٢ .
(4) منقول عن ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٥٥.

نواحي بلاد حلب وطرابلس ، فخربت أماكن عديدة ، ومات تحت الردم خلق كثير(١) .

وفي سنة اثنتين[١] وعشرين وثمانمائة وقعت زلزلة عظيمة بأرزنكان ، هلك بسببها عالم كثير[٢] ، وانهدم من مباني القسطنطينية شيء كثير ، ذكره الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر(٢) .

وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة . ذكره في إنباء الغمر أيضاً(٣) .

وفي سنة ثمان وعشرين (وثمانمائة) ، في شعبان زلزلت مصر ثلاث مرات في يوم زلزلة مهولة قدر درجتين ، ونودي بصوم[٣] ثلاثة أيام من أجل الزلزلة(٤) .

وفي سنة أربع وثلاثين (وثمانمائة) ، في شعبان كانت الزلزلة بغرناطة والأندلس ، وخسف بعدة أماكن ، وانهدمت عدة مواضع[٤] ، وخاف أهل البلد طمهم ، فخرجوا إلى الصحراء(٥) .

وفي سنة ثمان وثلاثين[٥] (وثمانمائة) ، في ربيع الآخر حدثت زلزلة بالقاهرة(٦) .

---

١) في «ب»، «ج»: اثنين.
٢) في «أ»، «ج»: كبير.
٣) في «ب»: بصيام.
٤) في «ب»: أماكن.
٥) في «ب»: ثمانية وثمانين.

---

(١) منقول عن ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .
(٢) نفسه ج ٣ ص ١٩٢ .
(٣) نفسه ج ٣ ص ٣٧٢ ، وأرخ لها بثامن رجب.
(٤) منقول عن المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٦٩٠ - ٦٩١ ، وراجع : ابن حجر العسقلاني إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٤٨ .
(٥) راجع : ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .
(٦) نفسه ج ٣ ص ٥٤٦ ، وأرخ لها بالرابع من ربيع الاخر. وراجع : المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٩٣٥ .

وفي[1] سنة إحدى وأربعين (وثمانمائة) في شعبان حدثت بالقاهرة زلزلة لطيفة١) .

وفي سنة إحدى وستين (وثمانمائة) ، كانت (زلزلة) عظيمة بأرزنكان، هدمت معظمها[2] .

وفي سنة ثلاث وستين (وثمانمائة) كانت زلزلة عظيمة بالكرك ، أخربت أماكن من قلعتها٢) وسورها وأبراجها ، ومات مائة نفس[3] .

وفي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة٣) زلزلت مصر زلزلة لطيفة ليلاً .

وفي سنة ست وثمانين (وثمانمائة) زلزلت مصر يوم الأحد سابع عشر المحرم بعد العصر زلزلة صعبة ، ماجت منها الأرض والأبنية موجات ، وسقطت بسببها شرافة أو قطعة٤) من علو المدرسة الصالحية على قاضي القضاة الحنفي٥) « شرف الدين بن عيد » فقتلته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقال صاحبنا شاعر عصره « الشهاب المنصوري » في ذلك :

قد زلزلت مصر٦) يوم مات بها قاضي القضاة المهذب الحنفي
ما زال طول الحياة في شرف حتى انقضى العمر فيه بالشرف٧)

« المنسرح »

١) في «ج»: عظيمة.
٢) في «ب»: قلعها.
٣) «وثمانمائة»: ساقط من «ب».
٤) في «ب»، «د»: وقطعة.
٥) ساقط من «ب».
٦) ساقط من «ب».
٧) في «ج»: بالشرفي.

(1) راجع: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٠٢٩، وفيه أنها أحسها في بيته، وأنها كانت عند أذان العصر، حيث اهتز البيت به مرتين، إلا أنها كانت زلزلة ضعيفة جداً.
(2) راجع: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١٤.
(3) نفسه ج ١٦ ص ١٢٧.

وفي سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) ، في ليلة الأحد تاسع[1] جمادى الأولى حصلت[2] زلزلة لطيفة .

وفي سنة تسع وثمانين (وثمانمائة) زلزلت حلب في ربيع الأول ست مرات أو أكثر زلزلة شديدة مهولة .

وفي سنة ست وتسعين (وثمانمائة) ، في جمادى الآخرة زلزلت مصر[3] زلزلة لطيفة يوم الأحد نصف الشهر ، ثم زلزلت[4] - أيضاً - يوم الأحد ثاني عشرينه[5] .

وفي سنة خمس وتسعمائة ، في ليلة الجمعة سابع عشرين[6] ذي الحجة زلزلت مصر زلزلة لطيفة .

* * *

١) في «ج» : سابع .
٢) في «ب» ، «د» : حدثت .
٣) «رلزلة شديدة . . . مصر» - ساقط من «ج» .
٤) «زلزلت مصر . . . ثم رلزلت» - ساقط من «ب» .
٥) في «ج» ، «د» : عشرينه .
٦) في «ب» : عشر .

(تتمة)

فائدة :

رأيت في بعض التواريخ أن «قفط[1]» بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح » بني مناراً[2] عالياً على جبل مدينة قفط[3] يرى منها البحر المالح الشرقي ، فسقط بزلزلة عظيمة .

فائدة :

قال صاحب « مباهج العبر »(1) : أكثر ما تكون الزلازل في البلاد الجبلية ، وتعظم وتشتد حتى أنها تصدع الجبال وتغور الأنهار وتهدم الحصون وتخرب الأسوار[4] .

قال : ويقال في خصائص البلاد : شتاء أرمينية ، وصيف عمان ، وصواعق تهامة ، وزلازل دبيل[5] .

ومن قول الشعراء في وصف الزلزلة قول « أبي سعيد نصر[6] بن يعقوب » :

لقد ارتجت بنا الارض ضحى   كارتجاج الزئبق المنسوب

---

1) في «ب»: نفط.
2) في «ج»: منارة.
3) في «ب»: نفط.
4) في «ب»: الأسواق.
5) في «د»: ديبل.
6) في «ج»: أبي سعيد بن نصر.

---

(1) هو «جمال الدين، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن يحيى، المعروف بالوطواط» (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)، وكتابه هو «مباهج الفكر ومناهج العبر».

فكأن الأرض في أرجوحة وكأنا فوقهـا[1] في لولب[2]

« الرمل »

وقول « وجيه الدين ، أبي الحسن بن عبد الكريم بن حاتم[3] المناوي » :

وزلـزال يهـز[4] الأرض هزا كما هزَّ الكريـم الابتهاج
يبشر محلهـا[5] بقدوم غيث كما قد بشر العيـن اختلاج

«الوافر »

وقوله أيضاً :

وأرض وافد[6] الزلـزال أهوى منازلهـا وقلقـل جانبيها
وذاك لأنه وافي بشيراً فجادت للبشيـر بما عليها

« الوافر »

١) في «ب» : وكأننا من فوقها.
٢) في «ج» : كوكب.
٣) في «ب» : ابن الخاتم.
٤) في «ج» وزلازل يهز.
٥) في «ب» : بمحلها.
٦) في «ب» : وافت.

ذكر الزلزلة التي تقع عند خروج الدجال

أخـرج « البغـوي » في معجـم الصحابـة و[1] «الحـاكـم» فـي المستدرك ـ وصححه ـ عن « محجن بن الأدرع » أن[2] رسول الله ﷺ خطب الناس ، فقال : « يوم الخلاص ، وما يوم الخلاص » ـ ثلاث مرات ـ فقيل : يا رسول الله ، ما يوم الخـلاص[3] ؟ قال : « يجيء الدجـال فيصعـد أحـداً ، فيطلـع فينظـر إلى المدينة[4] ، فيقول لأصحابه : ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ ، هذا مسجد أحمد ، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من نقابها[5] ملكاً مصلياً[6] ، فيأتي سبخـة الجـرف فيضرب رواقه ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا[7] يبقى منها منافق ولا منافقة ، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه ، فتخلص المدينة ، وذلك يوم الخلاص »[(1)] .

آخر الكتاب ، والحمد لله وحده[8]

---

١) «أخرج البغوي في معجم الصحابة و»: ساقط من أ، ج.
٢) في «ب»: عن.
٣) «ثلاث مرات. . . الخلاص»: ساقط من «ج».
٤) في «ب»: للمدينة.
٥) في «ج»: أنقابها.
٦) في «ج»: مصلتاً.
٧) في «ب»: ولا.
٨) في «أ»: «آخر. . . المؤلف، ولله الحمد» ـ وقد بيض لموضع النقط ـ وفي «ج»: «كمل بحمد الله، وحسب عونه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد».

---

(١) الحاكم النيسابوري. المستدرك ج ٤ ص ٥٤٣ (كتاب الفتن والملاحم).

ملحق رقم «١»

نص تفويض «الجلال السيوطي» ـ تفويضاً مطلقاً ـ في الحكم والقضاء من قبل الخليفة العباسي «المتوكل على الله عبد العزيز»:

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا عهد شريف ، إمامي شرعي، معتبر منيف ، بذمتي مرعي ، من عبد الله ووليه وخليفة نبيه ، الإمام المتوكل على الله ، أمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ، ووارث الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين ـ أعلى الله ذكره وأعز به الدين ـ إلى سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى ، شيخ الإسلام والمسلمين ، حافظ العصر ومجتهد الوقت ، جلال الدين، أبي الفضل ، عبد الرحمن السيوطي ، الشافعي ـ أدام الله تعالى النفع به ، أمين ـ فوض إليه الحكم والقضاء بالديار المصرية وسائر الممالك الشريفة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وما سيفتحه الله على المسلمين من بلاد الكفر ، تفويضاً عاماً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء . وفوض أمير المؤمنين ـ أدام الله عزه ـ إلى شيخ الإسلام جلال الدين ـ المنوه باسمه الكريم أعلاه ـ النظر في أمور القضاة ، فمن صلح منهم أقره ، ومن لم يصلح منهم عزله . اقتدى أمير المؤمنين في ذلك ـ أدام الله أيام (عزه)[1] بجده أمير المؤمنين هارون الرشيد[2] ـ سقى الله عهده ـ حيث فوض مثل هذا التفويض إلى الإمام الجليل ، الكبير الشهير ، الليث بن سعد[3] ـ أعاد الله على أمير المؤمنين وعلى سائر المسلمين من بركاته .

---

(١) ساقط من الاصل ، مضاف لإتمام المعنى.

(٢) في الأصل: الرشيد بالله .

(٣) هو «أبو الحارث ، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي» ، ت. سنة ١٧٥ هـ/ ٧٩١ م.،له ترجمة في أبي نعيم. حلية الاولياء ج ٧ تر ٣٩١ ص ٣١٨ ـ ٣٢٧، ابن خلكان. وفيات الأعيان ج ٤ تر ٥٤٩ ص ١٢٧ ـ ١٢٨. ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٦٦.

صدر هذا التفويض وقبله المفوض إليه ـ المنوه باسمه الكريم أعلاه ـ في يوم الاحد المبارك ، التاسع من شهر صفر الخير ، سنة اثنتين[1] وتسعمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الخلق و(على)[2] آله وصحبه والتابعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وشهد على أمير المؤمنين بعد التفويض أربعة عدول علماء فضلاء ، وكتب خطه الكريم على هذا العهد : فوضت إليه ذلك ، وكتبه عبد العزيز بن يعقوب العباسي »[3] .

(١) في الأصل : اثنين .

(٢) مضاف لإتمام المعنى .

(٣) الشاذلي . بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين ق ٣٤ .

ملحق رقم « ٢ »

المصطلحات والرموز:

أ ـ مخط. المكتبة الأهلية ـ باريس ، ذات الرقم (٤٦٥٨)، وتشغل ٣٥ لوحة ، مقاسها : ٢١×١٥ سم ، كتبت سنة ١١٥٤ هـ .

ب ـ مخط . المكتبة الأهلية ـ باريس ، ذات الرقم (٥٩٢٩) ، وتشغل ٣٢ لوحة ، مقاسها : ١٩×١٤ سم ، كتبت سنة ١١١٨هـ .

ج ـ جزء.

ج ـ مخط . المكتبة الأهلية ـ باريس ، ذات الرقم (٤٦٥٩) ، وتشغل ٤٤ لوحة ، مقاسها : ٢١×١٤ سم .

د ـ مخط . المتحف البريطاني ، ذات الرقم (٥٨٧٢) ، وتشغل ٤٧ لوحة، مقاسها :١٨×١٧ سم .

ص ـ صفحة .

مج ـ مجلد .

(٠٠) ما بينهما ـ في النص المحقق ـ إضافة من المصادر .

الفهارس

فهرست الأعلام والقبائل والأمم ونحوها

فهرست البلدان والمواضع
ونحوها

فهرست أسماء الكتب

فهرست الآيات القرآنية

م	الصفحة	الآيـــة	رقمها	السورة
١٥	١٤٨	﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾	٤١	فاطر
١٦	١٥٧	﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾	١٠٤ ـ ١٠٥	الصافات
١٧	١٣٣	﴿خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾	١٢	الطلاق
١٨	١٥١	﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾	١٤ ـ ١٥	الأعلى

فهرست الأشعار

فهرست الأمثال وما في معناها

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر:

ـ ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت. ٦٣ هـ.):

* أسد الغابة في معرفة الصحابة. القاهرة، الشعب، ١٩٧٠.
* الكامل في التاريخ. بيروت، صادر، ١٩٧٩.

ـ الادفوي، أبو الفضل، كمال الدين، جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨ هـ.):

* الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. ت. سعد محمد حسن. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦.

ـ الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد:

* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. ت. رشدي الصالح ملحس. بيروت، الأندلس، ط٣، ١٩٦٩.

ـ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١):

* سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي. ت. محمد حميد الدين. فاس، ١٩٧٦.

ـ ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد:

* بدائع الزهور في وقائع الدهور. ت. محمد مصطفى. القاهرة، مختلفة.

ـ ابن أيبك الدوادار، أبو بكر بن عبد الله:

* كنز الدرر وجامع الغرر مج ٩. ت. هانس روبرت رويمر. القاهرة، الخانجي، ١٩٦٠.

ـ البخاري، أبو عبد الله، إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦ هـ.):
* التاريخ الكبير ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.
* الجامع الصحيح. بيروت، إحياء التراث العربي.
ـ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ.):
* مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، الحلبي، ط١، ١٩٥٥.
ـ ابن بكار، الزبير:
* الأخبار الموفقيات. ت. د. سامي مكي العاني. بغداد، الأوقاف، ١٩٧٢.
ـ ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد:
* الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. بغداد، المثنى.
ـ البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ.):
* دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ت. د. عبد المعطي قلعجي. بيروت، العلمية، ط١، ١٩٨٥م.
* كتاب السنن الكبرى. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٢ هـ.
ـ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ.):
* السنن. ت. إبراهيم عوض عطوة. بيروت.
ـ ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ.):
* حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. مخط. محقق تحت الطبع.
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة، مختلفة.
ـ الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ.):
* قصص الأنبياء، المسمى عرائس المجالس. القاهرة، الحلبي، بدون تاريخ.
ـ الجزار، علي بن محمد (ت ٩٨٤ هـ.):
* تحصيل المنازل من هول الزلازل. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ٢٤٠ ـ مصطفى فاضل.

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ.):
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٥٧ هـ. وما بعدها.
* الوفا بأحوال المصطفى. ت. مصطفى عبد الواحد. القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٩٦٦.
ـ ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الله (ت ٣٢٧ هـ.):
* الجرح والتعديل. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٥٢ وما بعدها.
ـ ابن الحاجب، أبو عمر عثمان (ت ٦٤٦ هـ.):
* شرح الوافية، نظم الكافية. ت. د. موسى علوان. بغداد، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٠.
ـ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥ هـ.):
* المستدرك على الصحيحين في الحديث. بيروت، دار الفكر العربي، عن ط. الهند، ١٩٧٨م.
* معرفة علوم الحديث. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
ـ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤ هـ.):
* كتاب الثقات. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٣ م. وما بعدها.
ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ.):
* الإصابة في تمييز الصحابة. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، نهضة مصر، بدون تاريخ.
* إنباء الغمر بأنباء الغمر. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩ وما بعدها.
* إنباء الغمر بأنباء العمر. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٧ م. وما بعدها.
* تقريب التهذيب. ت. عبد الوهاب عبد اللطيف. بيروت المعرفة، ط٢، ١٩٧٥.

* تهذيب التهذيب. بيروت، صادر، عن ط. الهند، ١٣٢٥ وما بعدها.
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بيروت، الجيل، بدون تاريخ، عن ط. الهند.

ـ ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ.):
* المسند. دمشق، المكتب الإسلامي، عن ط. بولاق.

ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ.):
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ت. د. إحسان عباس. بيروت، صادر، بدون تاريخ.

ـ الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ.):
* السنن. بيروت، إحياء السنة النبوية.

ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥):
* السنن. ت. عزت عبيد الدعاس. حمص، ط١، ١٩٦٩

ـ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩ هـ.):
* الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين. ت. محمد كمال الدين عز الدين. بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥.

ـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ.):
* ذم الملاهي. مخط. مصور بالجامعة الإسلامية ـ المدينة.
* العظمة. مخط. مصور بالجامعة الإسلامية ـ المدينة.
* العقوبات. مخط. مصور بالجامعة الإسلامية ـ المدينة.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ.):
* تجريد أسماء الصحابة. بيروت، المعرفة، بدون تاريخ.
* دول الإسلام. ت. فهيم محمد شلتوت وغيره. القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٧٤.
* العبر في خبر من غبر، وذيله. ت. د. صلاح الدين المنجد. الكويت، الإعلام، ١٩٦٠ وما بعدها.

ـ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ.):
* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ت. محمد الصادق قمحاوي. القاهرة، الحلبي، ١٩٧٨م.
* المفصل في علم العربية. بيروت، الجيل، بدون تاريخ.

ـ سبط ابن الجوزي شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراوغلي (ت ٦٥٤ هـ.):
* مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (مج ٨). الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١ وما بعدها.

ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ.):
* التبر المسبوك في ذيل السلوك. القاهرة، الأزهرية، بدون تاريخ.
* الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. مخط. محقق تحت الطبع.
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت، الحياة، بدون تاريخ ـ عن ط. القدسي.

ـ أبو السعود، محمد بن محمد العماري (ت ٩٥١ هـ.):
* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود). بيروت، إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ.):
* الإتقان في علوم القرآن. ت. محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، الهيئة المصرية، ٧٤ ـ ١٩٧٥ م.
* إتمام الدراية لقراء النقاية. بيروت، العلمية، ط١، ١٩٨٥.
* إسبال الكساء على النساء. بيروت، العلمية، ط١، ١٩٨٤.
* إسعاف المبطأ برجال الموطأ. بيروت، دار الجيل.
* الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعي. القاهرة، عيسى الحلبي، بدون تاريخ.
* الإكليل في استنباط التنزيل. بيروت، العلمية، بدون تاريخ.

* ألوية النصر في خصيصي بالقصر (ضمن الحاوي للفتاوى).
* الإنصاف في تمييز الأوقاف (ضمن الحاوي للفتاوى).
* بذل العسجد لسؤال المسجد (ضمن الحاوي للفتاوى).
* بذل الهمة في طلب براءة الذمة (ضمن الحاوي للفتاوى).
* بسط الكف في إتمام الصف (ضمن الحاوي للفتاوى).
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ت. محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، الحلبي، ط١، ١٩٦٤.
* تاريخ الخلفاء. بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ.
* تحذير الخواص من أكاذيب القصاص. ت. د. محمد بن لطفي الصباغ. دمشق، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٤ م.
* التحدث بنعمة الله. ت. اليزابيث ماري مارتين. القاهرة، ١٩٧٢.
* تحفة الأنجاب بمسألة السنجاب (ضمن الحاوي للفتاوى).
* تحفة الجلساء برؤية الله النساء (ضمن الحاوي للفتاوى).
* تحفة المهتدين بأسماء المجددين. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ٢٠٢ مجاميع - تيمورية.
* تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. ت. عبد الوهاب عبد اللطيف. بيروت، إحياء السنة، ط١، ١٩٧٩.
* التعريف بآداب التأليف. ت. د. إبراهيم السامرائي. بغداد، ١٩٧٠ (ضمن موضوعات مجلة كلية الدراسات الإسلامية، مج ٣).
* تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة (ضمن الحاوي للفتاوى).
* تقرير الإسناد في تقرير الاجتهاد. ت. د. فؤاد عبد المنعم أحمد. القاهرة، الدعوة، ط١، ١٩٨٣.
* التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة سنة. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ٢٠٢ مجاميع - تيمورية.
* تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء (ضمن الحاوي للفتاوى).
* تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك (ضمن الحاوي للفتاوى).
* الحاوي للفتاوى. بيروت، الكتاب العربي، بدون.

* الحبل الوثيق في نصرة الصديق (ضمن الحاوي للفتاوى).
* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. ت. محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، الحلبي، ط١، ١٩٦٧.
* الدوران الفلكي على ابن الكركي. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ٢٠٢ مجاميع ـ تيمورية.
* الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض. ت. د. فؤاد عبد المنعم أحمد. القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥.
* رفع السنه في نصب الزنه (ضمن الحاوي للفتاوى).
* شد الأثواب في سد الأبواب (ضمن الحاوي للفتاوى).
* الفارق بين المصنف والسارق. ت. د. إبراهيم السامرائي. بيروت (ضمن مجلة عالم الكتب، مج ٢، ع٤).
* فتح المغالق من أنت تالق (ضمن الحاوي للفتاوى).
* قطع المجادلة عند تعبير المعاملة (ضمن الحاوي للفتاوى).
* القول المضي في الحنث في المضي (ضمن الحاوي للفتاوى).
* الكاوي على تاريخ السخاوي. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ١٥١٠ ـ أدب، ضمن مجموع.
* الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف (ضمن الحاوي للفتاوى).
* اللمعة في تحرير الركعة لإدراك الجمعة (ضمن الحاوي للفتاوى).
* مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ضمن الحاوي للفتاوى).
* مفتاح الجنة في الإعتصام بالسنة (طبع بالقاهرة، ١٣٤٦ هـ. ضمن الرسائل المنيرية).
* المقامة اللؤلؤية. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ٢٠٢ ـ تيمورية، ضمن مجموع.
* المنجم في المعجم. مخط. دار الكتب المصرية رقم: ٥٢٦ ـ تاريخ.
* نظم العقيان في أعيان الأعيان. ت. د. فيليب حتي. نيويورك، ١٩٢٧.
* هدم الجاني على الباني (ضمن الحاوي للفتاوى).

ـ الشاذلي، عبد القادر بن محمد بن أحمد (ت ٩٣٥ هـ. تقريباً):
* بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين. مخط. شستربتي، رقم: ٤٤٣٦، وعنه مصورة معهد المخطوطات العربية بالكويت، رقم: ١٦٧٠.

ـ الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ.):
* الأم. الهند، بدون تاريخ.

ـ أبو شامة المقدسي، شهاب الدين، أبو محمد، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥ هـ.):
* الروضتين في أخبار الدولتين. بيروت، الجيل، بدون تاريخ.

ـ الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢ هـ.):
* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. ج١ ت. د. مصطفى عبد الواحد. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٢.

ـ الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري (ت ٩٧٣ هـ.):
* ذيل لواقح الأنوار القدسية في طبقات العلماء والصوفية. مخط. دار الكتب رقم: ٥١٣ ـ تاريخ.

ـ الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ.):
* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. القاهرة، الحلبي، بدون تاريخ.

ـ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥ هـ):
* المصنف. الهند، ت. حبيب الرحمن الأعظمي. السعودية، المكتبة الإمدادية، ط١، ١٩٨٣.

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ.):
* الوافي بالوفيات، مج ٤. ت. س. ديدرينغ. فيسبادن، ١٩٧٤.

ـ الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ.):
* المعجم الكبير. ت. حمدي عبد المجيد السلفي. بغداد، مختلفة.

ـ **الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ.):**

* تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك). ت. محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، المعارف، ط٢.

* تفسير الطبري (جامع البيان). طبعتا المعارف بالقاهرة، وبيروت المصورة.

ـ **ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ.):**

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، نهضة مصر، بدون تاريخ.

ـ **ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ.):**

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.

ـ **العيدروسي، شمس الشموس، محيي الدين، عبد القادر بن عبد الله :**

* تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر. بيروت، العلمية، ١٩٨٥.

ـ **ابن الغزي، نجم الدين:**

* الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة. ت. د. جبرائيل سليمان جبور. بيروت، الآفاق، ط٢، ١٩٧٩.

ـ **ابن فارس، أبو الحسن أحمد (ت ٣٩٥ هـ.):**

* مجمل اللغة. ت. زهير عبد المحسن سلطان. بيروت، الرسالة، ط١، ١٩٨٤

ـ **الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ.):**

* القاموس المحيط. القاهرة، الحلبي، بدون تاريخ.

ـ **القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله (ت ٧٧٥ هـ.):**

* الجواهر المضية في طبقات الحنفية. ت. د. عبد الفتاح الحلو. القاهرة، الحلبي، ط١.

ـ ابن قطلوبغا، زين الدين قاسم (ت ٨٧٩ هـ.):
* تاج التراجم في طبقات الحنفية. بغداد، المثنى، ١٩٦٢.
ـ ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي (ت ٥٥٥ هـ.):
* ذيل تاريخ دمشق. ت. د. سهيل زكار. بيروت، دار حسان، ط١، ١٩٨٣.
ـ ابن كثير، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ.):
* الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث. بيروت، الفكر العربي، بدون تاريخ.
* البداية والنهاية. بيروت، المعارف، ط١، ١٩٦٦.
* تفسير القرآن العظيم. القاهرة، الحلبي، بدون تاريخ.
ـ الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت ٦٣٤ هـ.):
* الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء. مخط. محقق، تحت الطبع.
ـ المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ.):
* السلوك لمعرفة دول الملوك. ت. د. محمد مصطفى زيادة، د. سعيد عاشور. القاهرة، مختلفة.
* المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر. ت. أيمن فؤاد سيد. القاهرة، المعهد الفرنسي.
* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. بيروت، صادر ـ عن ط. بولاق.
ـ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ.):
* لسان العرب. القاهرة، المعارف، بدون تاريخ.
ـ ابن نظيف، أبو الفضل محمد بن علي:
* تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان (التاريخ المنصوري). موسكو، ١٩٦٠.
ـ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ.):
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت، الكتب العلمية، بدون تاريخ.

* دلائل النبوة. الهند، دائرة المعارف العثمانية.
ـ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ.):
* صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت، إحياء التراث العربي، عن ط. ١٩٢٩م.
ـ الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ.):
* غريب الحديث. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٦ م.
* غريب الحديث. ت. د. حسن محمد محمد شرف. القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٤.
ـ ابن هشام:
* السيرة النبوية. ت. مصطفى السقا وغيره. القاهرة، الحلبي، ط٢، ١٩٥٥.
ـ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ.):
* كشف الأستار عن زوائد البزار. ت. حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت، الرسالة، ط١، ٧٩ وما بعدها.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. القاهرة، القدسي، ١٣٥٣ هـ.
ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ.):
* معجم الأدباء. ت. أحمد فريد الرفاعي. القاهرة، الحلبي، بدون تاريخ.
* معجم البلدان. بيروت، صادر، ١٩٧٧.
ـ أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي (ت ٢٠٧ هـ.):
* مسند أبي يعلى. مخطط. الجامعة الإسلامية بالمدينة ـ المصورة.
ـ اليونيني البعلبكي، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ.):
* ذيل مرآة الزمان. الهند، دائرة المعارف الإسلامية، ١٩٥٤ وما بعدها.

ثانياً ـ المراجع:

ـ **أحمد تيمور.** قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه. القاهرة، السلفية، ١٣٤٦ هـ.

ـ **أحمد الشرقاوي إقبال.** مكتبة السيوطي، بحث يجمع ويصنف مؤلفات جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. الرباط، دار المغرب، ١٩٧١ م.

ـ **عبد الوهاب حموده.** صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي. القاهرة، الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٥م.

ـ **محمد رشيد رضا.** تفسير المنار. القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٢م.

ـ **محمد كمال الدين عز الدين.** جلال الدين السيوطي مؤرخاً. بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٧م.

ـ **محمد مطيع حافظ.** نصوص غير منشورة عن الزلازل:

I.F.D: Bulletin, D'études Orientales (XXXII – XXXIII), Damas, 1982, PP. 256 – 263.

ـ **مصطفى الشكعة ـ الدكتور.** **جلال الدين السيوطي**، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية. القاهرة، الحلبي، ١٩٨١ م.

فهرست المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

0